الباب الثالث

في ثناء الأئمة عليه

obeikandl.com

obeikandl.com

الباب الثالث

في ثناء الأئمة عليه مِنَ الشُيوخ والأقران، والطَّلبة، والشُّبَّان، مقدّماً منهم في الوفاة الأقدم فالأقدم، وإن وُجِدَ في المتأخِّر الزَّمن مَنْ هو المقدَّمُ، وفيه فصلٌ في بيان مراجعة غير واحد مِنْ شيوخه له فيما خفي على الشيخ الأمرُ فيه واستشكله، ثمَّ بيانُ يسيرٍ ممَّا كان بالهوامش ونحوها يقيِّدُه ممَّا خَفِيَ على المصنِّفين وشبهِهم تحريرُه وتقييدُه. وألحقتُ بالثناء من النَّظم الذي امْتدِحَ به جملةً، وإن كان منحطَّ الرتبة بالنِّسبة للفصل الذي قبله.

[ثناء الأئمة عليه]

فأما ثناء الأئمة عليه، فاعلم أنَّ حَصْرَ ذلك لا يُستطاع، وهو في مجموعه كلمةُ إجماع. لكني أتيتُ بما حضرني مِنْ ذلك الآن على حسب الإمكان.

[المحب ابن الهائم]

فمنهم: نادرةُ دهره في الذكاء، المحب ابن الهائم ـ رحمه الله ـ وهو أذكى شابٍّ رآه صاحبُ التَّرجمة، كما قرأته بخطه، بل قال: إنَّه لم يخلف مثله في الذَّكاء، بل هو أذكى مَنْ رأيتُه مطلقاً. كتب له تقريظاً على بعض تخاريجه إلى الآن ما رأيتُه، فيُطلب.

برهان الدين الأبناسي

ومنهم: العلامة الفقيه الرباني، برهان الدين إبراهيم الأبناسي ـ رحمه الله ـ فقرأت بخطه على «المائة العشاريات»، تخريج صاحب الترجمة للبرهان التَّنوخي ما صورته:

الحمد لله الذي رفع عَلَمَ العُلَمَاء وشرَّفهم ومن إليهم انتمى، وجعلهم ورثة الأنبياء، والسادة الأتقياء. فعليهم في الشريعة المعتَمَدُ في حفظ المتون والسند. فله الحمدُ على ما علَّم، وله الشُّكْرُ بما تفضَّلَ به وأنعم. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادةً تمحِّصُ ما خصص وعمَّم. وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً ﷺ، أشرف المخلوقات وأعظم. صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وشرَّف وكرَّم.

وبعد، فلما كان الاشتغالُ بالعلمِ الشَّريف مِنْ أعزِّ المطالب، وأشرفِ المكاسبِ، اعتنى بتحصيله كلُّ لبيبٍ وطالبٍ، وكان ممَّن لاحَظَتْهُ عيونُ السَّعادة، وسبقت له في الأزل الإرادة، الشيخ الإمام العلامة المحدث المتقن المحقِّق، الشيخ شهاب الدين أبو الفضل أحمد ابن الشيخ الإمام العالم صدر المدرسين، مفتي المسلمين، أبي الحسن عليٍّ، الشهير بابن حَجَر، نور الدِّين الشافعي، لما عنيت به عناية التَّوفيق، ورعاية التحقيق، نظر في العلوم الشرعية، فأتقن جلَّها، وحلَّ مشكلها، وكشف قناع معضلها، وصَرَف هِمَّته العليَّة إلى أشرفها؛ علم الحديث، وهو أفضلُها، فاجتمع على المشايخ الجِلَّة، وكلِّ مُسنِدٍ ورُحْلة. فاستفاد منهم وأفاد، وانتقى الأسانيد الجِياد. فكان ممن أخذ عنه المخرَّج له هذا الجزء اللَّطيف، وهو الشيخ الإمام العالم العلامة صدر المدرسين، مفتي المسلمين، أبو إسحاق برهان الدين إبراهيم بن أحمد بن عبد الواحد الشامي. خرج له مِنْ مروياته وقراءاته ومناولاته ووجَاداته وسماعاته، والكتابة إليه وإجازاته، عشاريات لم يُنسج مثلُها على مِنْوال، ولا ضرب لها ماثلٌ بمثال، وسَمَها[1] «بنظم اللآلي بالمائة العوالي».

---

(١) في (ب، ط): وسماها، وفي هامش (أ): وسمّاها ن، وهذا يعني أنها مقابلة على نسخة أخرى.

ولما تصَفَّحتُ هذا التأليف، ونظرت فيه، ألفيتُه غُنيةً للمحدّث والفقيه. يا له مِنْ تصنيف ما أبدعه، ومِنْ تأليف ما أنفعه. جمع مِنَ الحديث فنونه، وأتقن ألفاظه ومتونه، دلَّ ذلك على تضلُّع بعلوم زاخرة، وفوائد جمة متواترة. وأعرب عَنْ كلِّ غريبة ونادرة، لو سمعها أحَمدُ وابنُ معين والمَدِينيُّ وابن سيرين، لقضوا مِنْ ذلك العجب، وسلكوا معه الأدب. وقالوا بعد إمعان[1] النظر: سبحان مَنْ أعطاكَ يا ابن حجَر. زاده الله فضلاً وعلماً، وذكاءً وحرصاً وفهماً، وصيَّره مِنَ العُلماء العاملين، وحشَرَنا وإيَّاه في زُمرة سيِّد المرسلين، محمد خاتم النَّبيين، ﷺ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتب: أقلّ عبيد الله إبراهيم بن موسى الأبناسي، ومِنْ خطِّه نقلت.

[عبد الرحمن بن محمد العلوي]

ومنهم الوجيه عبد الرحمن بن محمد[2] العلوي، كتب له على استدعائه:

أجـزتُ لـسـيِّـد الإخـوان طُـرًا ... شهـاب الدِّين ذي الفضل الرفيع

في أبيات[3]:

سراج الدين ابن الملقِّن

ومنهم: العلامة الشهير ذو التصانيف الكثيرة، سراج الدين أبو حفص ابن الملقِّن، تغمّده الله تعالى برحمته.

فقرأت بخطه عَقِبَ طبقةٍ بخطِّ صاحب التَّرجمة بسماع المجلس الأول من «أماليه في المسلسل» من لفظه في سنة سبع وتسعين وسبعمائة ما نصه:

---

(١) في (أ): «معاني»، وفي (ط): «إمكان».

(٢) في (ط): «أحمد»، خطأ.

(٣) ذكرها المصنف في الضوء اللامع ٤/ ١٥٤.

صحيحٌ ما رسمه، أدام الله النفع به، ورحم سلفه. انتهى.

وقرأت بخط بعض أئمَّة شيوخنا، وأنه شهد له بالحفظ والمعرفة، وأرجو أن أظفر بعبارته، فأثبتها هنا، والله المستعان.

[سراج الدين البُلقيني]

ومنهم شيخ الإسلام، أوحد المجتهدين الأعلام، سراج الدين أبو حفص البُلْقَيني رحمه الله.

فقرأت بخطِّ صاحب الترجمة في ترجمة المذكور من «معجمه»[1] ما نصُّه:

وقرأت عليه «دلائل النُّبوَّة» للبيهقي، وجرت لي معه في حال قراءتها نوادر، وذلك أنه كان يستكثر ما يقع لي مِنَ النُّكت الحديثيَّة في المجلس، ويقول: هذا لا يصدر إلا عن تَبْيِيْتِ مُطَالعَة ومراجعة. فكنت أتنصَّلُ مِنْ ذلك فلا يقبل، إلى أن أمرني بترك الجزء الذي يُقرأ فيه عنده تلك اللَّيلة، وكان يعرف أنه لا نسخة لي، [لكوني حال قراءتي عليه، استعنتُ به في تحصيل نسخة جامع الخَطِيري، فأمر مَن أحضرها، واستحضر نسخة المِلكية، وكان مَنْ قَدَر مِنَ الطَّلبة على نسخة مِنَ الكتاب، أحضرها المجلسَ يسمَعُ فيها، وكنت أنا أقرأ في نسخة الخَطيري، والشيخ ينظُر في نسخة الملكية. فتركت عنده الجزء تلك الليلة][2]. فلمَّا أصبحنا، وشرعت في القراءة مرَّ إسنادٌ فيه: «حدثنا تَمْتَام». فقطع عليَّ القراءة، وقال: مَنْ تَمْتَام هذا؟ فإنني راجعتُ الأسماء، فلم أجده، وظننتُه تصحيفاً. فقلت له: بل هو لَقَبٌ، واسمه محمد بن غالب بن حرب، حافظ مشهور. قال: مَنْ ذَكَره؟ قلت: الخطيبُ في «تاريخ بغداد»، وله ترجمة عندكم في «الميزان» للذهبي؛ لأن بعض الناس تكلَّم فيه، فسكت الشيخ. وقال له ولده جلال الدين وأنا

---

(١) ٢/٣٠٥.

(٢) ما بين حاصرتين لم يرد في «المجمع».

أسمع: هذا حافظٌ، فلا تمتحنه بعدها. فأحضرت للشَّيخ بعد ختم الكتاب الجزء الأول مِنْ «تغليق التعليق»، والتمست منه أن يُفهرِسَ أوَّله ففعل.

قلت: وصورة ما كتب، وقد نقلته مِنْ خطِّه، بعد أن شهد له بالحفظ في المجلس العام:

الجزء الأول مِنْ «تغليق التعليق»، جمع الشيخ الحافظ، المحدِّث المتقن المحقق، شهاب الدين أبي الفضل أحمد ابن الفقير إلى الله تعالى، الفاضل المرحوم نور الدين عليّ، الشهير بابن حجر، نفع الله تعالى به وبفوائده آمين، انتهى.

ومما يُنَبَّهُ عليه، أنَّ هذه القصة وأمثالها، حضرها جمعٌ مِنَ الفُضلاء والأئمة، وقد أدركتُ مِمَّن حضرها جماعةً، منهم: العلاَّمة عزّ الدين عبد السلام المقدسي الشافعي، شيخ الصلاحية، وضَبَطَ مِنَ النَّوادر التي وقعت شيئاً كثيراً، وخصوصاً هذه الحكاية بعينها. وكذا الشيخ تقي الدين الحريري، خال صاحبنا القاضي قطب الدين الخيضري، حسبما حكاها إليَّ القطبُ عنه.

وممَّن حضرها العلامةُ زينُ الدِّين عُبادة المالكي المشهور، وقد كتبها بخطِّه، وبعثَ بها إلى صاحب التَّرجمة. فلا يُغتَرُّ بما زعمه بعضُ من اتبع هواه، والله المستعان.

وقد سمعها مِنَ الشيخ عُبادة، الشيخ المسلِّك المربِّي، مدين الأشموني[1] المالكي. كما حكى لي عنه صاحبنا الشيخ نور الدين ابن أبي اليُمن المكيّ المالكي.

وقال: إنَّ البلقيني قال له: يا شيخُ شهاب الدين، اقرأ، فقد أقررنا لك.

[وقريب مما اتَّفق لشيخنا مع البلقيني، ما بلغنا أنَّ الحافظ الذهبي أول

---

(١) في (ب): «الأشمومي»، تحريف. وانظر الضوء اللامع ١٠/ ١٥٠.

ما اجتمع بالتَّقي ابن دقيق العيد، أحب التقيُّ امتحانه بما يُستدل به على معرفته، فقال له: مَنْ أبو العباس الذَّهبي [فبادره الذهبي][1] بقوله: هو أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن المخلِّص، فقال له التقيُّ. أنت حافظ][2].

وقد كان صاحبُ التَّرجمة رأى في المنام - إذ ذاك - أنه دخل مدرسة الشَّيخ وهو يصلي الظُّهر، فأحسَّ الشيخُ بداخلٍ، فتمادى في الرُّكوع، فأدرك معه صلاة الظهر، فعبَّرها عليه، فقال له الشيخ: يحصلُ لك ظهورٌ كبير. قال صاحب الترجمة: فقلت له: لأنَّك تأخَّرتَ لي حتى أدركتُكَ، فأخذت عنك وأذنت لي، فأقرَّ ذلك.

قلت: وكان الأمرُ كذلك، حقَّق الله تعبير شيخ الإسلام بالظُّهور العامِّ، جعلهما الله بدارِ السَّلام مع السَّادة الكرام.

وقرأت بخط البلقيني أيضاً إذنه له بالفتوى والتَّدريس، وذلك بعد أن كتب له ولدُه قاضي القضاة جلال الدين البلقيني بذلك، كما سيأتي ما صورته: أجزتُ له أن يفتي بذلك لطالبيه بالتوجيه الوجيه، فإنه نِعْمَ الفاضل النبيه. وكتبه عمرُ البلقينيُّ.

[الحافظ العراقي]

ومنهم شيخ الإسلام حافظ الوقت، الزين أبو الفضل العراقي، رحمه الله وإيانا، فقرأت بخطه على نسخة بخط الشهاب البوصيري من كتاب «لسان الميزان»، لصاحب الترجمة ما صورتُه: كتاب «لسان الميزان» تأليف الحافظ المتقن، الناقد الحُجَّة، شهاب الدين أحمد بن علي الشافعي، الشهير بابن حجَر. نفع الله بفوائده، وأمتع بعوائده. انتهى.

وكان ذلك في حادي عشر[3] شوال سنة خمس وثمانمائة، قبل أن يُلْحِقَ فيه مصنِّفُه الكثيرَ مِنَ التَّراجم المستقلة، والتتمات التي تفوق الوصف.

---

(١) ساقطة من (أ).

(٢) من قوله: «وقريب مما اتفق» إلى هنا، لم يرد في (ب).

(٣) في (ب، ح): «حادي عشري».

وقرأت بخطه أيضاً على الجزء الأول من «تغليق التعليق» لصاحب الترجمة مِنْ نسخة بخط المؤلف، [غير النسخة الشهيرة][1]، قال: إنها المبيَّضة الثانية، رأيت منها جزءاً بمكَّة تاريخه سنة أربع وثمانمائة ما نصه:

الجزء الأول من «تغليق التعليق»، تأليف صاحبنا الشَّيخ الإمام المحدث الحافظ المتقن الرَّحَّال أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد، العسقلاني الأصل، المصري الدار، الشهير بابن حَجَر، نفع الله بعلومه.

وعلى الجزء الثاني مِنَ النُّسخة التي كتب البلقيني على أولها، [وهي الشهيرة][2] بخط العراقي أيضاً ما مثاله: الجزء الثاني مِنْ «تغليق التعليق»، جمع الشيخ المحدث الحافظ المتقن، المفيد[3]، المجيد، شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي، الشهير بابن حَجَر، العسقلاني الأصل، المصري الدَّار، نفع الله بعلومه وفوائده.

وقرأت بخطه أيضاً على «نظم اللآلي بالمائة العوالي»، وهي العشاريات، التي خرَّجها صاحبُ التَّرجمة لشيخه البرهان الشامي في ابتداء طلبه لهذا الشأن، ما صورته:

نظرت هذه الأحاديث العُشاريات المائة المخرَّجة عَنِ الشُّيوخ العوالي، أحسن تخريج وأضوأه، مِمَّن أسمع الشيخُ المخرّجة له لفظاً أو عرضاً، أو إجازة، أو أنبأه مِنَ الأحاديث الصحاح والحسان والغرائب، التي هي عن النُّكارة مبرَّأة، عن الثقات الأثبات وأهل الصِّدق والستر والصيانة المجزئة، غير المتَّهمين والمجروحين والدُّعاة من الغُلاة والمرجئة، وهي تخريج الشيخ الفقيه المحدث الفاضل، البارع المفيد، المجيد لما أنشأه، شهاب الدين أبي الفضل أحمد ابن الشيخ الإمام الأوحد مفتي المسلمين، نور الدين

---

(١) ما بين حاصرتين لم يرد في (ب).

(٢) ما بين حاصرتين لم يرد في (ب).

(٣) «المفيد» ساقطة من (ب، ط). قلت: انظر هذه التقاريظ في نماذج الصور الخطية المرفقة بالجزء الأول من «تغليق التعليق».

أبي الحسن علي، أنزل الله سلفه رفيع الدرجات وبوَّأه، سلك فيها سبيل المتقين المخرجين ولا أخطأه، وبيَّن فيها الموافقات والأبدال، والمصافحات أحسن بيان وأجزأه، ودخل في سلك أهل الحديث، فابتنى بينهم منزلاً وتبوَّأه. وظهرت عليه نُضرَةُ أهلِ الحديث التي تجلُو كلمة الابتداع وصدأه. ومَنْ يجعل الله له نُوراً، فلن يستطيع أحدٌ أن يطفئه. فشكر الله سعيه، وصانه وحفظه وكلأه، كتبه عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن ابن العراقي. ومن خطه نقلت، رحمه الله ورضي عنه.

وقرأت بخطه أيضاً على بعض تصانيفه التي قرأها صاحبُ التَّرجمة عليه ما نصه:

قرأ عليّ هذا الجزء فيما وقع في «مسند أحمد» مِنَ الأحاديث التي قيل: إنها موضوعة، صاحبه[1] وكاتبُه: الشيخُ المحدِّثُ المفيدُ الحافظُ المتقنُ شهابُ الدِّين أبو العباس أحمد بن الإمام نور الدين علي بن حجر العسقلاني الأصل، فسمعه جماعةٌ في سادس عشر شعبان سنة اثنتين وثمانمائة.

وقرأت بخطه أيضاً في آخر «النُّكت» التي جمعها على «علوم الحديث» لابن الصلاح المسمَّاة «بالتقييد والإيضاح». وقد قرأه صاحب الترجمة عليه، ما مثاله بعد الخطبة:

ولما كان الشيخُ العالمُ والكاملُ الفاضلُ، الإمامُ المحدِّثُ، المفيدُ المجيدُ الحافظ المتقن، الضابط، الثقة المأمون، شهاب الدين أحمد أبو الفضل ابن الشيخ الإمام العالم الأوحد المرحوم نور الدين علي ابن قطب الدين محمد، العسقلاني الأصل، المصري، الشهير بابن حَجَر، نفع الله به، وبلَّغه غاية إرَبِه ممَّن وفقه الله لطلبه.

إلى أن قال: فجمع الرُّواةَ والشُّيوخ، وميَّز بين النَّاسخ والمنسوخ. وجمع الموافقات والأبدال. وميَّز بين الثِّقات والضعفاء مِنَ الرِّجال، وأفرط

---

(١) ذهل ناسخ (ط)، فكتب: «صاحب الترجمة».

بجِدِّه الحثيث، حتى انخرط في سلك أهل الحديث، وحصل في الزَّمن اليسير على علم غزير. وقرأ عليَّ الألفية المسماة «بالتبصرة والتذكرة» مِنْ نظمي. وقرأ عليَّ جمعَ «شرحي» عليها قراءة بحثٍ وتأمُّلٍ ونظرٍ وتعقُّل، في مجالس آخرها في العشر الأخير من شهر رمضان سنة ثمان وتسعين وسبعمائة. وقرأ عليَّ «النُّكت» التي ألَّفتها على «علوم الحديث»، للإمام أبي عمرو بن الصَّلاح رحمه الله، المسماة «بالتقييد والإيضاح لما أُطلق وأُغلق في كتاب ابن الصلاح»، في مجالس، آخرها في جمادى الأولى سنة تسع وتسعين وسبعمائة، وقرأ عليَّ عدَّة أجزاءٍ مِنَ «العوالي». وكتب عني عدة مجالس من «الأمالي» بعضها باستملائه.

إلى أن قال: وأجَزْتُ له أن يروي ذلك عنِّي، ويقرىء «الألفية» و«الشرح» عليها، و«النُّكت» المذكورة، ويفيدها لمن أراد، ويقرئ كتبَ الحديث، وعلومَ الحديث. وأذِنْتُ له أن يرويَ ذلك، ويلقي بذلك الدُّروس الحديثيَّة، ويروي عنِّي جميع مؤلَّفاتي ومروِيَّاتي.

إلى أن قال: وهو غنيٌّ عن الوصيَّة، لرغبته في الخير. زاده الله عِلماً وفهماً ووقاراً وحِلماً، وسلَّمه حضَراً وسفراً. وجمع له الخيرات زُمَراً.

كتبه عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن العراقي. ومن خطه نقلت.

ولولا أنَّ الأوراق المكتوب فيها حصل لها بَلَلٌ، كأنها كانت في الكتب التي غرقت ـ كما تقدم[1] ـ، لأتيتُ بجميع ما كتب بنصه، ولكنَّ المقصود مما كتب حاصلٌ، والله الموفق.

وقرأت بخطه أيضاً عقب إذن البُلْقَيْنِي وولده له بالإفتاء والتدريس، ما مثاله: كذلك أجزتُ له أن يدرِّسَ ويشغل ويفتي بما حصَّله ممَّا ذَكَرَهُ، وما عَلِمَه مِنْ مذهب الشافعي رضي الله عنه، لِمَا اجتمع فيه مِنَ العلم والفهم والإفادة. وفقه الله للحسنى وزيادة. كتبه عبد الرحيم ابن العراقي.

---

(١) انظر ص ١٥١ من هذا الجزء.

إلى غير ذلك مما لم أقف على حصره.

وأعلى مِن ذلك كلِّه أنَّ القاضي كمال الدين ابن العديم سأله عند موته عمَّن بقي بعده من الحفَّاظ، فبدأ بصاحب الترجمة، وثنَّى بولده، وثلَّث بالشيخ نور الدين الهيثمي.

قال صاحب الترجمة رحمه الله: وكان سبب ذلك أكثرية الممارسة، لأن ولده تشاغل بفنونٍ غيرِ الحديث، والشيخ نور الدين كان يدري منه فنّاً واحداً. انتهى.

ومراده بقوله: تشاغل بفنون غير الحديث: الإكثار من ذلك، بحيثُ لا يتميَّزُ اشتغاله بالحديث عليها، فكأنه يشيرُ إلى أنَّه صاحبُ فنون، وصاحب الترجمة وإن اشتغل بالفنون المشار إليها أيضاً، كان عملُه في فنون الحديث أكثر، بحيثُ لا يكون لعمله في غيره شبه منه فيه، فصار صاحب فن، وحينئذ، فتأتّى قول إمامنا الشافعي رحمه الله: ما ناظرني صاحبُ فنٍّ إلا غَلَبني، وما ناظرت صاحب فنونٍ إلا غلبتُه، أو كما قال. هذا إن لم يكن صدور هذه المقالة من شيخنا على وجه التواضع، جرياً على عادته، رحمهما الله[1].

ثم سأل الشيخ نور الدين الرشيدي ـ الذي تلقَّي صاحب الترجمة عنه كما سيأتي تدريس الحديث بالبيبرسية ـ [العراقيَّ عن سؤال ابن العديم أيضاً][2] بعد ذلك، فقال: في الشيخ شهاب الدين ابن حجر كفاية.

قلت: لقد حقَّقَ الله هذه المقالة، وأظهر لأهل عصره منه به الكفالة، رحمهما الله تعالى ورضي عنهما.

وبلغني عن شيخنا العلامة النحوي أبي العباس الحِنَّاوي، قال: كنت أكتُب الإملاء عن شيخنا العراقي، فإذا جاء ابن حجر، ارتج المجلس له.

---

(١) من قوله: «ومراده بقوله» إلى هنا، لم يرد في (ب)، وورد في هامش (ح) بخط المصنف.

(٢) في (ب): «عن ذلك».

وعند عرض الإملاء قلَّ أن يخلو من إصلاح يفيده ابن حجر. ومن إجلاله له أنه كان يُوادعه إذا أراد سفراً، ويهنئه بالسَّلامة إذا قدم.

والتمس صاحبُ الترجمة منه عند مجيئه لموادعته مرة تحديث أُمِّ أولاده وأكبر بناته بالحديث «المسلسل بالأولية» ففعل. وعرض عليه حينئذٍ شيخنا العلامة البرهان ابن خضر «العمدة» بإرشاد فقيهه الشيخ شمس الدين السعودي. وسمعت أن الحافظ الزاهد نور الدين الهيثمي كان مع الشيخ حينئذٍ، وتعجَّبتُ مِنْ عدم اشتراكه معه في الإسماع والعرض على عادتهما. ويقال: إنه كان مع دابَّة الشيخ، فإنه مع جلالته، كان كالخادم له رحمهم الله وإيانا.

[تقي الدين الدِّجْوي]

ومنهم: العلامة الحُفَظَة تقي الدين أبو بكر الدُجْوي.

قرأت بخطه على بعض تخاريج شيخنا صاحب الترجمة ما صورته:

أما بعد حمد الله الذي اصطفى مَنْ وفَّقه لحفظ السُّنَّة، وسلك بطالبها طريقاً إلى الجنة، والصلاة والسلام على عبده ورسوله الذي سنَّ الأحكام، فأحكم ما سنَّه، وعلى آل محمد وصحبه الذَّابِّين عنها بالألسنة والأسنة.

فقد وقفت على هذا التخريج البديع مثالاً، المنيع منالاً، الفائق حسناً وجمالاً، فلم يدع لقائل مقالاً، إلا أن يقول: (هكذا هكذا وإلا فلا لا). فلقد أُوتي هذا بسطةً في العلم واللَّسْن، وكيف لا؟ وهو الإمام ابن الإمام أبو الفضل بن أبي الحسن. لقد بهر ابنُ حجر بفضله العقولَ والأفكار، كما فاق حَجَرُه الياقوت بل غيره من الحجّار ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [البقرة: ٧٤]. فإنه جمع فأوعى، وأوعب جمعاً، وأبدع لفظاً[1] ومعنى، وجمع إحساناً وحُسْناً. فلو شاهد حسنه الجمالُ المِزِّيُّ، لأطنب في الثناء وأسهب، أو الذهبيُّ، لذهب في الإعجاب كلَّ مذهب، أو ابن عبد الهادي، لاهتدى به واقتفى أثره، أو ابن كثير، لكاثر ببعضه واستكثره. فشكراً لهذا الإمام شكراً، فلقد جمَّل مصره، وجدد لها في الحفاظ ذكراً.

---

(١) في (ب): «لطفاً».

أوزعه الله شكر ما حمَّله، كما زيَّن به عصره ومصره وجمَّلَه. وبلَّغه في الدَّارين سُؤْلَه وأمله. وختم بخير عملنا وعمله. إنه بالإجابة جدير، وهو على كل شيءٍ قدير.

قال ذلك وكتبه الحقير الأذلّ، الفقير إلى عفو ربه عز وجلّ، محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن حيدرة بن عمر بن محمد الدِّجْوي، سامحهم الله الكريم بكرمه، وغفر لهم. آمين.

قلت: وكان التقيُّ يذاكر صاحب الترجمة بأشياء كثيرة مِنَ التَّاريخ وغيره، ويعظِّمه وينوّه بذكره، ويغتبط به كثيراً، ويحضُّه على الاشتغال، رحمهما الله تعالى وإيانا.

[الحافظ الهيثمي]

ومنهم: الحافظ الزاهد الثِّقة، نور الدين أبو الحسن الهيثمي صاحب التصانيف الكثيرة الشهيرة، شَهِد لصاحب الترجمة، بالتقدُّم في الفن، واستفاد منه، وما وقفت على عبارته.

[ابن خلدون]

ومنهم: القاضي وليُّ الدين أبو زيد بن خلدون المالكي، وصفه في جماعة بالسِّيادة والعلم والفضل والإجادة، والإبداء في الكمال والإعادة.

[الشهاب الحُسباني]

ومنهم: العلامة قاضي الشام الشهاب الحُسباني رحمه الله. فقرأت بخطه: الجزء السابع من «تغليق التعليق»، تأليف الشيخ الإمام العالم البارع المحدث الحافظ المفنَّن المفيد أبي الفضل أحمد ابن الشيخ نور الدين علي بن حجر، نفع الله به، وكثَّر فوائده بمنه وكرمه. انتهى[1].

---

(١) نقل المصنف هذه العبارة على نسخته التي نسخها بخطه من «تغليق التعليق». انظر الجزء الأول من الكتاب ص ٢٢٦ ـ ٢٢٧.

والشهاب هذا ممَّن شهد فيه البلقيني أنه أحفظُ أهل دمشق للحديث. ولمَّا اجتمع به صاحبُ الترجمة هناك أكرمه، وأعاره كتبه وأجزاءه التي كان يضنُّ بها عن غيره. ثم قدِمَ القاهرة بعد الكائنة، فأعطاه صاحبُ التَّرجمة جملةً من الأجزاء مكافأة له، رحمهما الله وإيانا.

[ابن حجي الحسباني]

ومنهم: العلامة محدِّث الشام الشهاب ابن حِجّي الحُسباني ـ رحمه الله ـ فقرأت بخطه ما صورته:

الجزء الخامس من «تغليق التعليق» تأليف الإمام الحافظ المفيد البارع المتقن[1] ذي الفوائد والفضائل، جمال المحدثين، أوحد المؤلفين، شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد، المعروف بابن حجر العسقلاني الأصل، المصري، الشافعي، أدام الله النفع به، آمين. انتهى.

والشهاب هذا هو الذي رأى والده في النوم بعد وفاته، فسأله عَنْ أشياء من جملتها: أيهما أفضلُ: الاشتغال بالفقه أو الحديث؟ فقال: الحديثُ بكثير.

[ابن درباس]

ومنهم: المحدث الفاضل أبو إسحاق بن درباس. فقرأت بخطه:

حدثنا شيخنا الشيخ الإمام العلامة، شيخ الشيوخ، حافظ عصره ووحيد دهره. ومرة أخرى في طبقة سماعاً على ابن الكويك، مؤرخة بمحرم سنة ثلاث عشرة، بقراءة شيخنا الشيخ الإمام العالم العلامة، أقضى القضاة، شيخ الإسلام، أبي الفضل أبقاه الله تعالى للمسلمين.

---

(١) في الأصول: «المفنن»، وما أثبتناه من خط المصنف على نسخته من «تغليق التعليق». انظر ١/٢٢٦ ـ ٢٢٧ من الكتاب.

[ابن ظهيرة المكي]

ومنهم: العلامة الحافظ جمال الدين أبو حامد بن ظهيرة المكي رحمه الله، فقرأت بخطه على بعض تخاريج صاحب الترجمة ما نصه:

وقفت على هذه اللآلي، وتحققت ما اشتملت عليه مِنَ العوالي، فألفيتها جواهر مكنونة ودرراً مصونة، وذخائر شملت مُخَرِّجها مِنَ الله المعونة، فعوَّذتُها بربِّ الفلق مِنْ شرِّ حاسد إذا حاسد. وقلت عند نظري فيها: لا يقدِرُ على هذا التَّخريج أحد. فيا لها مِنْ أحاديث صحاح وحسان، وواهاً عليها مِنْ آثار يقف عن تخريج مثلها كلُّ إنسان. فلله قوله في الخطبة: «واتَّصلت فانقطعت». وما أحسن قوله بعد ذلك: «وعلت». ولله العجب مِنْ قوله: ما يهز اللبيب على سماعه عطفاً، ويعلم أن مائة صابرة مِنْ مروياتي تغلب ألفاً. ولا شكَّ أن للكلام ملوكاً، وهذا مِنْ مُلوكه. وأنَّ هذا مقامٌ تعجزُ قرائحُ أهل هذا الزَّمان عن سلوكه. وتلوتُ حين قضيتُ العجب مِنْ هذه العلوم: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾.

ولا بِدْعَ، فإن مخرِّجها فاق الأقران، وسما على أبناء الزمان. تقابلت فيه الأوصاف حُسناً، وجمع أشتات الفضائل، فنال منها المحل الأسْنَى. وتضلَّع مِنَ العلوم الشريفة والآداب[1]، وحوى مِنَ المراتب السِنِيَّة ما يعلو على السَّحاب. زاده الله تعالى مِنْ فضله، وجعله وإيَّايَ مِنْ خيرِ أهله. بمنِّه وكرمه آمين.

كتبه محمد بن عبد الله بن ظهيرة القرشي الشافعي المكي، لطف الله تعالى به. ومِنْ خطِّه نقلت.

وكانت مراسلاته ترِدُ على صاحب الترجمة مِنْ مكَّة، لمزيد اختصاصه به، ووثوقه بمحبَّته وصحبته، بحيث إنه أنشد في بعضها، كما قرأته بخط شيخنا الزَّين رضوان المستملي [مؤرخة محرَّم سنة ثلاث عشرة: بقراءة شيخنا العلاَّمة أقضى القضاة، شيخ الإسلام أبي الفضل أبقاه الله تعالى

---

(١) في (ب): «في الآداب».

للمسلمين][1] قول الشيخ أبي إسحاق الشيرازي.

سألتُ النَّاسَ عن خِلٍّ وفيٍّ ... فقالوا: ما إلى هذا سَبيلُ
تمسَّكْ إن ظفرت بُودَّ حُرٍّ ... فإنَّ الحرَّ في الدُّنيا قليل[2]

[الفيروزآبادي]

ومنهم العلامة أصمعيُّ زمانه، المجد الفيروزآبادي اللُّغوي. فقرأت بخطه على «تغليق التعليق» لصاحب الترجمة:

مخرِّج هذه الزهرات من الكمام، ومُعير عقود هذه الكلم نسَق النظام، ومظهر سلسال زلال الفضائل من أشرف حجَر، ومجرى الجواري[3] المنشآت في بحر فضل فيه معتَبرٌ لمن عبر. قد ملك مِنَ الفضل نصاباً، واطلع في برقع في الحفظ شهاباً، وأظهر لأبلغ الثَّناء استئهالاً واستيجاباً، أتى مِنْ تسلسل أنفاسه بنفسيةٍ، صارت لديباجة المسندات طرازاً، ولطالبي كنز الحديث مِنَ الحجر المكرَّم مِنْ كلامه ركازاً. جلا بشهاب فضله عَنْ وجه الإسناد ليلَ كلِّ مشكلٍ بهيم، واستجلب مِنْ غُرَرِ المسانيد أخبارَ كلِّ حديثٍ وقديم. أبدى بديعاً شهر في بالإجادة[4] في الإفادة صيته. ومال إلى جانب جنابه أخدعُ الفضل وليته، فخُصَّ من الفُضلاء بتنويهٍ ذكر له به استحقاق، واستحسن اجتهاده في تخريج الأحاديث التي علت على السَّبع الطباق. سلك في ذلك مسلكاً يُنشر ذكره على ممر الزمان ويؤرخ. وكافور القرطاس بغالية الأنفاس في معناه يُضمَّخ. فكأن ما زواله من الاختراع، كان له على حبل الذراع، استمطر له من عَارِضٍ عارضته مدراراً. وأحيا مِنْ دارس معالم الحديث ما أرانا بعد العشيَّة عراراً، معرفاً أبناء جلدته أنَّ وحي

---

(١) ما بين حاصرتين لم يرد في (ط).

(٢) من قوله: «وكانت مراسلاته» إلى هنا، لم يرد في (ب) أضافه المصنف بخطه في هامش (ح).

(٣) في الأصول: «الجواهر»، والمثبت من خط المصنف على منسوخته من «تغليق التعليق».

(٤) في (ب، ط): «بالإجازة».

إبداع الفضائل بعد لم ينقطع، وسلوك طريقة الإعجاز أصلاً ورأساً لم يمتنع. ولا غَرْوَ، فإنَّه الفاضلُ الذي فضلُه لا يُنكر، وتحريره للفضائل اجتهادُه فيها قد نطق وأخبَر، وعلِيُّ حِجْر مقامه العالي مِنْ بيت الفضل بحَجَر حِجْرِه حجَر، زاده الله فضلاً وتأييداً أبد الأبيد، وجعله مِنْ جِلَّة أئمة تروي ألسُنُ الرُّواة عَنْ علومهم أعلى الأسانيد، وينابيع مواهب الله بهم تُسقي القريب مِنَ المستفيدين والبعيد.

قاله وخطَّه الملتجىء إلى حَرَمِ الله تعالى، محمد بن الفيروزآبادي، تاب الله عليه. ونقلته من خطه.

وكتب له تصحيحاً على طبقة بخطه ما نصُّه:

صحيح ما قاله، واصَلَ الله إلى منازل العِزّ إرقاله. وكتب الملتجىءُ إلى حَرَمِ الله محمد الفيروزيآبادي، أصلح الله أحواله.

[حميد الدين التركماني]

ومنهم: المحدث حميد الدين حماد التُّركماني الحنفي، فقرأت بخطه في آخر الجزء الأول مِنْ «أطراف مُسند الإمام أحمد»، تصنيف صاحب الترجمة ما مثاله:

نجز الجزء الأول من كتاب «إطراف المعتلي بأطراف المسند الحنبلي»، تأليف شيخنا الإمام العلامة الحافظ الناقد، فريد عصره شهاب الدين أبي الفضل أحمد ابن شيخنا الإمام العالم البليغ نور الدين أبي الحسن علي العسقلاني الشافعي، بارك الله في عمره، ليجمع شملَ هذا العلم بعد شتاته، وليحييه بعد مماته. فقد بلغ ـ بحمد الله ـ مِنَ البداية الغاية والنهاية، وجعله الله في علم السُّنَّة آية. فلو وقف على هذا التَّصنيف الذي لم يُسْبَق إليه، ولا عوّل أحدٌ من الأئمة الحفّاظ عليه، صاحبُ «المسند» الإمام أحمد، لحمده وشكره. أو القَطِيعيُّ، لقطع في تحصيله عمره. أو ابن المذهِّب لذهب إليه وسطّره، أو أبو القاسم بن

الحصين، لراغ عن[1] غيره ونظره، أو راويه حنبل، لعظَم مؤلفه وبجَّل. أو الموفق ابن قُدامة، لسعى إليه وقبّل أقدامه، أو الحافظ الذهبيُّ لرحل إليه وحرَّر «ميزانه» بين يديه. أو المِزِّيُّ، لاستحلى عذب كلامه، وأعجبه إنسان نظامه، أو ابن رافع، لرفع لهذا الإمام لواء الأعلام، وعلم أنَّه من الملوك الأعلام. فالله يُبقيه ليجدِّدَ ما عفا مِنْ هذا الفنِّ بعد دُروسه، وليمتِّعَ أهلَ العلم بما يبديه مِنْ فوائده ودُروسه، ويحلُّه إن شاء الله بفضله ومنِّه[2] دار الأمان. ويشهد له بما علَّمه وعمله «لسان الميزان» إن شاء الله تعالى، آمين، آمين.

[عز الدين ابن جماعة]

ومنهم: العلامة الفريد عز الدين محمد بن أبي بكر بن جماعة رحمه الله، شهد لصاحب الترجمة بالتقدم كما تقدم في الباب الثَّاني[3].

[كمال الدين الشُّمُنِّي]

ومنهم: العلامة كمال الدين محمد بن محمد بن حسن الشُّمُنِّي، فقرأت في خطبة «شرحه للنُّخبة» تصنيف صاحب الترجمة الذي سماه «نتيجة النظر في نخبة الفكر» وانتهى في رمضان سنة سبع عشرة وثمانمائة قبل وضع المصنِّف شرحه عليها ما نصه:

فإنَّ الكتاب المسمى «بنخبة[4] الفكر في مصطلح أهل الأثر» من مصنفات الشيخ الإمام مفتي الأنام، مالك ناصية العلوم وفارس ميدانها، وحائز قصب السبق في حَلْبة رهانها، الوارد من فنون المعارف أنهاراً صافية، اللابس مِنْ محاسن الأعمال ثياباً ضافية، حافظ السُّنَّة من التحريف والتَّبديل،

---

(١) في (أ): «من».

(٢) في (أ): «بمنّه وكرمه».

(٣) ص ١٣٨.

(٤) في (ط): «نتيجة»، تحريف.

المرجوع إليه في عِلْمَي التَّجريح والتعديل، وحيد دهره في الحفظ والإتقان. فريد عصره في النَّباهة والعرفان، فيلسوف علل الأخبار وطبيبها، إمام طائفة الحديث وخطيبها، المقدَّم في معرفة الصحيح والسقيم مِنَ الخبر، أبي الفضل شهاب الدين ابن حجر. حرس الله هذا الشِّهاب كما حرس به سماء السُّنَّة، وبوَّأه أبهى المنازل مِنْ غُرف الجنة، وجعل سعيه في العلم مشكوراً، وجزاه بما صنف فيه جزاءً موفوراً. قد رتبه ترتيباً بديعاً، وسلك في تهذيبه مسلكاً منيعاً، فهو ـ وإن صَغُرَ حجمُه ـ كُنَيفٌ مُلىء علماً، غير أن ألفاظه ضاقت بمعانيه صدراً، وعلت عبارته عَنْ فهم المبتدئين قدراً، لأنه:

يُشير إلى غُرِّ المعاني بلفظه ... كحِبٍّ إلى المُشتاق باللَّحظ يرمِزُ

لا جرم أن المشتغل به يحتاج إلى فكِّ رمزه، ورفع المانع عن الوصول إلى جواهر كنزه. ولم يكن عليه شرحٌ يستعين به الطَّالب، ويتوصل به إلى نيل ما فيه مِنَ المطالب. فلذلك ندبني الإمام المصنِّفُ لشرحه، وحلِّ مُقفل لفظه وفتحه. فانتدبت له مستعيناً بالله سبحانه وتعالى على ذلك، وسلكت[1] في شرح معانيه، وحلِّ تركيب مبانيه، أقرب المسالك. وأنا أسأل مِنْ فضله أن يلحظه بعين رضاه، وإن لم يكن موافقاً سنن هواه، فإن بضاعتي في العلم مُزْجاة، والاعتراف عند الكرام مِنَ اللُّوم منجاة. وأرغب إلى كلِّ فاضل يقف على هذا التصنيف أن يُصلِحَ ما وجد فيه مِنْ خَلَل أو تحريف، فإن التعاون على البرِّ والتقوى مطلوبٌ. والمجتهد إذا أخطأ له نصيبٌ من الأجر مكتوب. والله أسأل أن ينفع به حالاً ومآلاً. ولا يجعل ما علَّمنا مِنَ العلم علينا وَبَالاً، فإنَّه على كلِّ شيء قدير، وبالإجابة جدير.

ورأيت بخطه «فهرست النُّخْبَة»، وصف مؤلفها بسيدنا وشيخنا، الشيخ الإمام العالم العلامة، شيخ المحدثين، أوحد الحفَّاظ، رُحْلة الطالبين. وقال في موضع آخر منها: عمدة المحدِّثين.

---

(١) في (أ): «وسلك»، خطأ.

[جمال الدين الأقفهسي]

ومنهم: العلامة القاضي جمال الدين عبد الله بن مِقْداد الأقفهسي المالكي، شارح «الرسالة». كتب له تقريظاً على «الاستنصار»، رأيته، لكني لم أكتبه.

[جلال الدين البلقيني]

ومنهم: العلامة شيخ الإسلام جلال الدين أبو الفضل البُلقيني رحمه الله فقرأت بخطِّه على الجزء الثالث مِنْ «تغليق التعليق» ما صورته.

الجزء الثالث من «تغليق التعليق» جمع الشيخ الإمام العالم العلامة، المحدث الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي، الشهير بابن حجر، العسقلاني الأصل، المصري المولد والمنشأ، نفع الله به وبعلومه وبفوائده. انتهى.

وكان كثيرَ التَّعظيم لصاحب الترجمة جداً، وقد لقَّبه بالحافظ غيرَ مرَّة. فمن ذلك ما تقدَّم عند ذكر أبيه[1]، ومنه في موضعين مِنَ التَّرجمة التي جمعها لوالده، بل شهد له بأنَّه حافظُ العصر، حيث قال في أول قصيدة مِنْ نظمه أجابه بها عن لغزٍ طارحه به.

أحافظ هذا العصر يهناكُم البِشْرُ ... بِجَمْع علومٍ فاحَ مِنْ طَيِّها النَّشْرُ

وقرأت بخطِّه إذنه له بالتدريس والإفتاء. فذكر الخطبة، إلى أن قال: ممَّن فاق الأقران في علم الحديث النَّبوي على قائله أفضلُ الصلاة والسلام، وخرَّج العوالي، فارتقى ذِرْوَة السَّنام، ورحل في طلب الحديث إلى بلاد الشام، بعد أن حصّل نُخبةَ شيوخ عصره بمصر والقاهرة. واجتهد في التَّحصيل بهمَّة ظاهرة، وفكرة باهرة، ثم أخذ في تحصيل الفقه بحُسن القريحة، والفكرة الصَّحيحة. فحضر دُروس شيخ الإسلام، وحصل له مِنْ فوائده (أوفر السِّهام)[2]. ثمَّ لازمني مدَّة، وإن كانت قليلةً، فهي بالنِّسبة إلى

---

(١) ص ٢٦٧.

(٢) ما بين قوسين ساقط من (ب).

فضائله التي جَمَعَ جليلة. ووقفتُ له على إيصال تعليقات البخاري مُسْنَدَة، وقد حقَّق في ذلك متنه وسنده. فعند ذلك استخرتُ الله تعالى، وأجزته بالتَّدريس والفتوى بما يتحقَّقُه ويعلمه مِنْ مذهب الإمام الشافعيّ، عاملاً في ذلك بتقوى الله تعالى. فإنَّه مَنْ سلك التَّقوى نجا ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢]، وتلفَّظْتُ له بذلك في يوم الإثنين الخامس عشر من شهر شوال سنة إحدى وثمانمائة. وكتبه عبد الرحمن البلقيني، ومن خطه نقلت. ولولا ضياع ورقة من الإجازة، لأتيت بها تامَّةً، فلله الأمر.

وكتب المذكور لصاحب الترجمة يهنئه بولاية إفتاء دار العدل في سنة إحدى عشرة قوله:

هنِّئت بالإفتاء والتدريس والـ ـعلم الَّذي أضحى عليك مُسهَّلاَ

في أبيات.

وكتب له تقريظاً بالغاً على «الاستنصار» ما هو الآن عندي.

وكان إذا حضر عنده في الميعاد. أو في الختوم أو غير ذلك، يجلس بجانبه، سواء فوق الشيخ شمس الدين البرماوي، أو غيره ممن يوازيه. وربما يحضر الوليُّ العراقي، فيجلس بالجانب الآخر، بحيث يكون القاضي بين الشيخين.

[نفيس الدين العلوي]

ومنهم: مُحدث اليمن نفيس الدين العلوي، فوصفه فيما قرأته بخطه[1] في طبقة سماع لبعض ما قرأه عليه سنة ثمانمائة، بالفقيه الإمام العالم العلامة[2] الحافظ شهاب الدين أبي الفضل، ابن الفقيه الإمام نور الدين، صدر المدرسين، فسح الله في مدته.

---

(١) «بخطه» ساقطة من (أ).

(٢) ساقطة من (ب، ط).

[وفي موضع آخر بصاحبنا الشيخ الفقيه الصالح العالم الرَّحَّال المحدث، شهاب الدين نفع الله به][1].

وقرأت بخطه أيضاً: قَدِمَ علينا الشَّيخُ المحدِّث الفاضل البارع المفيد المجيد، شهاب الدين أبو الفضل أحمد ابن الشيخ الإمام الأوحد نور الدين مفتي المسلمين أبي الحسن، فسح الله في مدته، ديارنا هذه، واجتمعت به بمدينة تَعِز المحروسة في ربيع الآخر مِنْ سنة ثمانمائة، ثمَّ قَدِمَ إلى عدن، ثُمَّ سافرتُ إلى زبِيد في سابع جمادى الأولى مِنَ السَّنة، فقدِمَها علينا في يوم الجمعة ثالث عشري[2] شعبان، وناولني، يعني: كتابه «المائة العشاريات» تخريجه للتنوخي، فحصلته، ثمَّ قرأته عليه في يوم الأربعاء ثامن عشري الشهر المذكور.

وقرأت بخطه أيضاً ما معناه أنَّ شيخنا كتب «التقييد في معرفة رواة المسانيد» لابن نقطة في خمسة أيام. وطالع هناك «طبقات ابن كثير»، وانتقى منها، وعلَّق مِنْ كتبهم شيئاً كثيراً في مدَّة قليلة، كثَّر الله أمثاله. فلم ترَ عيني مثله، فالله يصلِحُه، مع صغر سنِّه، ويجمِّلُ حاله، ويعيده إلى مصر سالماً غانماً.

وكتب للنَّفيس بخطه «شرف أصحاب الحديث» للخطيب. ونسخ النَّفيسُ بخطه نسخةً من نسخته «مشيخة الفخر»، صارت ولله الحمد مِلْكي.

[أبو زرعة العراقي]

ومنهم: العلامة الحافظ الناقد شيخ الإسلام ولي الدين أبو زُرعة، ابن شيخه العراقي، رحمهم الله. فقرأت بخطه على بعض تخاريجه ما صورته:

وقفت على هذا التَّخريج الذي لا مِثْلَ له. ووقفتُ عند ما تضمنَّه مِنَ المحاسن المُجْمَلة والمفصَّلة، واعترفتُ بأنَّه المجموع الجامع للفوائد،

---

(١) ما بين حاصرتين لم يرد في (ب).

(٢) في (أ): «عشر».

والبحر الجاوي للفرائد، وقضيتُ العجب مما حواه، لمَّا أمعنت النظر فيما رواه. وكيف لا يكونُ بهذه الأوصاف الزاهرة، وهو صادرٌ عَنْ صاحب الفضائل الباهرة، الشيخ الإمام، والسيد الهمام، ذي الأوصاف الحميدة، والمناقب العديدة، جمال المحدثين، مفيد الطالبين، شهاب الدين أبي الفضل، أفاض الله عليه مِنْ فضله، وجمع له بين وابِلِ الخير وطَلِّه. فما هي إلا فوائدُ تُضْبَطُ، وما هو إلا مفيد يُغبط. فلقد ظهرت بهذا التَّخريج فوائده الجمَّة، لما أبدى فيه مِنَ الفوائد المهمة. ولقد سلك طريقَ السَّلف الماضين، والأئمة المتقدمين، فيا حُسْنَ ما انتقى، ويا عُلُوَّ ما ارتقى. لقد حلَّ هذا الشهاب محل الشُّهب الثواقب، وصار فضله في الخافقين مَسِيرَ الكواكب. فكم له محاسنُ لا تُنكر، وفضائل لا شاذٌّ فيها ولا مُنْكَر. فشكر الله سعيَه، وأدام رعيَه. ونفع به المسلمين، وأبقى له ذكراً إلى يوم الدين.

كتبه أحمد بن عبد الرحيم ابن العراقي، ومن خطِّه نقلتُ.

وقرأت بخطه أيضاً على الجزء الرابع مِنْ «تغليق التعليق» ما صورته:

الجزء الرابع من «تغليق التعليق» جمع سيدنا الشيخ الإمام العلامة الحافظ الناقد مفيد الوقت[1]، شهاب الدين، مفتي المسلمين، أبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر الشافعي، نفع الله بفوائده. آمين.

وقرأت بخطه في «ترجمته» التي جمعها لوالده عند ذكره أعيان طلبته الآخذين عنه علم الحديث ما مثاله: وآخرهم: الحافظ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حَجَر، صحبَه مِنْ سنة ست وتسعين وسبعمائة، وتخرج به وتَنَبَّه، وفهم هذا الشَّأن كما ينبغي. وخرّج وصنَّف وأفاد.

وفيها أيضاً ما مثاله ونقلته من خطه:

ومما رثاه به الإمام الحافظُ النَّاقدُ أبو الفضل أحمد بن علي بن حَجَر، فذكر مرثيَّته القافية الآتي الإلمام بذكرها إن شاء الله تعالى.

---

(١) في (أ): «المسلمين».

وقرأت بخطه في «تصنيفه» الذي ذيَّل به على «العِبَر» للحافظ الذهبي، حيث أرَّخَ وفاة والد صاحب الترجمة ما نصه: والد صاحبنا الإمام شهاب الدين.

وكذا أثبته بخطه فيمَنْ حضر عنده المجلس التاسع عشر من «أماليه»، بقوله: والإمام الحافظ نفع الله به.

وحكى شيخي بالإجازة الشيخ الثقة شمس الدين ابن المصري ـ رحمه الله ـ أنه سأل الحافظ ولي الدين عن قول البخاري تعليقاً: ورحل جابرُ بن عبد الله مسيرة شهرٍ، ما حكمه؟ ومِنْ أي مكانٍ كانت الرحلةُ؟ وإلى مَنْ رحل؟ فقال له: أي شيء ذكر ابن حَجَر؟ قال: فذكرتُ له كلامه، فقال: هو المتفرِّد بذلك والمرجوع إليه فيه، وأمَّا في المتون، فيمكن مشاركته.

وسمعت أنَّ الشيخ نور الدين بن سلامة التمس مِنَ الوليِّ المذكور حيثُ حجَّ سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة، تلقيب قاضي مكة[1] الشافعي إذ ذاك بالحافظ، فقال: لا أعلم مَنْ يستحقها بمكة غير التقي الفاسي، وبالقاهرة غير ابن حَجَر. ولهما ثالث: فيقال: إنه أراد به نفسه.

وحكى لنا الإمام الفرضي زين الدين البُوتيجي ـ رحمه الله ـ قال: استشرتُ شيخنا شيخ الإسلام ولي الدين حين أمرني أن أطوف بولده للعرض على المشايخ، فيمن يبدأ به، فقال: بالشيخ شهاب الدين ابن حجر. قال: وكان ذلك في سنة ست وعشرين وثمانمائة، قبل وفاة الشيخ بيسير، رحمهم الله وإيانا.

[شمس الدين ابن الديري]

ومنهم: قاضي القضاة العلامة شمس الدين ابن الدِّيري الحنفي، فكتب على «الاستنصار على الطاعن المعثار»، الذي ردَّ فيه على العَيْنِيّ ما أورده

---

(١) في (أ): «قاضي القضاة».

في خطبة «شرحه للبخاري» على خُطْبَتي شيخنا لشرحيه على الكتاب المذكور، كتابةً جليلةً ما هي الآن عندي.

[شرف الدين التَّبَّاني]

ومنهم: العلامة شرف الدين يعقوب بن جلال التَّبَّاني[1] الحنفي، فقرأت بخطه على «الاستنصار» في أثناء كلامه، قال:

وأمَّا السائل نفع الله به المسلمين، وأدام به النفع، آمين. فشرحه على «الجامع الصحيح» مِنْ أحسن الشُّروح وضعاً، وأكثرها جمعاً. ولقد طالعتُه، فظفرت فيه بفوائدَ حسنةٍ، ووجدته أحسن في ترتيبه، وأجادَ في تهذيبه. وأبرز فيه معاني لطيفة، وفوائد حديثية حَسَنة شريفة. جمع فيه فأوعى، ودعا المعاني الأبيَّة، فقالت: سمعاً وطوعاً. فغدوتُ أسير في رياض مُونقة، وأغصانٍ مُورقة. ولا يُنْكَرُ ذلك عليه. فإنَّه العالم النِّحرير والبحر الكبير، ظاهر الأسرار، مُورق الأشجار، جاري الأنهار بالفوائد الغزار، كم من طالب هرع إليه، فقال خيراً، وكم مِنْ مجلسٍ حضر، فما زالت فوائدُه تُذْكَرُ دهراً. فالله تعالى يُبقيه ليُنتفع به، بمحمد وآله.

[ابن مغلي]

ومنهم: العلامة العلاء علي الحموي بن مُغلي الحنبلي، فقرأت بخطه على «الاستنصار» أيضاً كتابة مطوَّلة، قال فيها:

وأما ما يتعلق بكلام السائل أدام الله بقاءه، وضاعف ارتقاءه، فليس في الخطبتين المنصُوصتين في السُّؤال، ولا في ديباجتيهما شيءٌ مما نُسب إلى ذلك البعض المبهم، ولا دعوى أنَّه امتاز شرحُه على شرح مَنْ تقدَّم. بل نبَّه على طريقه في تأليفه، وجرى على سنن أهل العلم في التَّنبيه على فوائد مصنفاتهم في أوائلها، لبعث همَّةِ الطَّالب. وتحريضه وتأليفه، وبالله إنَّه

---

(١) ساقطة من (أ).

لجديرٌ بالصِّدق في مقاله، حقيقٌ بالقيام بأعباء هذا الشرح وحمل أثقاله. فإنَّ إمامَتَه في علم الحديث لا تُنكر، وتحقيقه فيه أشهرُ مِنْ أن يعرَّف به ويذكر، وحفظُه للرجال وطبقاتهم وتَعْدِيلهم وتجريحهم سَمَا فيه على أهل عصره، واستحضاره للأسانيد والمتون من أمهات الكتب لا يدرك قرار بحره[1]. وفهمه الصحيح في المعاني والحكم الفقهيات لم يتَّصف بحسنه إلا بنات فكره، وسواء أكان هو المعنيَّ أم غيره بالبعض. ولا ينبغي أن يُعَامَلَ مَنِ اتَّصف بخدمة العلم وتحصيله بالبعض. . . . إلى آخر كلامه.

وهي كتابة جليلة، شفى فيها الغليل بأوضح بيان وأحسن تعليل. رحمه الله وإيانا.

وسيأتي في المطارحات مِنْ نظمه وصفه بأنَّه حافظ الورى.

[البدر البشتكي]

ومنهم: العلامة أديب العصر البدر البشتكي رحمه الله وعفا عنه.

فقرأت بخطه حيث ترجمه في كتابه المسمى «بالمطالع البدرية لمن اشتهر بالصِّناعة الشِّعرية»، وصفه بالشيخ الإمام العلامة المحدث الحافظ، أوحد زمانه، وسيِّد أقرانه، ذي التَّصانيف المفيدة، والفضائل العديدة. والحافظة المُفرطة المجيدة، الذي ابتسمت تصانيفُه عن شَنَب الإجادة، وقضت له صفاته الحسنى بالزِّيادة، الفقيه المحدِّث، الشاعر الناظم، الناثر الأديب، الكاتب المنشىء، أبو الفضل الملقب شهاب الدين.

إلى أن قال: طوَّف البلاد، وارتحل إلى اليمن ومكة والاسكندرية والشام، وطلب الحديث وبرع فيه، وتفرَّد في أسماء رجاله. وصنَّف في ذلك التصانيف المُشْبِعَة، وعُني بفهم الحديث وتحقيق ألفاظه وضبط الأسماء الواقعة فيه، وتقدم نظراءه، وشارك في بقية العلوم المشاركة الجليلة. وله النظم الرائق، والنثر الفائق. وكتب الخط الحسن طريقة الشيخ جمال الدين

---

(١) في (أ): «تحريره»، تحريف.

محمد بن نباتة المصري، وكتب به الكثير. ثم ذكر شيئاً من وظائفه.

إلى أن قال: وهو حَسَنُ الوجه، لطيف المعاشرة، مُحِبٌّ للطلبة، له ثروة، وحصل له إقبال مِنْ أعيان الديار المصرية، وما نزل ببلدة إلا وأقبل عليه كبراؤها وأدْنوه منهم. حدَّث وروى كثيراً عن كثير، وأجاز له خَلْقٌ، ثم ذكر نبذة من أسماء شيوخه.

إلى أن قال: وأخذ عنه جماعةٌ، وأخذت أنا عنه، وشرعتُ عليه في قراءة «صحيح الإمام البخاري» في شهر رمضان سنة إحدى عشر وثمانمائة، جزاه الله عنِّي أفضل الجزاء.

ثم ذكر شيئاً مِنْ مصنَّفاته، وقال: وفيما ذكرناه كفاية في شرف مكانه، وعلوِّ كيوانه وله المدائح الجيدة في أعيان العصر، والمطارحات الحسنة لأهل الأدب. وساق أشياء من ذلك، سأذكرها في محلِّها إن شاء الله تعالى.

إلى أن قال عقب بيتين، وفيهما دليل على رُسوخ قدمه وطول باعه في هذا الفن، فللَّه درُّه مِنْ شاعرٍ ما أعلمه، وعالمٍ ما أشعره.

وسيأتي في المطارحات قوله:

أيـــا شـــهـــابـــاً رقـــى فـــي الـــعـــلا

[الشمس البرماوي]

ومنهم: العلامة المفنَّنُ الشمس البرماوي رحمه الله، فقرأت بخطه على «الاستنصار» بعد ديباجة قدَّمها ما نصُّه:

وبعد، فقد نظرت في الخطبتين المذكورتين، متأملاً محاسن مساقهما، متدبِّراً عذب ألفاظهما وبديع اتساقهما، فلم أر فيهما ما ادعى في الإعابة، ولا دعوى ولا غضًّا مِنْ شارح يَحيدُ عَنِ الإصابة، بل ما حكى مِنْ كلمات العائب هي المشتملة على كثيرٍ مِن المعايب، لا سيما ما غمص به من قبله، فحق أن يتمثل له بـ:

لا تـنـه عـن خُـلـقٍ وتـأتـي مِـثـلَـه

على أن مؤلف الخطبتين جلالتُه مشهورة، وإمامتُه في هذه الفنون مأثورة، لا يجحدُها إلا غبيٌّ أو معاند. أو مَنْ حَمَلَهُ الغِلُّ، فهو حاقد حاسد، إلى آخر كلامه.

[التَّقيُّ الفاسي]

ومنهم: العلامة الحافظ التقي أبو الطيب الفاسي المكي، فقرأت في كتابه «ذيل التقييد» لابن نقطة، حيث ترجم صاحبَ الترجمة بترجمةٍ هائلةٍ، قال فيها:

وبالجملة، فهو أحفظُ أهل العصر للأحاديث والآثار وأسماء الرجال، المتقدمين منهم والمتأخرين، والعالي مِنْ ذلك والنازل. وصنَّف عدَّةَ تصانيف في عِلَل الأحاديث، وبراعتُه حسنةٌ في الفقه وغيره، ويُبدي في دروسه للفقه أشياء حسنة. قال: وله مِنْ حُسْنِ البِشْر وحلاوة المذاكرة والمروءة، وكثرة العناية بقضاء حوائج أصحابه ما كَثُرَ الحمدُ له بسببه. زاده الله توفيقاً وفضلاً. وقد انتفعتُ به في علم الحديث وغيره كثيراً، جزاه الله عنا خيراً. انتهى.

والتقيُّ الفاسيُّ كثيرُ النقل عن شيخنا في تصانيفه، وقال في «تصنيفه» في ابن عربي ما نصُّه:

وقد سمعتُ صاحبنا الحافظ الحجة القاضي شهاب الدين أبا الفضل، وهو الآن المشارُ إليه بالتقدُّم في علم الحديث، أمتع الله تعالى بحياته ـ يقول: فذكر شيئاً.

وقال في تصنيفه «إيضاح بغية أهل البصارة في ذيل[1] الإشارة»

---

(١) في (ب): «دلائل». وكتاب الذهبي هو الإشارة إلى وفيات الأعيان المنتقى من تاريخ الإسلام، منه نسخة في المكتبة الأحمدية بحلب رقمها ٣٢٨، وعنها مصورة في معهد المخطوطات بالقاهرة. وللذهبي أيضاً كتاب ذيل الإشارة إلى وفيات الأعيان.

للذهبي، لمَّا ذكر والدَ صاحبِ التَّرجمة ما نصه:

وهو والد صاحبنا ومفيدنا الشيخ الحافظ الكبير شهاب الدين أحمد بن حَجَر، أمتع الله بجماله.

وقال أيضاً في ترجمة ابن بُصْخان من الكتاب المذكور: وذكره شيخُنا العلامة الحافظ، قاضي القضاة، شهاب الدين أحمد بن حَجَر العسقلاني، أبقاه الله تعالى في «المعجم» الذي خرَّجه لشيخنا البرهان الشَّامي.

ووصفه في طبقةٍ تاريخُها شعبان سنة اثنتين وثمانمائة، بالشَّيخ الإمام العلامة الأوحد، مفيد الطالبين، فخرُ المحدثين، جمال الأدباء، أدام الله النفع به آمين.

قلت: وأخبرني شيخنا العلامة أبو إسحاق بن خضر العثماني تلميذ صاحب الترجمة رحمهما الله أنَّه سمع التَّقيَّ المذكور يقول عند وداعه حين سفره مِنَ القاهرة إلى مكة ما لفظه: إنَّ الله لا يَسْتَحْيِي من الحقِّ، ما رأينا مثلَ الشَّيخ شهاب الدين ابن حَجَر، قال: فقلت له: ولا شيخكم العراقي؟ فقال: ولا العراقي: رحمهم الله أجمعين[1].

[تقي الدين الكرماني]

ومنهم: العلامة تقي الدين يحيى ابن شيخ الإسلام الشمس الكِرْماني رحمه الله، فقرأت بخطه على استدعاء ولد صاحب الترجمة وإخوته ما نصه:

المستدعي الشيخ العلامة الحبر البحر الفهامة، أسبغ الله ظلَّه الوارف، وصرف عَنْ ساحته الصوارف، حسبما أشار به ورسم، وهو أولى بأن يُجيزَ لكاتبه وغيره مِنْ فضلاء الأمم، إلى أن قال: أسبغ الله ظلَّ والدهم عليهم وعلى كاتبه.

---

(١) أشار المصنف إلى هذه الحكاية في ترجمة التقي الفاسي من الضوء اللامع ٧/١٩، وذكر أنه بينها في «الجواهر»، يعني هذا الكتاب.

وبخطه على الكراس الأول من كتاب «الأوائل» تصنيف صاحب الترجمة ما مثاله:

يا كاملاً جمع الفواضلَ والفضائلْ ... ومسدِّداً فاقَ الأواخرَ والأوائلْ
بأوائلٍ رتَّبتَها وسردْتَها ... مشحونة طُرًا بأنواع الدَّلائلْ
أبديتَ عِلْمَاً للأنام مُنوَّعاً ... قسماً لقد فُقْتَ الأوائِلَ بالأوائلْ

[قلت: وقد اختصر[1] التقيُّ الكتاب المشار إليه حسبما وقفت عليه، وقال: إنَّه لخَّصه مما لخَّصه الشيخ العالم شهاب الدين أحمد بن حَجَر مِنْ مؤلَّف الإمام العلامة بدر الدين محمد بن عبد الله الشبلي، ورتَّبه الشيخ شهاب الدين ابن حَجَر على أبواب الفقه، وذكر حال رجال أسانيد ما يرد مِنَ الأوائل.

قال الكرماني: وقد أضفتُ إلى ذلك فوائد متفرقة في كل محلٍّ، رحمهم الله][2].

[المجد البرماوي]

ومنهم: العلامة المجد إسماعيل البرماوي رحمه الله تعالى، فأخبرت عنه أنه كان يقول: بموته تموت الشريعة.

وكان أيضاً يقول ـ على ما أخبرني به الثقات مِنْ أصحابه ـ: من سبعين سنة ما رأيت مثله ولا رأى هو مثل نفسه.

قلت: وما أظنُّه إلا قصد أنه ما رأى مثله.

[ابن الجزري]

ومنهم: شيخ القراء الشمس أبو الخير ابن الجَزَري ـ رحمه الله ـ

---

(١) في (ط): «أحضر»، تحريف.

(٢) ما بين حاصرتين لم يرد في (ب)، وورد في هامش (ح) بخط المصنف.

فقرأت بخط صاحب الترجمة على كتابه الذي سماه «القول المسدَّد في الذَّب عن مسند أحمد» ما صورته:

ذكر لنا بعض أصحابنا أن الشيخ شمس الدين ابن الجزري لمَّا رجع إلى شيراز في سنة اثنتين وثلاثين، وكان قد حصَّل نسخةً مِنْ هذا الكتاب، فكتب جزءاً على سبيل التذييل عليه، وقال في خطبته:

فإني وقفت على «القول المسدد»، والدر المنضَّد، الصادر عن الحافظ أحمد، في الذَّب عن «مسند الإمام أحمد»، فإذا أنوار [فوائده مِنْ علياء حضرة الشِّهاب تتَلالَى، وأبكارُ][1] فوائده مِنْ لَدُن هذا الحبر البحر تتَغالى وتتعالى. قال: ولسان الحال يقولُ في الحال: (هكذا هكذا وإلا فَلاَلا) أبقاه الله تعالى، وزاد فضائله وفواضله جمالاً وجلالاً.

ولقد أتى فيه بما لا مزيد عليه اطلاعاً وتحقيقاً، واستحضاراً وتدقيقاً، أمتع الله المسلمين بوجوده، آمين.

وكتب ـ فيما قرأته بخطه ـ على المجلد الأول من تصنيفه «النشر في القراءات العشر» ما نصه: هديةٌ مِنَ العبد الفقير إلى رحمة الله تعالى، محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن الجَزَري مؤلفُه، عفا الله تعالى عنه، لخزانة مولانا الشيخ الإمام العلامة حافظ عصره، وشيخ مصره، شهاب الدين أبي الفضل أحمد ابن الشيخ الإمام المرحوم نور الدين أبي الحسن علي بن محمد بن محمد العسقلاني، المعروف بابن حَجَر، أجَلَّه الله تعالى، وأدام نفع المسلمين بمؤلفاته المفيدة، وفضائله العديدة، وأيَّامِه السعيدة، ولقد أجَزْتُه ـ وله الفضل ولأولاده، أبقاهم الله وحفظهم بحياته ـ روايته عنِّي، ورواية جميع ما يجوز لي روايته.

وكتب في يوم الأحد الثاني من ذي الحجة الحرام سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة، تُجاه الكعبة بين زمزم والمقام.

وعلى المجلد الثاني منه ما نصه: هدية مِنَ العبد الفقير إلى رحمة ربه

---

(١) ما بين حاصرتين ساقط من (أ).

القدير، محمد بن محمد بن محمد الجزري، غفر الله له ذُنوبَه، وستر عيوبه، لخزانة سيدنا ومولانا الشيخ الإمام العلامة شيخ الأنام، وحافظ الإسلام، شهاب الدنيا والدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن حجر العسقلاني، أدام الله تعالى نفع المسلمين بعلومه الشريفة، وأبقى على المؤمنين فوائد مؤلَّفاته الظَّريفة، وأجزتُه ـ وله المنة ـ روايته عنِّي ومالي روايته. وكذلك لأولاده أبقاهم الله تعالى في ظلاله ولسائر أقاربه من أهله وآله.

وكتب في يوم الأحد الثاني من ذي الحجة الحرام سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة تُجاه البيت الحرام بين زمزم والمقام. لا جعل الله ذلك آخر العهد منه.

وكتب بخطه أيضاً على نسخة من «أطراف مسند الإمام أحمد» لصاحب الترجمة ما نصُّه:

استفاد منه، وكتب داعياً لمؤلفه ـ متع الله الإسلام والمسلمين ببقائه ـ محمد بن محمد بن محمد بن الجَزَري، عفا الله عنهم.

وكتب على استدعاء لولد صاحب الترجمة ومن معه بما نصُّه:

إني أجزتُ لهم رواية كُلِّ ما ... أرْوِيه مِنْ سُنن الحديث ومُسْنَدِ
وكذا الصِّحاح الخَمْس ثم معاجم ... والمشيخات وكلّ جُزْء مفرد
وجميع نظم لي ونثرٍ والذي ... ألَّفت كالنَّشر الزَّكي ومُنْجِدِي
فالله يحفظهم ويبسُط في حيا ... ة الحافظ الحَبْرِ المحقِّق أحمدِ
شيخ العلوم وبحرها وإمامِها ... وبشهر صبرٍ عام أذَّن مولدِي
وأنا المقصِّر في الورى العبد الفقـ ... ـيرُ محمدُ بنُ محمدِ بنِ محمدِ

وروى العلامة نسيم الدين عبد الغني المرشدي سبطُ الكمال الدَّميري، وأحد تلامذة صاحب الترجمة، قال: سمعتُ ابن الجَزريِّ يقول: حضرتُ

على العماد ابن كثير، وعلى غيره مِنْ شيُوخ الحافظ العراقي، فلم أر فيهم أحفظَ مِنَ ابن حَجَر.

قال: مع كون ابن الجزري كان منحرفاً عنه، ولكن الحقُّ أحقُّ أن يتَّبَع.

قلت: وكانت كُتُبه ترِدُ على صاحب الترجمة، وآخرها مؤرَّخٌ بالمحرم سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة، وفي أوله عدة أبيات نونية مدحه بها، ما وقفتُ عليها بعدُ. نَعَم رأيت فيما كتبه إليه:

إذا أردت الحافظَ البحرَ فقُمْ ... واقصِدْ شهابَ دينِنا ثم الْزَم

ولو تروومُ كِيميَا سعادة ... فإنَّه ابن الحجر المكرَّم

[الشهاب الكلوتاتي]

ومنهم: المحدث المكثر الشهاب أبو العباس الكلوتاتي رحمه الله.

فرأيت بخطه نسخة مِنَ «المقدمة» تصنيف صاحب الترجمة، قال في أولها: جَمْعُ سيدنا ومولانا وشيخنا العلامة، مفتي المسلمين، شيخ الشيوخ، الحافظ، العبد الفقير إلى الله تعالى، شهاب الدين أحمد العسقلاني المصري الشافعي، الشهير بابن حَجَر، أعزَّه الله تعالى، ورَحِمَ سلفه. ونفع به وبمصنفاته المسلمين آمين. أروي بعضه قراءة عليه، وباقيه إجازة.

وكتبه أحمد بن عثمان بن محمد بن عبد الله الحنفي. ومن خطه نقلت.

وكانت قراءته في سنة عشرين وثمانمائة.

وكذا ذكره فيمن أخذ عنه علمَ الحديث، ووصفه بشيخنا الإمام العالم، الحافظ الحجة، المتقن، عمدة أصحاب فنون الحديث.

وفي موضع آخر: بالعلامة الحافظ، شيخ المحدثين، أقضى القضاة.

وفي آخر: بسيدنا وشيخنا، الإمام العالم العلامة، وحيد دهره، وفريد عصره، الحافظ الحجَّة. مفتي المسلمين، أقضى القضاة.

وفي آخر: بالعلامة الحافظ الحجة.

وقرأت بخطه: علماء الحديث: ابن الصَّلاح، والنووي، وابن دقيق العيد، والعراقي وولده، ومعه ابن حَجَر.

[ابن الغرابيلي]

ومنهم: الحافظ العلامة تاج الدين ابن الغرابيلي ـ رحمه الله ـ فبلغني عنه أنه قال عند إشاعة أن الأشرف همَّ بالسفر إلى آمد ويستصحب معه القُضاة، ومنهم صاحب الترجمة على العادة، أقسم بالله أنَّه ما دخل دمشق بعدَ ابنِ عساكر أحفظَ منه، وكان يرجُحُه على المزِّيِّ والبرزاليِّ والذَّهبيِّ، ويقول: إنَّه اجتمع فيه ما تفرَّق فيهم، من حسن التأليف، وحفظ المتُون والأسانيد، وزاد عليهم قوَّة الاستنباط، والجمع بين مختلف الأدلة، قال: وعندي أنه ما ولي قضاء الشافعية بعد ابن دقيق العيد أعلم منه، وابن دقيق العيد كان أدقَّ نظراً.

[ابن حجة الحموي]

ومنهم: الشيخ تقي الدين أبو بكر بن حِجَّة الشاعر المشهور، فقرأت بخطه على استدعاء الحافظ صاحبنا النَّجم ابن فهد ما نصه:

ومما أنشأته في غيرها، يعني غير الديار المصريه، «البديعية» التي عارضت بها الحِلِّيَّ والموصليَّ، وسميتها «تقديم أبي بكر»، وشرَّفها إمامٌ من أئمة الأدب، وشيخُ مشايخ الإسلام، مولانا قاضي القضاة شهاب الدين ابن حَجَر العسقلاني الشافعي، زاد الله شأنه تعظيماً، بقوله من تقريظه الذي كتبه عليها: أشهد أنَّ أبا بكر مُقدَّم على أنظاره، ولا أعدل في هذه الشهادة مِنْ أحمد، وأجزم برِفْعَةِ قدره على مَنِ انتصب لهذا الفن. ولا أبلغَ مِنْ حاكم يشهد.

قلت: وسيأتي التَّقليدُ الذي عمله لصاحب الترجمة حين ولايته القضاء في المدائح المعقود لها الفصل الأخير مِنْ هذا الباب إن شاء الله تعالى[1].

---

(١) ص ٤٣٥ من هذا الجزء.

[زين الدين الخوافي]

ومنهم: السيد الجليل المربي الزين أبو بكر بن محمد بن محمد بن علي الخوافي، الآتي في المُطارحين[1]، فقرأت بخطه[2] في استدعاءٍ لأولاد صاحب الترجمة ما نصُّه:

ولـمَّا بلغ الشيخُ الإمامُ رُحلةُ الأنام، وحجة الإسلام شهاب الملَّة والدين أبو الفضل أحمد ابن الإمام العلامة نور الدين[3] علي العسقلاني، متع الله المسلمين بطول بقائه، ومنَّ عليه بوصله ولقائه، في هذه الفضيلة العظمى إلى أعالي درجاتها، أحبَّ أن يُوصِل أولاده الكرام، وأقاربه العظام أيضاً إلى غاياتها. فلذا استدعى لهم مِنْ أئمَّة الأمصار ونقَلَةِ الأخبار في جميع الأقطار، مع عُلُوِّ أسانيده المعتبرة، وسمو تحقيقاته المنتشرة.

[ابن الخياط]

ومنهم: العلامة الحافظ الجمال أبو عبد الله محمد ابن الرضي أبي بكر بن محمد بن صالح اليمني، عرف بابن الخياط.

وصفه بالإمام الجليل، الحافظ، شيخ الإسلام ابن حجر.

[علاء الدين البخاري]

ومنهم: العلامه المحقق الوَرع علاء الدين البخاري الحنفي، فقال لما اجتمع بصاحب الترجمة: رأيت شخصاً عليه نُور السُّنَّة.

[سبط بن العجمي]

ومنهم: حافظ البلاد الحلبية، العلامة المتقن، برهان الدين أبو الوفا سبط ابن العجمي ـ رحمه الله.

---

(١) في الجزء الثاني.

(٢) «بخطه» ساقطة من (أ).

(٣) في الأصول: «علاء الدين»، والمعروف أن كنية والد ابن حجر «نور الدين».

فرأيت بخطِّه بحلب في رحلتي إليها في مجموع من مجاميعه، ترجمةً لصاحب الترجمة، قال فيها بعد ذكر مولده ونسبه:

وهذا الرَّجلُ في غايه ما يكونُ مِنَ استحضارِ الرِّجال والكلام فيهم. وله مؤلفات كثيره في تراجمهم. وله كتاب «لسان الميزان» كتابٌ حَسَنٌ، فيه فوائد. وله «شرح على البخاري» لم يكمله، نظرت فيه بعضَ نظرٍ. وله أخلاقٌ حسنة، ونوادرُ، وسُكُون، ويستحضر أشياء حسنةً مليحةً. وأمَّا الحديثُ، فله معرفةٌ تامَّةٌ برجاله المتقدمين والمتأخرين بتراجمهم وهو جملة[1] حسنة، لا أستحضر أنِّي رأيتُ مثله في معرفة رجاله المتقدِّم والمتأخِّر، والله أعلم.

وقد سمع كثيراً بالقاهرة ومصر ودمشق والحجاز وغيرها، وله مشايخُ كثيرة، سماعاً وإجازه. قُرِىء عليه وعليَّ أشياءُ بحلب بالشَّرفية، وسمع عليَّ بقراءته وقراءة غيره، حفظه الله تعالى للمسلمين.

وقد نظر «تعليقي على البخاري» أو غالبه، وأفاد على هوامش نسخة منها عزو تعليقات وُقفت على شيخنا ابن الملقن، وكذا نظر «ذيلي على ميزان الذهبي»، وكذا وقف على «تعليقي على سيرة أبي الفتح اليعمري»، وأفاد. وكذا نظر غيره من تعليقاتي، وكتب الفن التي عندي، وغالب ما نظره مِنْ تعليقاتي وغيره أفاد فيها بخطِّه، وقد أملى بجامع حلب عدة مجالس، وسُمِعَ عليه بعض مؤلفاته، وكذا بعض ما يرويه بمنزل القاضي الشافعي علاء الدين ابن خطيب الناصرية.

قلت: وكان الحافظ برهان الدين حين سمع بقدوم شيخنا عليهم، توجَّه إليه، وسلَّم عليه، وأخبره[2] غير واحد مِنْ طلبته أنه سمعه يقول: رأيت رجلاً أمة يتوقَّد ذكاء، ليس في أشياخي مثله. وأكثر النَّقل عن شيخنا في «شرحه على البخاري». وقال في أول «شرحه» ـ كما قرأته في نسخة

---

(١) «جملة» ساقطة من (أ).

(٢) في (ب، ح): «وأخبر».

العلامة أبي البركات الغَرَّاقي، وهي آخر نسخة ما نصه -: ثم اعلم أنَّ ما فيه «عَنْ حافظ عصري»، أو «عن بعض حُفَّاظ العصر»، أو نحو هاتين العبارتين، فهو من قول حافظ هذا العصر العلامة، قاضي المسلمين، حافظ الإسلام شهاب الدين ابن حجر من كتابه الذي هو كالمدخل إلى شرح «الكتاب»[1] له. أعان الله على إكمال الشرح. انتهى.

ومنهم العلامة أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد[2] بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي التِّلِمْساني المالكي، فقرأت بخطه في استدعاء ولد صاحب الترجمة ما نصه:

سيدنا الإمام الحافظ العلامة، العلم الفقيه، المحدث المكثر الراوية، البحر الخضم، وحيد دهره، وفريد عصره، جامع أشتات الفضائل، وحائزُ خِصَالِ السَّبق بواضحِ الدلائل، الأوحد الأكمل، أبو جعفر شهاب الدين أحمد. إلى آخره.

[ناصر الدين الفاقوسي]

ومنهم: القاضي الرئيس، ناصر الدين محمد بن حسن الفاقوسي.

فقرأت بخطه في طبقة سماع «المائة العشاريات»، تخريج صاحب الترجمة للتَّنوخي عليه ما نصه:

بقراءة الإمام العالم المتقن المفنَّن، الناقد المحدث، شهاب الدين أبي الفضل أحمد ابن الشيخ الإمام العالم المرحوم نور الدين أبي الحسن علي ابن المرحوم قطب الدين محمد، أدام الله تعالى نشر فوائده، والإمتاع بفرائده.

---

(١) في (ب، ط): «البخاري»، وكذا كانت في (ح) ثم شطبها المؤلف، وكتب في الهامش بخطه: «الكتاب».

(٢) كذا ورد في (أ، ب ح)، وفي (ط)،: «محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد». وفي «الدرر الكامنة» ٣/ ٣٦٠: «محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن محمد»، وفي المجمع المؤسس ٢/ ٦٣٦، وفهرس الفهارس ١/ ٥٢١: «محمد بن أحمد بن محمد بن محمد».

[ابن ناصر الدين الدمشقي]

ومنهم: حافظ الشام العلامة شمس الدين ابن ناصر الدين القيسي، صاحب أبيات المديح في صاحب الترجمة الآتي ذكرها[1].

فقرأت بخطه في بعض مراسلاته:

إلى مولانا وسيدنا شيخ الإسلام، حافظ الأعلام، ناصر السنة، إمام الأئمة، قاضي قضاة الأمة، أبي الفضل، أسبغ الله على الوجُودِ ظلَّ بقائه، ولا أخلانا والمسلمين مِنْ عوائد فوائده ونعمائه.

إلى أن قال: إنه قائم لجنابكم بوظيفةِ الدُّعاء، ومُثْنٍ ـ كلَّما مرَّ ذكركُم الشَّريفُ ـ بجميل الثناء، مبتهج بوجودكم سروراً، متطلع إلى أخباركم كثيراً.

إلى أن قال: ولم يترك المملوكُ المكاتبة إلا استصغاراً لنفسه عن مقامكم الخطير، مع علمه بأنكم أهل للصَّفح عن ذوي التَّقصير.

وذكره في تصنيفه «توضيح المشتبه» في (حجر) من الحاء المهملة، فقال: محدِّثٌ حافظٌ، وهو الآن حيٌّ بمصر، أمتع الله به. له مؤلفات، منها: وذكر «إتحاف المهرة». وله شعرٌ حَسَنٌ فائقٌ، أنشدنا منه مِنْ لفظه بدمشق في رحلته إليها قبل الفتنة. ومن مؤلفاته «تبصير المنتبه بتحرير المشتبه» في مجلَّدة. ووجدته كتب بخطِّه على نسخة المصنِّف ـ يعني الذهبي ـ بهذا الكتاب ما نصه:

نسخ منه نسخةً موضَّحةً بضبط الأحرف، فزاد زيادة يسيرة جداً، واستغنى النَّاظرُ فيه عن ضبط القلم فلله الحمدُ على ذلك. ثم كتب اسمه. قال ابنُ ناصر الدين: فليت شعري كيف فعل بما فيه مِنَ الأوهام والخلل، أحرَّرَ ذلك وجوَّده، أم وَثِقَ بخط[2] المصنِّف فقلده؟ وليس أولَ سارٍ غرَّه القمرُ.

قلت: ولو رأى الكتاب، وخبر مصنِّفَه تمام الخُبْر، ما قال ذلك.

---

(١) ص ٥١٣ من هذا الجزء.

(٢) في (أ): «بحفظ».

ولكني أتحقَّق أنَّه ما مات حتى رجع عن مقالته. وثبت عنده جلالته، رحمهما الله وإيانا.

وقوله: «وليس أوَّل سارٍ» أشار به إلى ما كتب به القاضي الفاضل إلى الشيخ عبد الدائم العسقلاني، يلتمس منه أنه يواخيه في الله، فكتب إليه:

مـا أنـتَ أوَّلُ سـارٍ غـرَّه قـمـرٌ ... أو رائـدٌ أعـجـبـتـه خُـضْـرةُ الـدِّمَـنِ

فـانـظر لـنفسك غـيري إنـني رجـلٌ ... مِثْلُ المُعَيْدِيِّ، اسمعْ بي ولا تَرَني

حكى ذلك الرَّشيد العطار في «نصر بن ظافر» من «معجمه».

وحكى غيره أن بعضهم ارتحل[1] إلى الحريري من مكان بعيد للأخذ عنه. فلما وصل إليه، استأذن عليه. فخرج الحريري إليه فسأله: ما الذي تريد؟فقال: أريد الحريري. قال: هو أنا،فما حاجتك؟ فاحتقر هيئته، وقال له: أنت الحريري؟! وكرر ذلك، فأنشده الحريري:

مـا أنـتَ أولُ سـارٍ غـرَّه قـمـرٌ ... أو رائـدٌ أعـجـبـتـه خُـضْـرَةُ الـدِّمـنِ

رجُـل قَـلُـوصَـك عـنـي إنـنـي رجـلٌ ... مثلُ المُعَيْدِيِّ فاسمعْ بي ولا تَرَنِي

انتهى.

وأشار إلى المثل السائر «لأن تسمع بالمُعَيْدِيِّ خيرٌ مِنْ أن تراه».

ويقال: إنَّ أوَّلَ مَنْ قاله النعمانُ بنُ المنذر للصَّقعب بن زهير النهدي][2].

[أبو شعرة الحنبلي]

ومنهم: العلامة الزاهد أبو الفرج عبد الرحمن بن سليمان الحنبلي،

---

(١) في (أ): «وذكر بعضهم ارتحل».

(٢) من قوله: «وقوله: وليس أول سار» إلى هنا لم يرد في (ب)، وورد في هامش (ج) بخط المصنف.

عرف بأبي شَعَرة[1].

فبلغني عنه أنه كان يُكثرُ التأسُّفَ عن عدم أخذه الفنَّ عَنِ الحافظين العراقي وولده، لكن يقول: نحمد الله على وجود الشيخ شهاب الدين ابن حجر. وأمرَ بالتقاطِ زوائد «تهذيب التهذيب» له على أصله، فأُفرِدَتْ بالتَّصنيف. وكان ذلك قديماً في سنة أربعين، وهو إذ ذاك مجاوِرٌ بمكة مِنْ نسخة قديمة كانت للشيخ نجم الدين المَرجاني، وتولى إفراد ذلك بإشارة الشيخ قاضي المالكية بمكة الآن، العلامة محيي الدين عبد القادر بن أبي القاسم بن أبي العباس الأنصاري، أمتع الله بحياته، وذكر لي أن المذكور حضه على الرحلة لصاحب الترجمة، واغتنام الأخذ عنه، وقرر وجوب ذلك. رحمها الله.

[شمس الدين البساطي]

ومنهم: العلامة المحقق شمس الدين البساطي.

فسمعت غير واحد يحكي لنا عنه أنه كان يقول: ما رأينا أشد ذكاءً منه، ولا أسرع إدراكاً، يتسلَّط بذلك على التكلُّم في كلِّ ما يروم، ولو كان عارفاً بمصطلحات أرباب العلوم في مسمَّياتهم، ما كان كبيرُ أحدٍ يقاومه. ولقد كنت أشرَعُ في استشكال شيء أو إيراده، فقبل أن يتمَّ كلامي، يتلَّقاه فيقرِّرُه على أحسن وجه، ثم يُعقِبُه بالجواب المُزيل للَّبس. وما كنت سائلاً قط إلا وصيَّرني مسؤولاً، بل حكى عنه ولدُه أنَّه كان يقول ما حاصلُه: إنَّه لا احتياج لحضورنا مع صاحب الترجمة في مجلس الحديث بالقلعة، إشارةً إلى كفالته بذلك، وأنه هو المعوَّلُ عليه فيه.

قلت: وسمعت مَنْ يحكي عنه أنه سأل حافظ الوقت الزَّين العراقي عَنْ حديث، فما استحضر إذ ذاك مَنْ أخرجه، وأنَّ الشيخ برهان الدين الكركي أشار على البساطي أن يسأل صاحبَ التَّرجمةِ عنه ففعل، فأجابه في

(١) كذا في الأصول، والمعروف أنه «أبو شعر» بدون تاء التأنيث. وانظر ما تقدم ص ١٨٢.

الحال بتخريجه وصحابيُه وحُكمه، وأنَّ البساطيَّ عرض ذلك على العراقي، قال: فكشف المظانَّ التي عزاه إليها، فوجده كما قال. رحمهم الله وإيانا.

ثم حكاها لي صاحبُنا الشيخ نور الدين ابن أبي اليُمن المكِّي، نفع الله به، عن البساطي نفسه، فقال: سألتُ شيخنا الزَّين العراقي عن حديث «المكاتب قنٌ ما بَقِيَ عليه درهم»، من صحَّحه؟ فقال: لا أدري. فلقيتُ ابن حَجَر يومئذٍ وهو إذ ذاك ليس في لحيته شعرة بيضاء، فسألته عنه، فقال في الحال: صحَّحه ابن حبان والحا كم من حديث عبد الله بن عمرو. وهما في كتب شيخنا، وعيَّن له مكان الحديث.

[ابن خطيب الناصرية]

ومنهم: العلامة قاضي الشافعية بحلب علاء الدين ابن خطيب الناصريَّة رحمه الله.

فقرأت بخطه في «تاريخ حلب» الذي ذيَّل به على «تاريخها» لابن العديم، حيث ذكر صاحب الترجمة بعد سياق نسبه ومولده وجُمْلةٍ من شيُوخه ما نصه:

ورحل إلى اليمن وحجَّ، وأقبل على التَّصنيف والاشتغال والإشغال، فصنَّف كتباً كثيرة، منها ما كَمُلَ. ومنها ما لم يَكمُلُ، فمما كَمُلَ قديماً، كتابه «تغليق التعليق»، وصل فيه تعليقات البخاري، وهو كتاب جليل نفيس، قرأت عليه بعضه بالقاهرة في رحلتي إليها. ومما لم يكمل «شرح البخاري»، وصنَّف «مقدمة» له فيها فوائدُ غزيرةٌ جليلةٌ. وهو حافظُ الإسلام، علاَّمةٌ في معرفة الرجال واستحضارهم، والعالي والنازل، مع معرفةٍ قويَّةٍ بعللِ الأحاديث، وبراعةٍ حسنةٍ في الفقة وغيره، وأخلاقٍ رضيَّةٍ، ومحاضرةٍ حسنة، مع الدِّين والمداراة، ومحبة أهل العلم، والإنصاف في البحث. وهو أحد مشايخي الذين قرأتُ عليهم بالقاهرة. ثم إنَّه قدم حلب صُحبَةَ الملك الأشرف برسباي، وكان قدُومه في يوم السبت خامس شهر رمضان سنة ست وثلاثين وثمانمائة، فسمع بها على شيخنا الشيخ الحافظ برهان الدين أبي

إسحاق الحلبي. وعقد مجلس الإملاءِ بجامع حلب الأعظم، وأملى به عدَّة مجالس. وحضر عنده فيها أبو إسحاق المذكور وغيره، وحدَّث بحلب، سمعت عليه بها غيرَ «مجالس الإملاء» أيضاً.

ثم خرَّج عنه «الحديث المسلسل بالأولية»، وساق أشياء مِنْ نظمه كثيرة.

ثم قال: وأنشدني غير ذلك مِنْ قصائده ومقاطيعه، وقرأت عليه بحلب الجزء المعروف «بجزء بيبي الهرْثَميَّة» بمنزلي. وسمع ذلك عليه أولادي وجماعتي، وعاد إلى القاهرة ثاني يوم قراءة الجزء المذكور، صُحْبَةَ السلطان المشار إليه، وذلك في سابع ذي الحجة سنة ست وثلاثين، وهو الآن قاضي القضاة بالديار المصرية.

وكانت أول ولايته قضاء القضاة بالديار المصرية[1] في سابع عشري المحرم سنة سبع وعشرين وثمانمائة، وهو مشكورٌ في ولايته، مع الديانة والتَّحرِّي في الأحكام الشرعية. رحمهما الله وإيانا.

[ووصفه في ترجمة التَّنوخي مِنْ «تاريخه» بالإمام الأستاذ الحافظ العلامة، العالم بشريف الأحاديث. وفي موضع آخر: رأيت في «تاريخ» الإمام الحافظ حافظ الإسلام قاضي القضاة بالديار المصرية[2]، فلانٍ أبقاه الله تعالى][3].

[المقريزي]

ومنهم مؤرخ الديار المصرية الشيخ تقي الدين المقريزي، [رحمه الله تعالى، فقال في كتابه المسمى «بالعقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة»][4]، حيث ترجمه في ثلاثة أوراق: أن مصنفه «تغليق التعليق» لم يُسبَقْ إليه، وأنه زاد على «تهذيب المِزّي» نحو الثلث مما يلزمُه ذكرُه. ويتعيَّن عليه عدمُ إهماله. وأنَّ ما جمعه مِنَ «النُّكت على ابن الصلاح»،

---

(١)(٢) «المصرية» ساقطة من (أ).

(٣) ما بين حاصرتين لم يرد في (ب).

(٤) ما بين حاصرتين لم يرد في (أ).

أضعاف ما جمعه شيخه العراقي.

إلى أن قال: وله غير ذلك مِنَ التَّخاريج الحديثيّة، والمجاميع المفيدة العجيبة، والتَّعاليق المحتوية على فنون الآداب وأنواع العلوم. وله شعرٌ أعذبُ مِنَ الماء الزُّلال، وأعجبُ مِنَ السِّحر، إلا أنَّه حلال. وقد اخترتُ منه، وإن كان كلُّه مختاراً.

قلت: وذكره في غير ما موضع مِنَ الحوادث. وقال في بعضها في ترجيحه على أهل عصره: لو أنفق أحَدُهم ملء الأرض ذهباً، ما بلغ مُدَّه ولا نصيفه. وكان يقولُ: ما أعلمُ الآن مَنْ أستفيد منه من الحديث غيره.

[ابن نصر الله البغدادي]

ومنهم شيخي بالإجازة العلامة قاضي الحنابلة المحب ابن نصر الله البغدادي.

فقرأت بخطه في آخر نسخة صاحب الترجمة التي بخطه من تصنيفه «تخريج الرافعي» من نظمه ما نصه، وأرَّخ ذلك بذي القعدة سنة سبع وثلاثين وثمانمائة:

جزى الله ربُّ العرش خيرَ جزائه ... مخرِّجَ ذا المجموع يوم لقائه
لقد حاز قَصْبات السِّباق بأسرها ... وفاز لمرقى لا انْتِهَا لارْتِقَائِهِ
يدومُ له عِزٌ به وجلالَةٌ ... وذكرٌ جميلٌ شامخٌ في ثنائه
فلا زال مقروناً بكلِّ سعادةٍ ... ولا انفكَّ محروس العُلا في اعتلائه
ولا بَرِحَت أقلامُه في سعادةٍ ... تُوقِّع بالأحكام طُولَ بقائه
وخرِّقت العادات في طول عمره ... تزيدُ على الأعمار عند وفائه

وكتب بخطه ـ كما سيأتي ـ في يوم ولايته الثانية للقضاء بعد عزل الهروي ما نصه: كان يوماً مشهوداً، وحصل للناس سُروران عظيمان، أحدهما: بولايته، لأن محبَّته مغروسة في قلوب الناس، والثاني: بعزل

الهروي، فإنَّ القلوب كانت اتَّفقت على بُغضه، لإساءته في ولايته، وارتكابه الأمور الذَّميمة، رحمة الله عليهم أجمعين.

ورفعت إليه فتيا أجاب عنها صاحبُ الترجمة، فكتب تحت خطه ما نصه: الجواب كما أجاب به سيِّدُنا ومولانا قاضي القضاة، أسبغ الله ظلاله.

وكتب على فتيا غيرها تحت خطِّه أيضاً: ما أجاب به سيِّدُنا ومولانا قاضي القضاة، أسبغ الله ظلاله، هو العمدة، ولا مزيد لأحدٍ عليه؛ فإنَّه إمامُ الناس في ذلك:

إذا قالت حَذامِ فصدِّقوها ... فإن القولَ ما قالت حذامِ

فالله يمتع بحياته الأنام، ويُبقيه على توالي الليالي والأيام، والله سبحانه أعلم.

كتبه أحمد بن نصر الله البغدادي الحنبلي عفا الله عنهما[1].

[ووصفه في موضع آخر بقوله:

قاضي القضاة، شيخ الإسلام، حافظ الأنام، حسنة الليالي والأيام. أدام الله أيامه الزاهرة، وجمع له بين خَيْرَي الدُّنيا والآخرة.

[شمس الدين ابن عمار]

ومنهم: العلامة المفنَّنُ شمس الدين ابن عمار المالكي.

فقرأت بخطه في «ثبت» بعض مسموعاته بقراءة صاحب الترجمة وصفَه له بالإمام العلاَّمة المحدِّث، صاحبنا فلان ابن الجناب القضائي النُّوري، أبقاه الله تعالى.

---

(١) أورد المصنف الأقوال السابقة في ترجمة المحب ابن نصر الله من الضوء اللامع ٢/ ٢٣٦ ـ ٢٣٧.

وكان ذلك قديماً. وكذا نقل عنه الإخبار بوفاة البلقيني كما قدَّمتُه في الرحلة][1].

[شمس الدين الونائي]

ومنهم: شيخي العلامة قاضي القضاة بدمشق شمس الدين الونائي.

فخطب ولدُه البدرُ ـ وهو صغير ـ بجامع الأقمر في رمضان سنة ست أو سبع وثلاثين، عقب ختمه لحفظ القرآن، على جاري العادة، وقال في خطبته: أخبرنا شيخنا شيخ الإسلام حافظ العصر. وذكر أوصافاً، منها: البيهقي الثاني، أحمد بن علي الكناني العسقلاني.

قلت: والظاهر أنَّ ذلك مِنْ ترتيب والده، فإنه كان مِمَّن أخذ عنه، وتلمَذَ بين يديه كما سيأتي.

[عثمان بن عمر الزَّبيدي]

ومنهم: الإمام عفيف الدين عثمان بن عمر بن أبي بكر الناشري الزَّبيدي الشافعي.

فقرأت في كتابه «البستان الزَّاهر في طبقات علماء بني ناشر»: أنه أرسل استدعاءً فيه اسمه وجماعة، يلتمِسُ فيه إجازةَ مَنْ يطلب منه ذلك. قال: فوصل في جمادى الأولى مِنْ سنة ثلاثين وثمانمائة، وقد كتب عليه جماعة مِنَ الحُفَّاظ والمحققين، والعلماء المسندين، والأكابر المعمرين، في مصر والشام والقدس الشريف، منهم حافظ الدنيا في وقتنا هذا على الإطلاق أبو العباس شهاب الدين، وذكره[2].

---

(١) من قوله: «ووصفه» إلى هنا، لم يرد في (ب). وورد في هامش (ح) بخط المصنف.

(٢) من قوله: «ومنهم الإمام عفيف الدين» إلى هنا لم يرد في نسختي (ب، ط).

[شمس الدين القاياتي]

ومنهم: محقق العصر القاضي شمس الدين القاياتي، وقد كتب لي بالإجازة، وسمعت دروسه. فأخبرني بعضُ الثِّقات[1] ممن كتبتُ مِنْ فوائده، أنَّه سمعه في حال تَلبُّسِه بالقضاء يقول: المحاسنُ التي تفرَّقت في الناس، اجتمعَتْ في ابن حَجَر.

قلت: فنسأل الله التوفيق بمنّه وكرمه.

[عز الدين عبد السلام]

ومنهم: العلامة المفوَّه النادرة عزُّ الدين عبد السلام القُدسي شيخ الصَّلاحية[2] ـ وقد أجاز لي ـ فبلغني عنه أنه قال: إن لم يكن ـ يعني صاحب الترجمة ـ مثل البخاري، فلا يقصر عنه. وممن سمع منه ذلك: الشيخ شمس الدين ابن الصَّيفي، نفع الله به.

[الشهاب ابن المجدي]

ومنهم: العلامة المفنَّن الشهاب أحمد بن رجب بن المجدي الشافعي، نزيل جامع الأزهر، وقد أخذت عنه، فأخبرني الزَّين جعفر السنهوري المقرىء، وهو ممن لازمه، أنَّه كثيراً ما كان يراه إذا ذُكر البلقيني، يتحرك ويرفع صدره، بل يكاد أن يقوم، وإذا ذُكر صاحبُ التَّرجمة يقول: لو عاش البخاريُّ وناظره لما قطعه.

قال الحاكي: ولم أكن أرى عنده مَنْ يُوازي السِّراج البلقيني وابن حجر رحمهما الله[3].

---

(١) في هامش (ط): هو عز الدين السنباطي.

(٢) في (أ): «الصالحية»، تحريف.

(٣) من قوله: «ومنهم العلامة المفنن»، إلى هنا، لم يرد في (ب).

[ابن قاضي شهبة]

ومنهم: العلامة فقيه الشام، التقي أبو بكر ابن قاضي شهبة ـ وقد كتب لي خطَّه بالإجازة ـ فوجد بخطِّه ترجمة لصاحب الترجمة، بظاهر تصنيفه «الدُّرَر» نسخة البرهان العجلوني كما بلغني، افتتحها بقوله: الشيخ الإمام العلامة الحافظ، قاضي القضاة، شهاب الدين أبو العباس. وساق نسبه فخبط فيه، فإنه قال: أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن أحمد بن أبي بكر، وقال: بقية العلماء الأعلام، قاضي القضاة، وصاحب المصنفات التي سارت بها الركبان، إلى أن قال: وكتب الأجزاء والطِّباق بخطّه الحسن، ومهر في الحديث.

إلى أن قال: وتَميَّز في الفن، وشيخه ـ يعني العراقي ـ موجود، واشتهر صيتُه، وجلس إلى جانب شيخه في حال إملائه، ومهر في الفنون، لكن غلب عليه فنُّ الحديث، فانتهت إليه معرفتُه بهذا الشأن، وصار إمام زمانه فيه بعد وفاة شيخه، وتصدَّى لنفع النَّاس، ودرَّس وأفتى، وولي المناصبَ الكبارَ والتداريس بعدَّة أماكن بالقاهرة. وتصدَّى للتَّصنيف، فصنَّف الكثير. ومصنفاته تزيد على المائة، من أجلِّها «شرحه على البخاري»، لم يصنَّف مثلُه، ولا على منواله. وله «ديوان شعر». وهو إمام الأدباء في زمانه.

إلى أن قال: وله «معجم كبير» فيه فوائد. ورحل إليه الطلبةُ من الآفاق. وبالجملة فهو إمام زمانه، وحافُظ وقته وأوانه، وعنده مِنَ الذَّكاء والفِطنة، وصفاء القريحة ما تَحيَّر فيه الأبصار.

[برهان الدين بن خضر]

ومنهم: شيخنا العلامة المفنَّن برهان الدين بن خضر ـ رحمه الله ـ فقرأت بخطه في غير ما موضع: حافظ العصر على الإطلاق، وخاتمة علماء السنة إلى يوم التلاق. أدام الله بهجته، وحرس للأنام مهجته.

[رضوان العقبي]

ومنهم: مُستمليه شيخنا، محدث القاهرة، الزين أبو النعيم رضوان العُقْبي ـ رحمه الله ـ صاحب القصيدة الآتي ذكرها في المدائح، مع نثرٍ افتتح إيرادها به[1].

فقرأت بخطه: حدَّثنا سيدنا وشيخنا الإمام، شيخ الإسلام، قاضي القضاة، منقطع النظير والصفات، أمير المؤمنين في الحديث، جامع أشتات قديم المحدثين والحديث، حافظ العصر، رُحْلَة الدهر.

وكان إذا سُئل: أيُّكما أكبر، أنت أو صاحب الترجمة؟ فيقول: أقول كما قال العباس رضي الله عنه: أنا أسَنُّ وهو أكبر.

[ابن أبي الوفاء]

[ومنهم: الشيخ أبو الفتح بن أبي الوفاء.

فقرأت بخطه وصفه له بالشَّيخ الإمام العالم شيخ الإسلام وإمام الحفاظ، وقاضي الجماعة، شهاب الدين][2].

[تغري برمش]

ومنهم: تلميذه الأمير الفاضل تَغْرِي برْمش الفقيه نائب القلعة.

قرأت بخطه على بعض مصنَّفات صاحب الترجمة، بعد أن ساق مناماً رآه، وقال يعني (به)[3] شيخنا: الإمام العالم العلامة، الحافظ الفقيه، شيخ الإسلام، قاضي القضاة، بقية المجتهدين، شهاب الدين، أدام الله أيامه، وأعزَّ أحكامه. فهو إمام دهره، وحافظ عصره، بل أَظنُّ أنَّ مصر ما أخرجت مثله حافظاً متقناً، ولا فقيهاً شاعراً كاملاً مفنَّناً، ولولا ورودُ الدَّارقطني مصر،

---

(١) ص ٤٥٤ ـ ٤٥٧ من هذا الجزء.

(٢) من قوله: «ومنهم الشيخ أبو الفتح» إلى هنا لم يرد في (ب).

(٣) ساقطة من (ب، ط).

والمبرِّد، لقلت: ولا وَرَد. مع معرفتي بورود ابن معين والبخاري والنَّسائي، وغيرهم مِنْ فُحول العلماء الأعيان في كل عصر إلى يومنا هذا مِنْ حُفَّاظِ هَذا الشأن. قد جمع الله له التَّفسيرَ والفقهَ والحديث، والشعر والأدب، والمال، والعزَّ والجاهَ والشرفَ، وطولَ العمر، وعلو الرُّتَبِ[1]، وصحَّةَ العقل والنَّقل، وحسنَ التَّأليف مع الإيجاز والتَّحقيق والتَّرتيب، والسعد في التصنيف. وصنَّف كتباً لم يُسْبَقْ إليها؛ «كتغليق التعليق»، وإن كان ابن رُشيد قد أشار إليه بالتَّشويق. و«مقدمة البخاري» وترتيبه، وتقريبه للذهن وتهذيبه، فهي مِنْ أعجب التَّصانيف للقارىء والسامع. فسبحان المعطي والمانع. وانتصاره للبخاري معروفٌ مشهورٌ، والتوجيهُ لكلامه، والذَّبّ عنه في مصنَّفاته مذكورٌ ومسطورٌ. وكتابه «نُخبة الفكر» ـ مع أنها كُرَّاسة بشرحها بديعة، أظهر فيها القُوَّة والإعجاز ـ تحتاجُ إلى شرحٍ طويلٍ في مجلَّدين مع الإيجاز. إلى غير ذلك مِنَ المصنَّفات المختصرات والمطولات، التي زادت على مائة وخمسين في أنواع العلوم والتَّفسيرِ والفقه والحديث والأدب، والخصوص والعموم، ولله درُّ القائل الناقد[2].

وليس (على الله)[3] بمستنكَرٍ أن يجعل العالم في واحد

إلى آخر كلامه. وقد حذفته اختصاراً، مع تغيير في بعض ألفاظه.

[ابن التنسي]

ومنهم: قاضي المالكية البدر ابن التِّنسي، أحد طلبته ممَّن أخذ[4] عنه.

فقرأت بخطِّه وصفه بالشَّيخ الإمام العالم العلامة، أوحد المجتهدين، العالم رُحْلة المحدثين، القائم بالسُّنة النبوية[5] في العالمين، سيدنا ومولانا

---

(١) في (ب): «الرتبة».

(٢) «الناقد» ساقطة من (ب).

(٣) في الأصول: «وليس لله».

(٤) في (ح): «أخذت»، وكلاهما صحيح، فهو ممن أخذ عن ابن حجر وأخذ عنه السخاوي.

(٥) «بالسنة» ساقطة من (أ).

قاضي القضاة، شيخ الإسلام والمسلمين، الشهابي الكناني العسقلاني أمتع الله المسلمين بوجوده، وأدام أيامه ولطف به. آمين[1].

[ابن العليف]

ومنهم: الشيخ بدر الدين حسين بن العُليف المكي، كما سيأتي عند اسمه فيمن امتدح صاحب التَّرجمة مِنْ هذا الباب[2].

[ابن حسان]

ومنهم: تلميذه العلامة المفنَّن شمس الدين بن حسان المقدسي، نزيل القاهرة ـ رحمه الله ـ وصفه ببُخارِيِّ زمانه، وحافظ أوانه، شيخ الإسلام والمسلمين، إلى غير ذلك ممَّا يفوق التعيين.

[أبو الفتح المراغي]

ومنهم: الشيخ أبو الفتح محمد بن أبي بكر بن الحسين المراغي.

فوصفه في ديباجة «مختصره لفتح الباري»، بشيخ الإسلام، خاتمة حفاظ الأنام، قاضي قضاة المسلمين، عَلَم العلماء العاملين، أبي الفضل أحمد ابن الشيخ العالم أبي الحسن علي بن محمد العسقلاني. طيب الله مضجعه، ونوَّر ـ بفضله ـ مهجعه. وقال: إنه وضع عليه ـ يعني على «البخاري» ـ شرحاً واسعاً وبحراً جامعاً، سمَّاه «فتح الباري»، فلخَّصتُ مِنْ مقاصده وفرائده ما يفيدُ الطالب، ويُثلج صدر الراغب.

[موفق الدِّين الإبِّي]

ومنهم الإمام الرَّحْلَة موفق الدين أبو الحسن الإبِّي نزيل مكة، رحمه الله.

---

(١) من قوله: «ومنهم قاضي المالكية» إلى هنا، لم يرد في (ب)، حين زيدت في هامش (ح).

(٢) وردت هذه الفقرة قبل التي سبقتها في (ط)، وكذا وردت في (ح)، لكن كتب فوق الفقرة عبارة: «مؤخر»، وفوق الثانية: «مقدم».

وصفه في طبقة السَّماع «للنُّخبة»، حيث قرأها عليه بمكة في سنة خمس عشرة، بالإمام العلامة حافظ العصر.

ووصفه صدر استدعاء تاريخُه سنة ثلاث وعشرين بالشيخ الإمام شيخ الإسلام فريد عصره ووحيد دهره، الحافظِ الحَبرِ المحقق العلاَّمة المدقق[1]، مفيد الطالبين، جمال المدرسين، نُخبةِ الوقت ونادرةِ الوجودِ، شهابِ الملَّة والدِّين، أبي الفضل أحمد ابن الشيخ الإمام العلامة علاء الدين أبي الحسن.

[ابن الضياء]

ومنهم: قاضي الحنفية بمكة العلامة أبو حامد محمد بن أحمد بن الضياء.

فقرأت بخطِّه صدر استدعاءٍ لبني صاحب الترجمة، مؤرِّخ بسنة سبع عشرة وثمانمائة، وصفه بسيدنا ومولانا شيخ الإسلام الإمام العلامة الأوحد شهاب الدين.

[ابن الهُمام]

ومنهم: العلامة نادرة الوقت الكمال ابن الهُمام الحنفي ـ رحمه الله ـ نقل في «شرحه على الهداية» عن صاحب الترجمة في مواضع، منها في الحج، فقال: وقال غيره ممَّن يُوثَقُ بسعة علمه، وهو قاضي القضاة، شهاب الدين العسقلاني. وفي موضع آخر قال: قال شيخنا قاضي القضاة، إلى غير ذلك.

وأخبرني الشيخ عز الدين السُّنباطي أنه قال له وهو متوجِّه لصاحب الترجمة: سلِّم عليه، وقل له: مَنْ أحبَّك، فقد أحب العلم والدين، وشيخ الإسلام، وأن الكمال كان يقول عنه: ابنُ حجر إمَّا أن يُحَصِّلَ حسناته بكسبه واكتسابه، أو بلا كسبه ولا اكتسابه. فمن الأول: العلم، ومن الثَّاني: ذكرُ النَّاس له.

---

(١) في (ب): «الموفق».

[زين الدين القلقشندي]

ومنهم: الفاضل العلامة زين الدين عبد الكريم بن القلقشندي المقدسي.

فقرأت بخطّه صدر أسئلة أرسل بها لصاحب الترجمة ما نصه:

المسؤول مِنْ إنعام سيِّدنا ومولانا قاضي القضاة [شيخ الإسلام، علمِ الأعلام، حسنةِ الأيَّام، قُدوة الأنام، أمير المؤمنين في حديث النبي عليه أفضل الصلاة والسلام، وحيدِ دهرِه، وفريدِ عصره، رأس مال المسلمين، ومنبع فوائدهم، أيَّد الله الدِّينَ ببقائه، وأدامَ النَّفعَ به، ووصل أسبابِ الخيرات بسببه.

إلى أن قال: والعبدُ ليس هنالك، ولا أهلاً لذلك، ولكنه تحيَّل وهزَّ جذع النخلة، لعلّ أن تُدني أغصانها إليه، وتُساقط مِنْ يانِع ثمرها عليه، ولا شكَّ أنَّ أصلها ثابتٌ وفرعُها في السماء بلا مراء. وقدر المملوك كَكَفٍّ مِنْ تُراب، وأين الثُريَّا مِنَ الثَّرى.

ومرة أخرى: المسؤول مِنْ إنعام سيدنا ومولانا، قاضي القضاة][1]، حافظ العصر، شيخ الإسلام، عَلَم الأعلام، حسنة الأيام، بركةِ الأنام، قُدوةِ المسلمين، رأسِ المحققين، وَارثِ عِلْمِ الأنبياء والمرسلين. أمتع الله المسلمين بحياتكم، وأدام النَّفَع بعلومكم وبركاتكم. يرجو التَّصدُّقَ بالجواب عَنْ هذه المسائل التي أشكلَت عليه، ولم يجد من يُعَوِّلُ في إيضاح ذلك عليه، سوى التزامي على أعتابكم، والتهجُّم على أبوابكم، جعلها الله تعالى ذخيرةً للطالبين [وعمدة للراغبين][2].

---

(١) من قوله: «شيخ الإسلام» إلى هنا، لم يرد في (ب)، وورد في هامش (ح) بخط المصنف.

(٢) ما بين حاصرتين ساقط من (ط).

[أبو البركات الغزِّي]

ومنهم: الرضي أبو البركات محمد ابن الشيخ شهاب الدين أحمد الغَزِّي الدِّمشقي الشافعي، فإنه ترجمه في كتابه المسمى «بهجة الناظرين إلى تراجم المتأخرين من الشافعية المعتبرين»، وقال:

شيخنا الإمام العلامة، الحافظ الأستاذ، قاضي القضاة، شهاب الدين، بقية الأعلام، شيخ المحدثين بالديار المصرية ومؤرخها، وصاحب المصنفات التي سارت بها الركبان.

إلى أن قال: وتميَّز في الفن وشيخُه موجود، واشتهر صيتُه، وجلس إلى جانب شيخه في حال إملائه. قال: لكن غلب عليه فنُّ الحديث، فانتهت إليه معرفةُ هذا الشأن، وصار إمام زمانه فيه بعد وفاة شيخه، وتصدَّى لنفع النَّاسِ، ودرَّسَ وأفتى، ووَلِيَ المناصبَ الكبارَ والتداريسَ بعدَّةِ أماكن في القاهرة، وتصدَّى للتَّصنيف، فصنَّفَ الكثير، لم يصنِّفْ أحدٌ في زمانه مثله ولا قريباً منه.

ثم قال عن «فتح الباري»: لم يُصنَّف مثلُه ولا على منواله، وهو يشهدُ له بالمرتبة العليا في الفنون، وهو إمام الأُدباء في زمنه.

قال: وبالجملة، فهو إمامُ زمانه، وحافظ وقته وأوانه، وعنده مِنَ الذكاء والفطنة، وصفاء القريحة، ما تحيرُ فيه الأبصارُ وكان شَكِلاً حسناً، مهاباً، ضَوِيَّ الوجه، حليماً، نظيف اللسان، نَكِتاً، طيِّب الرَّائحة. أبقاه الله تعالى للمسلمين عموماً، ولمحبِّيه وطلبته خصوصاً.

[ابن كُحيل]

ومنهم: أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الله بن كُحيل التونسي، قاضي الركب الحجازي المغربي.

لقيته بالقاهرة، فأملى عليَّ ما نصه: وممن تشرَّفتُ بلقائه، وسُررت بحسن ملاقاته وولائه، شيخ الإسلام، وجمال الليالي والأيام، والنجم

المُشْرِق على المغرب والمَشْرِق، الفذُّ المفرد، العَلَمُ الأعلَمُ، قاضي قضاة الإسلام، والمرجوع إليه بين الأنام، الحجة الذي يُرحل إليه، والقدوةُ الذي يرجع إليه، أبو الفضل شهاب الدين، أطال الله حياته، وأهلك عِدَاتَه، وأنشدته بديهة داعياً له بقولي[1]:

قد فُزتُم بين الأنام وحُزتُمو ... رهَنَ السِّباقِ بنشر «فتح الباري»
فالله يكلؤكم ويُبقي مَجْدَكم ... ويَحْوطكم من أعين الأغيارِ

وحضرنا مجلسه الكريم، أدام الله الأنسَ به، ورحم الخَلْقَ مِنْ سببه، وسألناه تعلماً، وتفضل علينا بالجواب تكرُّماً. وتمثَّلنا بين يديه غير ما مرة، وشافهنا وسألناه بواجهته العلمية السَّنيَّة في الكلام، والمباحث في أنواع مِنَ العلوم التفسيريَّة والحديثيَّة والبيانيَّة والفرعيَّة، ما أرجو الله عز وجل أن حصل به الشَّرف والرُّقي.

وكان ممَّا قصده به عبده ومولى تعلُّمه، ومولى إفادته لجنابه العَليِّ، المِدْحَة والتَّسلية بتقرير جرء قطرة مِنْ بحره التَّيَّار الزَّاخر ما نصه: وساق ما يأتي في فصل المديح قريباً[2].

[علم الدين البلقيني]

ومنهم: قاضي القُضاة علم الدين أبو البقاء صالح البلقيني.

فقرأتُ بخطه في تفويض لشيخنا بوظيفتي درس الحديث بجامع طولون والفقه بالصالحية وصف المفوض[3] إليه بسيدنا ومولانا الشَّيخ الإمام العالم العلامة الحافظ، قاضي القضاة، شهاب الدين، أبي الفضل أحمد، الشهير بابن حَجَر، نفع الله تعالى بعلومه المسلمين. انتهى.

ووصفه أيضاً ـ فيما هو عندي بخطه ـ بحافظ العصر، ونقل عنه في

---

(١) البيتان في الضوء اللامع ٢/ ١٣٧ في ترجمة ابن كُحيل.
(٢) ص ٤٢٧ من هذا الجزء.
(٣) في (أ): «وصفه التفويض».

«تذكرته» و«ترجمة والده» أشياء، وكان هو المشيرَ عليه بجمعِ ترجمة أبيه، رحمهم الله وإيَّانا.

[تقي الدين ابن فهد]

ومنهم محدث مكة[1]، التَّقي محمد بن فهد الهاشمي ـ رحمه الله ـ فقرأت في آخر «ذيله على طبقات الحفاظ» للذهبي لصاحب الترجمة ترجمة مختصرة، قال فيها:

الإمام العلامة، الحافظ، فريد الوقت، مفخرة الزَّمان، بقيَّةُ الحفَّاظ، علم الأئمَّة الأعلام، عمدة المحقِّقين، خاتمة الحفَّاظ المبرِّزين، والقضاة المشهورين، أبو الفضل، شهاب الدين.

إلى أن قال: وكان في حال طلبه مفيداً في زيٍّ مستفيد، إلى أن انفرد في الشُّبوبيَّة بين عُلماء زمانه بمعرفة فنون الحديث، لا سيَّما رجاله وما يتعلق بهم، فألف التَّواليفَ المفيدة المليحة الجليلة السائرة، الشاهدة له بكلِّ فضيلة، الدالَّة على غزارة فوائده، والمعربة عَنْ حُسن مقاصده. جمع فيها فأوعى، وفاق أقرانه جنساً ونوعاً، التي شنَّفت بسماعها الأسماع، وانعقد على كمالها لسان الإجماع، ورُزِقَ فيها الحظَّ السامي عن اللَّمس، وسارت بها الركبان سَيْرَ الشَّمس.

إلى أن قال: وهو إمامٌ علاَّمة، حافظٌ محقِّقٌ، متينُ الدِّيانة، حسنُ الأخلاق، لطيفُ المحاضرة، حسنُ التَّعبير، عديمُ النَّظير، لم تر العيونُ

---

(١) في (ب): «ومنهم جماعة بقيد الحياة وقت تاريخه منهم محدث مكة...» وكانت هذه العبارة موجودة في (ح) ثم حذفت.

وفي هذه النسخة أيضاً عبارة «نفع الله به» بدل «رحمه الله» وكانت هذه العبارة موجودة أيضاً في (ح) ثم شطبت وكتب المصنف فوقها بخطه: «رحمه الله»، وهذا الاختلاف بين النسخ ناشىء عن نقل كل واحدة منها عن أصل من أصول المؤلف رحمه الله يختلف عن الأصل الآخر أو عن النسخة نفسها، لكن واحدة قبل التعديل والزيادة، والأخرى بعد ذلك، فالنسخة (ب) نقلت من أصل قديم، بينما النسخة (أ) نقلت من أصل أحدث منه بعد أن غير فيه السخاوي وبدل. وانظر مقدمتنا لهذا الكتاب.

مثلَه، ولا رأى هو مثلَ نفسه. جَدَّ في طلب العلوم، وبلغ الغاية القُصوى في سرعة الكتابة، والكشف والقراءة.

إلى أن قال: وكان مِمَّن حمل نعشه السُّلطانُ فمنَ دُونَه مِنَ الرُّؤساء والعلماء، ولم يخلُف بعدَه مثلَه في الحفظ، رحمه الله تعالى رحمةً واسعة، وغفر له مغفرةً جامعة.

ثم ذكر مرثيَّة الشِّهاب الحجازي له بعد موته، وهي حسنةٌ، كما ستأتي مع غيرها في الباب المعقود لذلك، إن شاء الله تعالى.

وقال في كتابه «نهاية التقريب وتكميل التهذيب بالتذهيب»: الإمام العلامة، جَمَالُ الحفَّاظ، مفَخر الزمان، وذكر أكثر ما تقدم.

إلى أن قال: وله الخُلُق الرَّضيُّ. وسرعة الكتابة، والكشفُ والقراءة. قرأ «صحيح مسلم» في نحو يومين ونصف. و«النسائي الكبير» في عشرة مجالس، كل مجلس منها نحو أربع ساعات.

إلى أن قال: وجمع المجاميع، واختصر وانتقى، وانتفع به كثيرٌ مِنَ الشُّيوخ والأقران. وتخرج به كثيرٌ مِنَ الطلبة، فالله يبقيه في خير وعافية، ويزيده عُلُوّاً.

[تقي الدين القلقشندي]

ومنهم[1] الشيخ تقي الدين القلقشندي.

فقرأت في تراجم ألفيتها بخطه ما نصه:

---

(١) هناك اختلاف في ترتيب هذه الفقرة والفقرات التي تليها حتى ص ٣٣١ بين النسخة (أ) والنسختين (ب، ط)، وكذا وردت في (ح)، إلا أن المصنف كتب بخطه هنا: يتلوه في مقلوب الورقة التي تلي هذه: ومنهم الشيخ تقي الدين القلقشندي، وكذا أشار المصنف إلى تغيير أماكن كثيرة مما هو مدون على النسخة المقروءة عليه، وأثبتنا ما في (أ)، وهي موافقة لما أعاد ترتيبه المصنف في (ح).

قاضي القضاة، شيخ الإسلام، حامل لواء سنة سيد الأنام[1]، حافظ العصر، علامة الدهر، بليغُ زمانه، واحدُ أوانه، حُجَّةُ الله على العباد، مُذِلُّ ذوي الباطل والعناد، بقيةُ المجتهدين، محطُّ رحالِ القاصدين، عَلَمُ المسلمين، محيي سُنَّة سيد المرسلين، بغية الطالبين، وليُّ الله، شيخنا وشيخُ شيوخنا، أمتعَنَا الله بطُول حياته، وأعادَ علينا وعلى جميع المسلمين مِنْ بركاته، ولا أخلى الوجودَ مِنْ وجوده. وأفاض عليه سوابغ إنعامه وجوده، آمين.

ثم قال: وأقسم بالله إنَّ مصرَ لم تُخرج نظيره، ولو شئتُ لقلت: ولا وَرَدَ، مع علمي بأن الجمَّ الغفيرَ مِنَ الأئمة النُّقَّاد وردوها. انتهى.

وآخر كلامه أخذه عن مفيده تغري برمش الفقيه.

ومنهم الجمال يوسف[2] ابن الأمير[3] تغْرِي بَرْدي، أحد المعتنين بالحوادث. فقرأت بخطِّي فيما لخصته من «تاريخه» الذي ذيَّلَ به على «السلوك» للمقريزي، ورأيته بخطه، وفي ظنِّي أنني تصرَّفت في التقديم والتأخير ونحو ذلك:

كان إماماً عالماً، حافظاً، شاعراً، أديباً، مصنِّفاً، مليحَ الشَّكل، منوَّرَ الشَّيبةِ، حُلْوَ المحاضرة إلى الغاية والنِّهاية، عَذْبَ المذاكرة، مع وقار وأُبَّهةٍ، وعقلٍ وسكون، وحلم وسياسةٍ، ودُرْبَةٍ بالأحكام، ومداراةٍ للناس. قلَّ أن يُخاطِبَ أحداً بما يكرَه، بل كان يُحسن لمن أساء إليه، ويتجاوَزُ عَنْ مَنْ قدَرَ عليه، مع الصوم والعبادة والبِرِّ والصدقات. وهو أوحدُ مَنْ لقيناه، ولم يكن فيه ما يُعاب إلا تقريبه لولده مع جهله وسوء سيرته. وما عساه كان يفعل معه، إذ لم يكن له غيره، والله تعالى يصلحه.

إلى أن قال: وصُلِّيَ عليه بالمؤمني بحضور السلطان، وكان يوماً

---

(١) في (أ): «سيد المرسلين».

(٢) في (ب): «سيدي يوسف».

(٣) «الأمير» ساقطة من (أ).

عظيماً. ويقال: إنه حُزِرَ مَنْ مشى في جنازته بنحو خمسين ألف إنسان، ولم يخلُف بعده مثله شرقاً ولا غرباً، ولا رأى هو مثل نفسه في الحديث.

قلت: وما قاله في ولده ليس بمرضيٍّ، مع كونه شاركه في كثير مِنْ أوصافه، واختصَّ كلٌّ منهما عَنِ الآخر بأشياء، والله تعالى يصلحُنا أجمعين.

[الشهاب الحجازي]

ومنهم: العلامة شيخ المتأدبين الشهاب الحجازي رحمه الله[1].

فقرأت بخطه في أوَّلِ «ديوان» صاحب الترجمة الكبير، وقد نسخه بخطه ما صورته:

قال شيخنا الإمام عَلَم العلماء الأعلام، [شيخ الإسلام، حافظ مصر والشام، لسانُ العرب وحجَّةُ الأدب، الحبر العلامة، والبحرُ الفهَّامة][2]، ثِقَةُ المحدثين، آخرُ المجتهدين، سيفُ المناظرين، طرازُ المتأدبين، قاضي القضاة شهاب الدين، نظم الله به شمل مُحبِّيه ونثر رؤوس حاسديه، وفسحَ في أجله لمواليه ومُواليه. إنَّه على كلِّ شيء قدير، وبالإجابة جدير.

[قاسم بن قطلوبغا]

ومنهم: العلامة زين الدين قاسم الحنفي ـ رحمه الله[3] ـ فقرأت بخطه في صدر أسئلة كتبها يمتحن بها أئمة العصر، بعد وفاة صاحب الترجمة، وأرسل إليّ بنسخة منها، قال فيها:

وبعد، فالفقير يقول: لما قضى الله سبحانه بانتقال شيخنا العالم العلامة، الحافظ الفهَّامة، الجامع بين التَّحقيق والحفظ، الآخذ مِنَ العلوم

---

(١) في (ب): «نفع الله به». وكذا في (ح)، وشطبها المصنف، وكتب فوقها ما في المتن.

(٢) ما بين حاصرتين ساقط من (ب).

(٣) في (ب، ط): «دام النفع به»، وكذا كانت في (ح) ثم شطبها المصنف وكتب في الهامش: «رحمه الله».

بحظٍّ، القويّ الحافظة في الرِّواية، الذَّكيّ القريحة في الدِّراية، الضابط لقواعد السند والمتن بالتَّحقيق، العالم بمعاقد الاتصال والانقطاع والتَّعليق. العارف بأسماء الرِّجال وأحوالهم، المطلع على مبدأ أُمورهم ومآلهم. شيخ مشايخ الإسلام إلى دار السلام، أعلى الله درجته في علِّيِّين، وجعل له لسان صدق في الآخرين.

قلت: هذا لعمري حين ذهاب علم الحديث وانقطاع خبره، وزوال طلبه، وانطماس أثره، فقيل: لا. بل ثمَّ علماء أعلام، وفقهاء حكام. وخلف تلامذةً ما بين حفاظ مُتَفَنِّنين وعلماء متقنين، فقلت مُصِرًّا على الدَّعوى:

حلف الزمانُ ليأتينَّ بمثله ... حنثت يمينُك يا زمانُ فكفِّر

هلا شققتم مثل ما شقَّ الدُّجا ... جيبَ الصَّباحِ وشُقَّت الأقلامُ
هلاَّ لبستم للحداد ملابساً ... أو ما النُّجومُ حدادُها الإظلامُ
لا تحسبوا حُزناً عليه قد مضى ... للحزن فيه مع الزَّمان دَوامُ

ثم ذكر أسئلته، أدام الله عليه نعمته.

[أبو ذر الحلبي]

ومنهم: محدث حلب الآن، الموفق العلامة أبو ذر ابن شيخ الإسلام البرهان الحلبي، رحمه الله.

فقرأت بخطه كرَّاسةً ترجم فيها صاحب التَّرجمة، قال فيها: قاضي القضاة بالممالك الإسلامية، إمامُ الأئمة، وعالمُ الأُمة، الشيخُ الإمام العالم العلامة، الحافظ الناقد الجهبِذ، خاتمة الحُفَّاظ، حامِلُ راية الإسناد، من لم تر عيناي مثله، بل ولا عينُه في فنِّه.

إلى أن قال: وكتب، وخرَّج، وحصَّل، وأدَّب، وألَّف، واختصر، وسار ذكرُه في الآفاق، وانتشر أمره. وشرح «البخاري» شرحاً عظيماً، لم

يُشرح «البخاري» مثله. وتلقَّاه الناس بالقَبُول، وسارعوا إلى كتابته وقراءته عليه، وطلبَه ملوكُ الآفاق إلى بلادهم، ويوم فراغه عمل ضيافةً للناس بالقاهرة، وكان يوماً مشهوداً، وبَعُدَ صيتُه، وأملى عدَّة أمالي، وناظر، وأفتى، ودرَّس. وانعقد الإجماعُ على فضله، وانتفع به العلماء من مشايخه في فنِّ الحديث، وسألته، وسمعتُ والدي يقول عند نظره «لمبهمات البخاري» للشيخ جلال الدين البلقيني: هذه الفوائد التي فيه، الظاهر أنَّها مِنْ كلام الشيخ شهاب الدين ابن حجر. فلما اجتمع والدي بالشيخ شهاب الدين المشار إليه، [قال له: إنَّ الشيخ جلال الدِّين][1] يفسِّرُ مبهمات ويعزوها إلى كُتُبٍ ما أظنُّها عنده، وأنا أقول: إن هذا منك، فقال: نعم.

إلى أن قال ما معناه: رأيته يوماً بحضرة والدي قال يحيى بن أكتم ـ يعني بالمثنَّاة ـ فقال له والدي: هو بالمثلثة، واستند إلى ضبط النَّووي له كذلك في «تهذيب الأسماء واللغات»، وكلٌّ منهما صحيح. فقد حكاهما المؤيَّدُ صاحب حماة في ترجمته، قال: وهو الرَّجلُ العظيمُ المبْطِنُ والشَّبعان أيضاً. وسمعته ذكر النَّجم المعروف بالزُّهرة مسكِّن الهاء، فقال له والدي: هو بفتحها، وهو الذي في «التهذيب» أيضاً. بل قال: لا، بإسكانها، وكذا ضبطه في «الجمهرة» بفتح الهاء. وكان يسمع عليه بالمدرسة الشَّرفية وهو يطالع، فيقول للقارىء: سقط لك رجلٌ تارة أو رجلان على قدر ما يتَّفِق، وهما فلان وفلان، أو فلان، ونطلبُ الكتب، فيكون كما قال. وما أحقَّه بقول القائل:

عَقِمَ النساء فلا يَلدن شبيهَهُ إنَّ الزَّمانَ بمثله لَعقيمُ

وخرجنا والقاضي علاء الدين ابن خطيب النَّاصرية ومن شاء الله معه إلى جبرين، لنسمع عليهما «الأربعين» لابن المُجَبِّر، فأخذ الجزء بيده، واستدعى بالدَّواة والقلم، وخرَّج أحاديثها مِنْ مسموعاته مِنْ حفظه، بأعلى مِنْ طريق «الأربعين».

---

(١) ما بين حاصرتين ساقط من (أ).

إلى أن قال: وأخبرني العلاءُ ابن خطيب الناصرية، قال: أخبرنا الشيخ ولي الدين العراقي أنَّ أوَّلَ اشتغاله بالحديث في سنة ثلاث وتسعين. ورأيت بخطي: بلغت مصنَّفاتُه إلى مائتي مصنف. والذي أعرف منها «فتح الباري»، لم يُنسج على منواله، ولم تسمح قريحة بمثاله، و«تغليق التعليق» لم يُسبق إليه، ولم يعرِّجْ أحدٌ قبلَه عليه.

إلى أن قال: وبالجملة، ليس له مؤلَّفٌ إلا وهو فَردٌ في بابه، ويسمي مؤلفاته بألطف الأسماء، وإن اختصر كتاباً، فقد أتى فيه بزوائدَ يُحتاج إليها. وكتبَ الخطَّ المنسوبَ في أوَّلِ أمره. وكان حسنَ الشِّكالة، لطيفاً حمولاً، كثير الصَّدقات، متحرياً.

ولما كان بحلب صحبة السُّلطان، كان له راتبُ لحم يُؤتى به إليه في كلِّ يوم مِنَ السلطان. فكان لا يأكلُه، ويشتري له لحماً. وعلى وجهه نور السنة، وبلغني عن العلاء البخاري أنه قال: على وجهه نور السنة.

وأخبرني أنه رأى الشيخ شهاب الدين الظاهري ـ يعني ابن البرهان ـ في النَّوم بعد موته قال: فقلت له: أنت ميت[1]؟ قال: نعم. فقلت: ما فعلَ الله بك؟ فتغير تغيراً شديداً، حتى ظننتُ أنَّه غاب، ثم أفاق، فقال: نحن الآن بخير.

قلت: وساق باقي المنام الذي سمعتُ شيخنا يحكيه، وأورده كذلك في ترجمة ابن البرهان من «معجمه»، لكني حذفته عمداً.

قال: وأما لطائفه وملاطفته للطلبة والإحسان إليهم، فلا تكاد تُوصف. وقد كنت أسمع به وبأوصافه، فلما شاهدته رأيته فوق ذلك.

كانت مُساءلةُ الرُّكبان تُخبرني ... عن أحمد بن عليٍّ أحسن الخبرِ
لمَّا التقينا فلا والله ما سَمِعَتْ ... أُذْنِي بأحسنَ ممَّا قد رأى بَصَرِي

(١) في (ب) «متَّ».

قلت: وهذان البيتان معزوَّان لأبي القاسم محمد بن هانىء[1] الأندلسي [الشاعر المشهور][2]، ويقال: إنهما لجعفر بن فلاح، [ويقال: لأبي تمام. قال ابن خلكان: وهو غلط، بل هما لابن هانىء المذكور، والممدوح جعفر بن فلاح، ولفظ أولهما:

كانت مُساءلة الرُّكبان تخبرني عن جعفر بن فلاح أطيبَ الخَبرِ

ومن قال: «عن أحمد بن دُؤاد»، بَدَل «جعفر بن فلاح»، فقد أخطأ][3].

ووقعت فيهما اتفاقية غريبة، فيحكى أنَّ العز أيْدَمُر السَّنَائي الدَّوادار أنشدهما للتاج أحمد بن سعيد بن محمد بن الأثير الحلبي كاتب السرّ، عندما خدم بديوانِ الإنشاء في الأيّام الظَّاهرية، أول اجتماعه به، وقبل معرفة اسمه واسم أبيه، فقال:

كانت مُساءلة الرُّكبان تُخبرني عن أحمد بن سعيد أحسن الخَبرِ

ثم التقينا... إلى آخرهما.

فقال له التاج: يا مولانا، أتعرف أحمد بن سعيد؟ قال: لا والله. فقال: هو المملوك. فتعجَّبا من غرابة الاتفاق.

ونحوه أنَّ أبا الغنائم محمد بن علي بن فارس بن علي، المعروف بابن المعلّم، اجتاز يوماً ببغداد بمكان فيه زحامٌ كثير، فسأل عن سببه، فقيل: إن أبا الفرج بن الجوزي الواعظ هناك يعظ، فزاحَمَ وتقدَّم حتى سمعه، وهو يذكر، فكان مِنْ كلماته مستشهداً لبعض إشاراته: ولقد أحسن ابنُ المعلم حيث يقول:

يزدادُ في مسمعي تكرارُ ذكركُم طِيباً ويَحْسُن في عيني مكرَّرُهُ

---

(١) في (ب): «معزوان لابن هانىء».

(٢)(٣) ما بين حاصرتين لم يرد من (ب).

قال: فتعجبتُ مِن اتفاق حضوري، واستشهاده بما هو من نظمي. وهو ومَنْ حضر لا يعلمون بي.

ويقُرب مِنْ هذه الاتفاقية: أنَّ الطبراني والجِعابي تذاكرا غرائب أحاديثهما، وكان الطبرانيُّ يغلبه بكثرة حفظه، والآخر يَغْلبه بفطنته، حتى ارتفعت أصواتهما، فقال الجِعابي: عندي حديثٌ ليس في الدُّنيا إلا عندي. فقال له الطبراني: هات. فقال: حدثنا أبو خليفة، حدثنا سليمانُ بنُ أيوبَ، وساق حديثاً. فقال له الطبراني: أنا سليمانُ بن أيوب، ومِنِّي سمعه أبو خليفة، فاسْمَعْه مني عالياً. فخجل الجِعَابي.

قال ابن العميد ـ حاكيها ـ عن مشاهدته: ما كنتُ أظنُّ أنَّ في الدنيا كحلاوة الوزارة والرئاسة التي أنا فيها، حتى شاهدتُ ذلك، فوددت أنَّ الوزارة لم تكن، وكنت أنا الطبراني، وفرحت كفرحه. انتهى.

ويُحكى أيضاً أن الشيخ أبا الفتح أحمد بن أبي الوفاء بن الصائغ الحنبلي سافر في الطَّلب إلى خراسان، وغاب مدَّة، ثمَّ رجع إلى بلده ببغداد، وقصد الدَّرب الذي كان يعهد أهله فيه. فجلس في مسجد هناك، وسأل عن أهله، فأخبروه أنَّه لم يبق في ذلك الدرب أحد. واتَّفقَ أنه تكلَّم مع قاضي الشَّارع في مسألة، واختلفا فيها. فلمَّا رأى خصمُه على نفسه الغلبةَ، وقهره المذكور بالحُجَّة، قال: والله لو أنَّكَ أبو الفتح ابن الصَّائغ، ما سلَّمتُ إليك! فقال: يا أخي، أنا أبو الفتح ابن الصَّائغ، فقام إليه واحترمه.

وفي معنى البيتين الأولين، قولُ الشَّمس أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الموصلي:

ما زلت أسمَعُ عن[1] إحسانكم خَبَراً ... الفضلُ يُسنِدُه عنكم ويرفَعُهُ
حتَّى التقينا فشاهدت الذي سَمِعَتْ ... أُذْني وأضعافَ ما قد كنتُ أسمعُهُ

(١) في (ط): «من».

[وقول غيره:

وشوَّقني ذكرُ الجليس إليكم فلمَّا التقينا كنتمُ فوق وَصْفِهِ

وكل هذا استطراد[1]].

ثم أورد أبو ذر مِنْ نظمه، إلى أن قال:

وقد نظر «شرح» والدي على «البخاري»، وكتب عليه أماكن غالبها وَصْلُ تعاليق، أو اعتراضٌ على الذي كتبه[2] الكاتب، لا على ما في خط والدي، أو اعتراض على من نقل[3] والدي عنه، وكذلك نظر «مصنَّفه» على «الميزان» وأورد إيرادات واردة على الحسيني، وأرَّخ وفاته.

قال: وأراد الشيخ علم الدين صالح بن البلقيني أن يتقدم للصلاة عليه، فأشار السلطانُ إلى أمير المؤمنين، فتقدم وصلَّى، وختم بما أشيع أنه قاله قبل وفاته بيوم من الأبيات.

[برهان الدين البقاعي]

ومنهم: برهان الدين البقاعي، وهو وإن كان حالُه لا يخفى في السَّخط والرِّضا لكنِّي أردت حكاية كلامه في الجملة.

فقرأت بخطه في جزءٍ له سمّاه «أسد البقاع النّاهسة لمعتدي المقادسة» ما صورته: ثمَّ رحلتُ مِنَ القدس الشريف يوم الأربعاء سادس صفر، سنة أربع وثلاثين، فدخلت القاهرة المحروسة يوم الثلاثاء تاسع عشريه، فسارعت للفوز بالتَّشريف برؤية مَنْ كانت الرِّحلة إليه، ولم يكن التَّعويل إلا عليه، شيخُ الإسلام، وطرازُ الأنام، علمُ الأئمة الأعلام، شهابُ المهتدين مِنْ أتباع كلِّ إمام، حافظُ العصر. وأستاذُ الدهر، سلطانُ العلماء، وملكُ الفقهاء،

---

(١) ما بين حاصرتين لم يرد في (ب).

(٢) في (أ): «ذكره».

(٣) في (ب): «ما نقل».

الذي إذا سلك بحر التَّفسير، كان التَّرجُمان، والآتي مِنْ فرائد فوائده بعقود الجُمان، أو ركب متن الحديث، كان أحمدَ الزَّمان. وأظهر من خفايا خفاياه ما لم يُسبق إليه أبو حاتم ولا ابن حِبّان. وإن تكلَّم في الفقه وأصوله، عُلم أنه الشافعيُّ، وأبرز من لوايا رواياه ما لم يتجاسر عليه الإمام ولا الرافعي، أو تيمم كلامَ العرب على اختلاف أنواعه، فسيبويه والمبرِّد، وإن عرض العَرُوضَ أو الأدب على انشعاب أنحائه، فالخليل بن أحمد. متى تحدَّث المتفنِّنُون بشيء مِنَ العلم، كان مالك قياده، وأستاذَ نُقَّادِه. أبو الفضل شهاب الدين، قاضي القضاة بالديار المصرية والدول الأشرفية، خلّد الله نِعَمَه وأبَّد سعادته وأيَّد هممه. فمثلت بين يديه بالمدرسة البيبرسية، فسمعتُ مِنْ حفظه «المسلسل بالأولية»، ثم كتبتُ إملاءه مع مَنْ كتب، ولازمتُ مجالسه، وكتابة مصنفاته ومحاضراته. ثم ذكر أشياء مما امتدحه بها، ليس هذا محلُّ إيرادها.

وقال في موضع آخر: لما كانت الرِّحلة في العلوم دأب النُّبهاء، وكان المستحقَّ لها في هذا العصر والمنفرد بها علوًّا وبَهَاء، مولانا شيخُ الإسلام علامة الأنام، حافظ العصر، عين أهل الدهر، مَنْ سارت مصنفاتُه في جميع الآفاق، وكانت فتاويه وأماليه كالشمس في الإشراق، قاضي القضاة شهاب الدين أبو الفضل، بارك الله في حياته، وأدام على أهل الأرض عظيم بركاته.

وقال في موضع آخر: سيدنا ومولانا، قاضي القضاة، شيخ الإسلام، علم الأئمة وإمام الأعلام، بَحْرُ الوجود، ومعدِنُ الجود، حافظُ العصر، وأُستاذُ الدَّهر.

وفي موضع آخر: علاَّمة الدنيا، أطال[1] الله بقاءه، وأدام إلى ذرى المجد ارتقاءه.

---

(١) في (أ): «فنسأل الله».

[نجم الدين بن فهد]

ومنهم: محدِّث الحجاز، ومفيد الدنيا. نجم الدين عمر بن فهد الهاشمي، ولد الماضي، رحمه الله وإيانا[1].

فقرأت بخطه في «معجمه»[2]:

الإمام العلامة علم الأعلام، عمدةُ المحققين، حافظ السنة بركة هذه الأمة، خاتمة الحُفَّاظ، ناقد الأسانيد والألفاظ، عين الأعيان، مفخرة الزمان، من لم ترَ العيونُ كنظيره، قاضي القضاة شهاب الدين.

إلى أن قال: وكان رحمه الله ـ فريدَ عصره، ونسيجَاً وحده، وإمامَ وقته. انتهى إليه علمُ الأثرِ والمعرفةُ بالعللِ، وأسماء الرجال، وأحوالِ الرواة، والجرحِ والتعديلِ، والناسخ والمنسوخ، والمشكلات. تُشَدُّ إليه الرِّحال في معرفة ذلك. محققاً فصيحاً، شديدَ الذَّكاء المُفْرط، حسنَ التَّعبير، لطيف المحاضرة، حسنَ الأخلاق، متينَ الدِّيانة، عديم النَّظير، وعليه مِنَ الجلالة ما يليق به، وما لأحدٍ بعدَه إلى درجته وصول، ولسان الحال يقول:

هيهات أن يأتي الزَّمانُ بمثله ... إنَّ الزَّمان بمثله لبخيلُ

ونحوه:

عَقِمَ النِّساء فما يلِدْنَ شبيهَه ... إنَّ النِّساء بمثله عقمُ[3]

وفضله أشهر مِنْ أن يُوصَفَ، وشعره أرق مِنَ النَّسيم، وقد سارت بفضائله وعلومه الرُّكبان، ورُحِلَ إليه مِنْ أقطار البُلدان، ومحاسنُه كثيرة، وهو أكبر مِنْ أن يُنَبِّه على سيرته مثلي. فلو حلفتُ بين الرُّكن والمقام،

---

(١) في (ب، ط، ح): «نفع الله به».

(٢) ص ٧٠ ـ ٧٨.

(٣) في (ط): «العقيم».

وحُلِّفتُ: أني ما رأيتُ بعيني مثله، [ولم تر عينٌ][1] من رآه مثله. ولا رأت عينُه مثل نفسه، لَبَرَرْت. وما أجدرَهُ بقولِ الإمام الشافعي رضي الله عنه:

قل لمن لم ترَ عينا ... مَنْ رآه[2] مثلَه

ومن كأنَّ من رآ ... هُ قد رأى من قبلَهُ

وقد أنشدني شيخنا القطب أبو الخير محمد بن عبد القوي المكي لنفسه فيه قوله:

أستَصْغِرُ الناس عند رؤيته ... لأنه لم ير له مَثَلا

إلى أن قال: وكثُرَ الأسفُ عليه، لوفُور محاسنه، وكان موتُه مصيبةً يا لها من مصيبة عمَّت الأنام، وهدمت رُكن الإسلام، وأصمَّت المسامع، وأجرت المدامع، وإنها والله لَمِنْ أعظم الفجائع، وأطَمِّ الوقائع، [فلقد انتقضَ السُّؤددُ بمصابه، وانثلم المذهب بذهابه][3]. كان للإسلام والمسلمين سنداً، وللدين في هذا الوقت عَضُداً، ولم يخلف في معناه مثله، ولقد كان للدنيا بوجوده الجمال والبهجة والفخر، وللناس به أُنْسٌ، ولهم منه فوائدُ جمَّة. ولا أعلم في المشرق والمغرب مَنْ كان يفهم هذا الشأن مثله، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وإنا لله وإنا إليه راجعون، ورحمه الله ورضي عنه.

قلت: وهو المحرِّك لي لتبييض هذه الترجمة، فجزاه الله خيراً، وحلف لي مجتهداً، أنه كان يودُّ لو عاش ويموت هو. قال: لأن موتي موتُ شخص واحدٍ. وصاحب الترجمة يموت به علم السُّنَّة. [وقد قال قائل:

لَعمرُكَ ما الرَّزِيَّة هدمُ دارٍ ... ولا فرسٌ يموتُ ولا بعيرُ

---

(١) ما بين حاصرتين لم يرد في (أ) ولا في «معجم ابن فهد».

(٢) في «معجم ابن فهد»: رأى.

(٣) ما بين حاصرتين لم يرد في «معجم ابن فهد».

ولـكـنَّ الـرزيَّـةَ مـوتُ حُـرٍّ يـمـوتُ بـفـقـده بـشرٌ كـثـيـرُ[1]

[ابن الشِّحنة]

ومنهم: [جماعة بقيد الحياة في هذا الحين، وهو سنة ست وثمانين. منهم][2] العلامة أحد الأعيان[3]، قاضي القضاة الحنفية الآن، المحب أبو الفضل ابن الشحنة، (كان الله له)[4].

فقرأت بخطه في أوائل «شرحه على الهداية» في مذهبهم له ترجمةً مختصرة قال فيها: وألَّف في فنون الحديث كتباً عجيبة، أعظمها «شرح البخاري»، وعندي أنه لم يَشرح «البخاري» أحدٌ قبله. فإنَّه أتى فيه بالعجائب والغرائب، وأوضحه غاية الإيضاح، وأجاب عن غالب الاعتراضات، ووجه كثيراً ممَّا عَجَز غيرُه عن توجيهه. وبلغني عنه أنه قال: إنَّ أحسن مؤلفاتي، «الشرح»، و«تغليق التعليق»، و«اللسان». ومصنفاته تبلغ زيادة على مائة وخمسين، وطار صيتُه في الآفاق، وحصلت على انفراده في بابه كلمة الاتِّفاق. هذا مع الذكاء، وصفاء القريحة، وحُسَن الاستنباط، والنَّظم الحسن، والنُّكتة اللطيفة. وحُسن تسميته المصنَّفات، ولطف العبارة وانسجامها، وحلاوة المنطق، [وحسن المعاشرة والصحبة والتواضع.

إلى أن قال: ولم يجتمع لأحدٍ في عصره ما اجتمع له من العلوم][5] والمحاسن، فكان أكمل أهل عصره حين موته، فيما يغلب على ظنِّي وأعتقده. ومحاسنه جمَّة، وترجمتُه لا يسعها هذا المكان. وقد أُفردت بالتَّأليف، لكني لم أقف على ذلك. وكأنه ـ نفع الله به[6] عنى تصنيفي

---

(١) ما بين حاصرتين لم يرد في (ب).

(٢) ما بين حاصرتين لم يرد في (ب). وقوله: «في سنة ست وثمانين» لم يرد في (ط) وقد أضاف المصنف ذلك في هامش (ح)..

(٣) في (ب): «مفخر الزمان».

(٤) في (ب): «جمَّل الله بوجوده».

(٥) ما بين حاصرتين لم يرد في (ب).

(٦) في (ب): «رضي الله عنه».

هذا، فما علِمْتُ غيري أفردها. ثم أخبرني بذلك صريحاً [حين قرأ عليَّ سبطُه كثيراً من هذا الكتاب، وكذا ولده، لكن بعضه، كل ذلك بحضرته[1]][2].

قال: ورافقته في بعض الأسفار، فرأيته يقومُ اللَّيلَ، وكان شيخي ورفيقي، فإني سمعتُ بقراءته على شيخنا الحافظ أبي الوفاء، وشيخ شيخي، فإنني أخذت شيئاً مِنْ نظم والدي عن القاضي علاء الدين ابن خطيبِ الناصرية، وابنُ خطيب النَّاصرية أخذ عنه. وكانت بيني وبينه مباسطات ومكاتبات، وكان يُكرِمُني ويُحسن إليَّ، رحمه الله تعالى. وكتب لي مرة في عنوان كتاب بخطه: المحبي، شيخ الإسلام بالمملكة الحلبية.

إلى أن قال: وكان رقيقَ الطَّبع ظريفاً لطيفاً، حسن الهيئة، له نُورانيةٌ، ووقعٌ في النفوس، ومحبَّة في القلوب، وكانت جنازتُه مشهودةً حافلة جداً، حتى قيل لي: إنَّه لم يرَ أهلُ العصر مثلَها، ولا ما يقاربها، رحمه الله وإيانا.

[شهاب الدين بن الأخصاصي]

ومنهم: الفاضل شهاب الدين بن الأخصاصي الدمشقي.

فقرأت بخطه في مقدمة شيء عمله بعد أن سمعته مِنْ لفظه:

وكان مِمَّن حاز قصبَ السَّبقِ إلى هذه المراتب العليَّة بالدِّيار المصرية، حاكم حكامها، ومالك زمامها، رُحْلة الزمان، اللاَّحق بالعلم والحلم لِمَنْ جارى بميدان الفرسان، علم الأعلام، وشيخ شيوخ الإسلام، حافظ الدهر، وفريد العصر، طويل الباع، مديد المناقب، بسيط الأيادي بالنَّدى المتقارب، فضله الوافر كامل بالحكمة وفصل الخطاب، وذهنُه المنسرحُ خفيفُ السِّباحة في بحور الآداب. شهدتْ له فُضلاء الممالك بالفضل البارع، فما له في

---

(١) في (ط): «بين يديه».

(٢) ما بين حاصرتين لم يرد في (ب). وورد في هامش (ح) بخط المصنف.

العصر مِنْ مضارع. أحلى مِنَ النبات لفظُه المكرَّر، وكم لَبِسَ مِنْ مُفَصَّلِ المديح ثوباً محرر. خُلاصة خواصِّ العارفين، مولانا وسيدنا، قاضي القضاة، شهاب الدين، أدام الله تعالى أيّامه الزاهرة، وأفاض عليه ملابس نِعَمِه الفاخرة في الدنيا والآخرة، وزاده سناءً وسناً، وأبقاه بقاءً حسناً.

[قطب الدين الخيضري]

ومنهم القاضي قطب الدين الخيضري.

فقرأت بخطه في كتابه المسمى «اللُّمع الألمعية لأعيان الشافعية» ترجمةً لصاحب الترجمة، وما أعلم أنَّه ذكر في كتابه مِنَ الأحياء غيره، قال:

شيخُنا الإمام، شيخ الإسلام، ملك العلماء الأعلام، إمام الحفاظ، فارس المعاني والألفاظ، قدوة المحدِّثين، أستاذ المحققين، عُمدة المخرِّجين، علمُ الناقدين، محطُّ رحال الطالبين، ساقي الظِّماء[1] مِنْ صافي الماء المعين، لأنه البحر الذي لو رآه ابنُ معين، لصار فيه يعوم، أو البخاري، لكان للشُّرب منه يروم، ولو أدركه الدارقطني لحام حول حماه واستقطنه، أو الطبراني، لم يحلل من رحلته إلا عنده وكان استوطنه، لأنه حاملُ راية أهل الحديث بكَلِّها، وفارس ميادين علومه كُلِّها، لو اجتمع به ابن عساكر، لكان بعسكره مِنْ بعض جُنده، أو ابن ماكولا الأمير، لصار مِنْ أنصاره وذوي رفْدِه، ولو سمع به ابن السَّمعاني، لاستمع إلى كلامه، ولو لحقه ابنُ عبد البرِّ، لأقسم بارًّا أنه لا يتمهَّدُ في أحواله إلا بِدُرِّ نظامه. فهو صاحبُ المصنَّفاتِ التي سارت بها الرُّكبان غرباً ومشرقاً، والمؤلفات التي أضحى بها شهاب سعادته في أفق السماء مُشرقاً. إمام المحدثين، كنز المستفيدين، قاضي القضاة، أبو الفضل شهاب الدين.

إلى أن قال: ولازم الاشتغال والإشغال والإفادة، وعرف العالي والنَّازل، وحفِظَ المُتون، ونظر في الرِّجال وطبقاتهم، ومعرفة تراجمهم، مِنْ

---

(١) في (أ): «الظمآن».

جَرْح وتعديل، وحقَّق جميعَ أنواعِ هذه الصِّناعة وغيرها مِنْ فقه وأصول وعربيَّة، ومشاركةٍ في فنونٍ كثيرة، حتى مَهَرَ وساد على الأقران. وأقرَّ له الأئمةُ مشايخُه بالفضل والإتقان، واغتبطوا بوجوده وانتفعوا بملازمته.

حتى قال: وترقَّى وارتفعت درجتُه، واشتهر بالعلم التامِّ، والفضل الغزير، والذكاء المفرط، وتصدَّى للإفادة، وتفرد بالرِّئاسة، وشاع ذكرُه في الأقطار، واشتهر اسمه، وبعُدَ صيتُه، وتَبَجَّح الأئمَّةُ والفُضلاءُ مِنْ جميع النواحي بالرِّحلة إليه والأخذ عنه، وصار هو المرجوع إليه [والمعوَّلَ عند المشكلات عليه][1]، ولا تركنُ النَّفسُ إلا إلى كلامه، ولا يَعتمِدُ النَّاسُ إلا على فتواه. وصار فريدَ الدُّنيا على الإطلاق فيما نعلم، وصنَّف التَّصانيف المفيدة البالغة في الإحسان، النافعة لكل إنسان. فذكر جملة منها.

ثم قال: وبالجملة، فهو فَرْدُ زمانه، لم يَرَ مثل نفسه، ولا وقعت عيني على نظيره، ولا أظنُّ أنَّ الزمان فيما بَعْدُ يسمح بمثله:

حَلَفَ الزَّمانُ ليأتيَنَّ بمثله ... حنثت يمينك يا زمانُ فكفِّرِ

هذا مع ما احتوى عليه مِنْ دينٍ وعبادة وتواضع وصيام وقيام، واتباع للسنة في جميع أحواله، وإحسانٍ كثير إلى المساكين والفقراء. إلى آخر كلامه.

* * *

ورأيت بخطِّ مغربيٍّ جزءاً أفرده[2] شيخَنا مذيَّلاً به على الحافظ ابن ناصر الدين في الحفاظ، فترجمه الكاتب بآخره، ابتدأ بتعيين مولده ووفاته، لكنه أخطأ فيهما، ثم قال: وكان أحدَ الأئمة الحُفَّاظ الذين بهم يُقتدى، وبمآثرهم يُهتدى، ومن يجب إليهم الانتهاء ويَحْسُنُ بهم الابتداء، وقد انتهت إليه رئاسة العلم في عصره، واشتهر في الآفاق، وانعقد على حفظه وفضله

(١) ما بين حاصرتين لم يرد في (ب).

(٢) في (ب، ط): «أفرد».

الاتفاق، نوَّه غيرُ واحدٍ مِنَ المشايخ الأكابر بذكره بالثناء الجميل، وساق عنه مقطوعاً من شعره.

قال: وله جملةُ تصانيف تزيد على المائة، غاية في الإجادة. وشعرُه كثير. وسمع من أشياخنا البرهان الشَّامي، والبلقيني، والعراقي، وابن الملقن، وغيرهم. وله «برنامج» حافل ذكر فيه من شيوخه وشيوخنا نحو ستمائة إنسان، عدا مَنْ تَحَمَّل عنه مِنَ الأقران، وترجمته كبيرة، ذكرتها في غير هذا. قدس الله سره العزيز. انتهى.

وما علمتُ مَنْ هذا المترجِم. وإن كان بآخر التصنيف ما نصه: أملاه اقتضاباً مِنْ خَطِّ مؤلِّفه علي بن محمد العلوي المحمدي الغزالي القادري الشاذلي الموحدي. فالله أعلم.

[وعن بعضهم فيه: قُطعت إلى حضرته المراحل، وسارت بتصانيفه السُّفن والرَّواحل، وغدا بها الفارس والراجل. إلى غير ذلك مما يطول، ولا يستقصى به المقول][1].

قلت: وقد كنتُ عزمت على إيراد التعريف بهؤلاء المترجِمين، ليظهر ما خَفِيَ مِنْ أمرهم عند مَنْ شاء الله مِنَ المهملين، ثم أضربتُ عن ذلك خوف الإطالة والسآمة والملالة.

وقد بان لك بما أوردته مِنْ كلامهم أنَّ صاحب التَّرجمة رحمه الله تعالى، قد دخل في (١) طبقات[2] الحُفَّاظ دخولاً متعيّناً، ولذلك ألحقه فيما ذيل به على الذَّهبي بعضُ من أسلفتُ كلامَه مِمَّن أخذت عنه. وكذا يدخل في (٢) طبقات الأئمة الشافعية، وقد أدخله فيهم غيرُ واحدٍ كما علمته. وفي (٣) طبقات أئمة الأدب، وقد أورده فيهم البدر البشتكيُّ كما سبق. وفي (٤) أعيان العصر، بل هو أحدُ الأعيان، وقد ذكره المقريزيُّ كما تقدَّم فيهم. ولو تأخر الفاسي، لكتبه في «ذيل سير النبلاء»، وفي (٥) التاريخ المشتمل على الحوادث، وعلى وفيات كل مَنْ له ذكر مِنَ الأعيان وغيرهم.

---

(١) ما بين حاصرتين لم يرد في (ب).

(٢) وردت هذه الأرقام في نسخة (أ)، وبعضها في (ط) ولم ترد في (ب).

وقد أدخله شيخُنا البدر العيني فيه، لكن لم يقع لي المجلد الأخير مِنْ «تاريخه» إلى الآن. وكذا ذكره غيرُه كما سلف. وفي (٦) قضاة مصر، وقد ترجم نفسه فيهم في مصنفه «رفع الإصر». وفي (٧) تاريخ مصر، وأظنُّ المقريزيَّ أدخله فيه، لكنه غاب عنِّي الآن. وفي(٨) معجم الشيوخ، وقد ترجمه [في معجمه][(١)] غيرُ واحد مِنْ أصحابنا، وكذا[(٢)] البقاعي. لكني لم أقف على كلامه بعد، نسأل الله التوفيق.

[وممَّن ذكره: الشهاب أحمدُ بن عبد الله الطَّاوسي في «مشيخته»، فقال: الحافظ الإمام قاضي قُضاة الإسلام، مُسند بلاد مصر والشام، الشيخ شهاب الدين أبو الفضل ابن حجر.

والعفيف محمد بن عبد الرحيم بن عبد الكريم الجُرْهي، والد نعمة الله، وكلاهما من طلبته، فقال في «مشيخته»: الإمام العلامة، الحافظ البارع، المتقن الضابط، الثقة المأمون، فلان. إمامٌ حافظٌ، متبحر في علم الحديث والأدب. وله تواليف بديعة][(٣)].

وفي (٩) المؤتلف والمختلف، وقد أدخله فيه بعضُ مَنْ قدَّمناهم، (١٠)، وأدخله ابنُ خطيب الناصرية في «تاريخ حلب»، والفاسي (١١) في «ذيل التقييد».

فهذه زيادةٌ على عشرة أنواع مِنْ فنِّ التاريخ وقع إدخالُه فيها. وكذا يتعيَّن إدخاله في الأذكياء والظُّرفاء والكتَّاب.

وقد سبقني لما أشرتُ إليه الجاحظُ، فقال في ترجمة أبي الأسود الدؤلي: كان معدوداً في طبقات مِن النَّاس، مقدماً في كلٍّ منها، كان يُعَدُّ في التَّابعين، وفي الشُّعراء، والفقهاء، والمحدثين، والأشراف، والفرسان،

---

(١) في «معجمه» ساقطة من (ب).

(٢) في (ب): منهم الشيخ برهان الدين البقاعي، وكذا كانت في (ح)، ثم غيرت كما هنا.

(٣) ما بين حاصرتين ساقط من (ب).

والأمراء والنُّحاة، والحاضرين الجواب، والشِّيعة، والصُّلْع، والبُخْرِ، والبخلاء. انتهى.

ولله در القائل:

والنَّاس أكيسُ مِنْ أن يَحْمَدُوا رجلاً ... حتى يروا عنده آثار إحسان[1]

وأنشد بعضهم:

إذا سمعتَ كثيرَ المدحِ عَنْ رجلٍ ... فانظر بأيِّ لسانٍ ظلَّ ممدوحَا
فإن رأى ذلك أهلُ الفَضْلِ فارضَ له ... ما قِيلَ فيه، وخُذْ بالقولِ تصحيحَا
أو لا فما مدحُ أهلِ الجهل رافِعَه ... وربما كان ذاك المدحُ تجريحَا

وقال بعضهم:

ثناؤك المشهورُ مسكٌ إذا ... ما فاح بين النَّاس لم يُكْتَمِ
يُغني فتاة الحيِّ عَنْ عِطرها ... ويُوقع المُحْرِمَ في مَغْرَمِ

وقال آخر:

والنَّاسُ ألفٌ منهمُ كواحدٍ ... وواحدٌ كالألف إن أمرٌ عَنَا

---

(١) من قوله: «وقد سبقني»، إلى هنا، لم يرد في (ب).

فصل

وإذا انتهى ما وقفنا عليه مِنْ هذا الباب، مِنْ ثناء الشُّيوخ والطلبة والأصحاب، فلنَفِ بما وعدنا به أولاً مجملاً ومفصلاً، فأقول:

[الناقلون عن ابن حجر في تصانيفهم]

إنَّ صاحب الترجمة ـ سقى الله مضجعه، وبالرحمة عمَّمه ـ كان إليه المنتهى في الحفظ والإتقان، وعليه المعوَّلُ عند الشيوخ والأقران، فضلاً عَنِ الطَّلبة والشُّبَّان، حتى نقل عنه[1] غيرُ واحدٍ ممَّن تقدم في تصانيفهم، كالتقي الكرماني، حيث جعل «فتح الباري» مِنْ جملة أصوله في «شرحه» الذي عمله على «البخاري»، [بل اختصر مصنفه في الأوائل كما تقدم][2]. والبرماوي، حيث قال في خطبة «شرحه على البخاري»: فما أضمُّه إليهما وصل ما أهملا مِن التَّعليقات، وتسمية ما أهملا مِنَ تفسير المبهمات، والجواب عما اعترض به الدارقطني والإسماعيلي، وعدد الأسانيد والمتون مما ليس مِنَ الواضحات. وذلك غالباً من تصانيف بعض الحُفَّاظ العصريين، فإنه أشار بذلك إلى صاحب الترجمة، على ما أخبرني به بعضُ ثقات شيوخنا مِمَّن أخذ عنه. قال: بل كان صرَّح باسمه أولاً، ثم أبهمه لأمر اقتضى ذلك.

والفاسي والبرهان الحلبي وابن خطيب الناصرية والمقريزي وابن الهُمام

---

(١) في (ب): «عنهم».

(٢) ما بين حاصرتين ساقط من (ب).

[وبعضهم في النقل أكثر من بعض][1].

ومن غيرهم، كزاهد العصر العلامة الشهاب أحمد بن رسلان الرملي. نقل عنه في «شرح صفوة الزُّبد» تصحيح [حديث][2] عبد الله بن عكيم عن ابن مسعود أنه كان يقول: «اللهمَّ زدنا إيماناً ويقيناً وفقهاً»، فقال: قال الحافظ ابن حجر: وإسناده صحيح. وكذا نقل عنه في غير ما موضع على ما بلغني. وأرسل له بأسئلة خَفِيَ عليه الأمرُ فيها عند شرحه «للسُّننَ لأبي داود»، فأجابه عنها. لكنه ما تيسَّر الإرسالُ بها لقُرب وفاة السَّائل مِنْ زمن المسألة. نعم أعطاها شيخنا، بحضرتي، لولده عبد القادر، وقد وَفَدَ عليه بعد وفاة والده، وقال له: إن أمكن إلحاق هذه في محالِّها، فلا بأس. وما علمتُ ما اتَّفق فيها، والظاهر أنَّه لم يلحق شيئاً مِنْ ذلك لوفاته أيضاً عَنْ قريب، رحمهم الله وإيانا.

ثم رأيته في باب تنزيل الناس منازلهم من الأدب من «شرحه» نقل عنه بقوله: قال شيخنا ابن حجر.

وشيخ الوقت العارف المربي شمس الدين محمد بن عمر الواسطي العمري، أكثر النقل عنه في تصانيفه بقوله: قال سيدنا ومولانا قاضي القضاة حافظ العصر.

ومن جملة ذلك أنَّه صنَّف كتاباً في أسباب المغفرة، فلخَّص فيه كثيراً من «الخصال المكفرة» لشيخنا صاحب الترجمة، وكان كثيراً ما يُرسل يسأله عن أحاديث وغيرها. وأسئلته له موجودةٌ الآن عند ولده الشيخ أبي العباس، على ما أخبرني بذلك، أرجو الوقوف عليها إن شاء الله تعالى.

وحكى لي بعضُ الثِّقات أنَّه سمعه يقول: إن القاضي جلال الدين البلقيني أنكر على[3] شيخه الشيخ أبي العباس الزَّاهد شيئاً، فناضل عنه

---

(١)،(٢) ما بين حاصرتين ساقط من (ب).

(٣) في (أ): «عليه».

صاحبُ الترجمة، وبيَّن أن الصواب معه، فكان يرعى له ذلك.

وكذا أكثر النَّقلَ عنه في تصانيفه التاريخية ونحوها، فقيهُ الشام التَّقيُّ ابن قاضي شهبة، وأكثرُ المتأخرين في «طبقات الشافعية» له مِنْ كلامه. وأكثرُ ما يقولُ: قال الحافظ، وربما وصفه بحافظ العصر[1]. زاد في بعض المواطن وأديبه.

[وممن نقل عنه: الجلال المحلي والتقي الشُّمُني وآخرون، لا يمكن الوقوفُ على حصرهم، منهم عالم الحنابلة العز الحنبلي، لا سيما في الكتاب الذي ابتكرَ وضعه في المراثي المنظومة، الذي رتبه على حروف المعجم، بل عقد في كل باب مِنْ أبوابه فصلاً لزيادات صاحب الترجمة فيه][2].

والتمس منه العلامة أبو البركات الغرَّاقي، رحمهما الله، إفادة ما وقف على حافظ البلاد الحلبية الأمر فيه في «شرحه على الشفاء» ومعظمه في الرجال. وكأن المصنف كان أوصى أبا البركات بذلك، ففعل ذلك في كثير منها، ثم تشاغل عن باقيها، لكنه التمس مِنَ السائل إفرادها في كُرَّاسة ليسهل الأمر عليه في مراجعتها، وما أظنُّه تيسَّر. إلى غير ذلك مما اشتهر ذكره وانتشر.

وأرسل إليه الشيخ بدر الدين العيني مراراً يسأل عن أشياء في الرِّجال وغيرها.

وقد شاهد الأئمة مِنْ جلالته ما أعجز عن ذكره، مما هو دالٌّ على عظيم منزلته وعلو قدره. فمن ذلك ما حكيتُه في قصة تمتام عن البلقيني شيخ الإسلام[3]، ومنه أيضاً ما حدَّثنا الثقةُ أنَّ حافظَ الوقت الزين أبا الفضل العراقي خرّج في «الأربعين العشاريات» له «الحديث المسلسل بالآخرية»،

---

(١) في (ب، ط): «قال حافظ العصر».

(٢) ما بين حاصرتين لم يرد في (ب).

(٣) انظر ص ٢٦٦ من هذا الجزء.

فقال فيه ـ تبعاً لشيخه الحافظ الحجة أبي سعيد العلائي ـ إنَّ إسماعيل الصفَّار آخر مَنْ روى عن الحسن بن عرفة، فذكر صاحبُ الترجمة له أن الحافظ الذهبي قال في «تذكرة الحفاظ» له: إنَّ علي بن الفضل السُّتوري آخر مَنْ حدَّث عن الحسن بن عرفة. فاعتذر بأنَّ سلَفه في ذلك العلائي، وأحضر «تاريخ الخطيب»، فكشف منه ترجمة عليٍّ المذكور، فوجد فيها أنَّه حدث عن الحسن بن عرفة بأحاديث يسيرة. [وأنه ثقة][1]، وأنَّه مات سنة ثلاث وأربعين وثلثمائة. فعند ذلك رجع عن تقليده الأول، وقيَّد إطلاقه بقوله: وهو آخر مَنْ حدَّث عنه بهذا الحديث.

[مراسلة الحافظ العراقي لابن حجر]

ومنه ما قرأتُه بخط الحافظ العراقي أيضاً فيما كتب به إلى صاحب الترجمة وصورته:

الحمد لله. المسؤول مِنْ إحسانه إرسال «مسند أبي يَعْلَى». حتى أكتُب منه حديث عُبيد الله بن عمر، عن ثابت، عن أنس رضي الله عنه في الصحابي الذي كان يؤُمُّ أهل قُباء، ويقرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ وسورة أخرى، فإنَّه رواه الترمذي عن البخاري، وعلَّقه البخاري، فقال: وقال عبيد الله بن عمر، فانظروه في «أطراف المسند» لأحمد، عمَّن رواه، وهل كتبتموه في «تغليق التعليق» في شيء مِنْ هذه الكتب أو غيرها؟ والله يُبقي مولانا في خير وعافية. انتهى.

فكتب صاحب الترجمة عقب ذلك ما مثاله، وأرسل به إلى شيخه المشار إليه:

هذا الحديث رواه الترمذي عن البخاري، عن إسماعيل بن أبي أويس، عن عبد العزيز بن محمد الدَّراوَرْدي، عن عبيد الله بن عمر، به. وروى الترمذيُّ طرفاً منه عن أبي داود السِّجستاني، عن أبي الوليد الطيالسي، عن

---

(١) ساقطة من (ب).

مبارك بن فضالة، عن ثابت. وأهمل المزيُّ هذه الطريق في «الأطراف». وكذلك أهمل الرقم في «التهذيب» للترمذي على أبي الوليد، إذ ذكره في شيوخ أبي داود، وعلى أبي داود، إذ ذكره في الرُّواة عن مُبارك بن فضالة، وعلى مبارك بن فضالة، إذ ذكره في شيوخ أبي الوليد، وعلى ثابت البناني، إذ ذكره في شيوخ مبارك. وكلُّ ذلك لازمٌ له. وقد رواه أبو نُعيم الأصبهاني في «مستخرجه على البخاري» عن أبي دُلَف، عن البغوي، عن مُصعبٍ الزُّبيري، عن الدّراوردي.

وروينا هذا الحديث عالياً في «فوائد» أبي محمد عبد الرحمن[1] بن أبي شُريح الأنصاري، رواية عبد الأول بن عيسى، عن بيبي الهَرْثَميَّة، عنه، عن البغوي، عن مصعب بن عبد الله الزُّبيري به. لكن سياق إسماعيل بن أبي أويس أتمُّ.

ورواه ابن حبَّان في «صحيحه» عن أبي يعلى، عن مصعب به. ورواه الطَّبَراني في «الأوسط» عن أحمد بن يحيى الحُلواني، عن مصعب، وقال: تفرَّد به الدَّراوَرْدي عن عُبيد الله. ورواه الجَوْزقي في «مستخرجه» عن الدَّغُولي، عن أحمد بن سيار، عن[2] إبراهيم بن حمزة، عن الدَّراوردي نحو رواية مصعب. ومن هذا الوجه رواه ابنُ خزيمة في «صحيحه»، والحاكم في «مستدركه»، والبيهقي في «السنن الكبرى». ورواه أبو نعيم في «مستخرجه» أيضاً مِنْ طريق إبراهيم بن محمد الشافعي عن الدراوردي، نحو رواية مصعب. ورواه البيهقي في «السنن الكبرى» من طريق مُحرز بن سَلَمَة عن الدراوردي نحو رواية إسماعيل بن أبي أويس. ولم أره في «مسند أحمد». والله الموفق.

ومنه أن العراقي المذكور لمّا كبر وتعب، وصعب عليه التَّخريجُ،

---

(١) في (أ): «أبي محمد بن عبد الرحمن»، خطأ، وهو أبو محمد عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن أبي شريح (ت ٣٩٢ هـ) السير ١٦/٥٢٦.

(٢) في (أ): «بن»، تحريف.

استروح لإملاء شيء قد خُرِّج، ممَّا لم يُحتج فيه لتَعَب المراجعة، فأملى من الأحاديث العشاريات السُّنن التي خرجها له صاحب الترجمة، صلة للأربعين التي خَرَّجها هو لنفسه. وكان ذلك بإشارة رفيقه الحافظ أبي الحسن الهيثمي، وولده الأستاذ أبي زُرعة، وغيرهما، بعد أن كان انقطع الإملاءُ مدَّةً. وفيه من المنقبة ما لا يخفى.

ومنه ما قدمناه قريباً عَنِ البساطي، فيُنظر ثمَّ.

[مراسلة الجلال البلقيني لابن حجر]

ومن ذلك أن قاضي القضاة، شيخ الإسلام جلال الدِّين البُلقيني، كان كثير الإرسال إليه، يلتمس منه الجواب عما يستشكله في هذا الفن، خصوصاً في الكتاب الذي عمله في «مبهمات البخاري»، فهو ـ كما شهد به الحافظ البرهان الحلبي على ما حكاه ولده أبو ذرٍّ، كما تقدم عنه[1] ـ إنَّما مُعوَّله فيه على صاحب الترجمة، وليس يلحقُه ـ رحمه الله ـ نَقْصٌ مِنْ ذلك، بل هو غايةُ الكمال.

وقد ظفَرْتُ بعدَّة أسئلة بخط المذكور أرسل بها لصاحب الترجمة، وأجابه عنها، فرأيت إثبات بعضها هنا ليستفاد.

[القول في رواية رافع بواب مروان عن ابن عباس]

الأول مُلخَّصه: قال البخاري[2] في تفسير سورة آل عمران: حدثنا إبراهيم بن موسى، أخبرنا هشام، أنَّ ابن جريج أخبرهم، عن ابن أبي مُلَيكة، أن علقمة بن وقَّاص أخبره أن مروان قال لبوَّابه: اذهب يا رافع إلى ابن عباس، فقل: لئِن كان كلُّ امرىء فَرِحَ بما أُوتي، وأحبَّ أن يُحمدَ، بما لم يفعل معذَّباً، لنُعَذِّبَنَّ أجمعون. فقال ابن عباس رضي الله عنه: ما لكم ولهذه، إنما دعا النبيُّ ﷺ يهود، فسألهم عن شيء، فكتموه

---

(١) ص ٣٢١.

(٢) حديث رقم ٤٥٦٨ ـ الفتح ٨/ ٢٣٣.

إياه، وأخبروه بغيره، فأروْه أن قد استحمَدوا إليه بما أخبروه عنه فيما سألهم، وفرحُوا بما أتوا من كتمانهم، فيما سألهم، ثم قرأ ابن عباس: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ حتى قوله: ﴿يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟﴾ [آل عمران: ١٨٧ ـ ١٨٨].

تابعه عبد الرَّزاق عن ابن جريج: حدثنا ابن مُقاتل، أخبرنا الحجاج، عن ابن جريج، أخبرني ابن أبي مُلَيكة، عن حُميد بن عبد الرحمن بن عوف، أنه أخبره أن مروان، بهذا.

وأخرج مسلم الحديث في أبواب التَّوبة[1]، فقال: حدَّثنا زُهير بنُ حرب وهارون بنُ عبد الله ـ واللفظ لزهير ـ قال: حدَّثنا حجَّاجُ بنُ محمد، عن ابن جُريج، أخبرني ابنُ أبي مُلَيكة، أن حُمَيدَ بن عبد الرحمن بن عوف أخبره، أنَّ مروان قال: اذهب يا رافع ـ لبوابه ـ إلى ابن عباس، فقُل: لئن كان كلُّ امرىء مناً فرِحَ بما أتى، وأحب أن يُحمد بما لم يفعل معذباً، لنُعَذَّبَنَّ أجمعون، فقال ابن عباس: ما لكم ولهذه! إنَّما أنزلت هذه الآية في قوم مِنْ أهل الكتاب: ثمَّ تلا ابن عباس: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٨٧] هذه الآية[2].

وتلا ابن عباس: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟﴾ [آل عمران: ١٨٨]. وقال ابن عباس: سألهم النبيُّ ﷺ عن شيء، فكتموه إياه، وأخبروه بغيره، فخرجوا قد أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه، واستحمدُوا بذلك إليه، وفرحوا بما أتَوْا مِنْ كتمانهم إيَّاه ما سألهم عنه.

فأخرج المتكلِّمُون على أطراف الصحيحين هذا الحديث في ترجمة حُميد بن عبد الرحمن عن ابن عباس، وفي ترجمة علقمةَ بن وِقاص عن ابن عباس، ليس فيه لرافعٍ بوَّابِ مروانَ روايةٌ. وطريق حُميد رواها مِنْ

---

(١) برقم ٢٧٧٨.

(٢) من قوله: «حتى قوله» إلى هنا، سقط من (أ).

أصحاب الكتب الأربعة: الترمذيُّ والنَّسائيُّ. ووقع في «الكاشف» للذهبي: رافع بواب مروان عن ابن عباس، وعنه علقمة بن وقاص وغيره، وعلَّمَ عليه البخاري والنسائي. وهذا يقتضي أن يكونَ رافعٌ هو الذي روى عنه علقمةُ بن وقَّاص وغيرُه هذا الحديث، والأرجحُ ما صنعه في الأطراف، ويكون حميدٌ وعلقمةُ قد سمعا قولَ مروان لبوابه، أو سمعا قولَ ابنِ عبَّاسٍ لبوَّابِ مروان الذي هو المسنِد، فلم يرويا ذلك عَنْ رافعٍ أصلاً، فلا يُذْكَرُ رافع في الرواة لهذا الحديث، فإن كان حديث غيره، فلا أدري.

فكتب صاحب الترجمة ما نصُّه:

الجوابُ، وبالله التوفيق: لم يروِ علقمةُ بنُ وقَّاص ولا حميدُ بنُ عبد الرحمن بن عوف عن بوابِ مروانَ بنِ الحكمِ حديثاً غير المسؤول عنه، إن كان كلٌّ منهما إنما سمع جواب ابن عباس مِنْ رافع على ظاهر سياق رواية هشام بن يوسف، وعبدِ الرزاق، وحجَّاجِ بن محمد المِصِّيصي، بل ولا روى حميدٌ وعلقمةُ المذكوران عن ابن عبَّاسٍ حديثاً غيره فيما أعلم. وقد روى الحديثَ المذكورَ الترمذيُّ والنسائيُّ، كلاهما في التفسير، مِنْ طريق حجاج بن محمد نحو سياق مسلم. قال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب، وليس فيه أيضاً تصريحٌ بأنَّ حُميداً سمع ذلك مِنَ ابن عباس. وهكذا رواه الإمام أحمد في «مسنده» عن حجَّاج، وهكذا رواه الطبراني في «معجمه الكبير» عن جعفر بن سُنيد بن داود، عن أبيه، عن حجاج، وهكذا رواه الإسماعيلي عن القاسم بن زكريا المطرِّز، حدَّثنا الرَّماديُّ - يعني أحمد بن منصور - وابن زنجوية - يعني محمد بن عبد الملك - ومحمد بن إشكاب، وعبَّاس، يعني: ابن محمد الدُّوري -. قالوا: حدَّثنا حجاج بن محمد مثله. وهكذا رواه الجوزقي في «المتَّفق» من طريق عبد الرحمن بن بشر بن الحكم، عن حجاج، وهكذا رواه أبو نعيم في «المُستخرَج على مُسلم»، من طريق الحسنِ بن محمد بن الصَّباح الزَّعفراني، وعبدِ الرحمن بن يونس الرَّقِّي، ومحمد بن إسماعيل الصائغ، ويوسفَ بنِ سعيد بن مسلم، كلهم عن حجَّاج، لم يختلفُوا عليه في السيَّاق، بل سياقُهم لموضِعِ الحاجة الآن مِنْ هذا الخبر مثل سياق مُسلم سواء.

وأمَّا طريقُ عبد الرزَّاق التي علَّقها البخاري بمتابعة هشام بن يوسف عليه، فقال أبو جعفر بن جرير الطَّبري في «تفسيره»: حدَّثنا الحسنُ بن يحيى، حدَّثنا عبدُ الرَّزَّاق، أخبرنا ابن جريج، أخبرني ابن أبي مُلَيكة، أنَّ علقمة بن وقَّاص أخبره أنَّ مروان قال لبوَّابه: اذهب يا رافعُ إلى ابن عباس، فقل له: لئن كان كل امرىء منّا فرح بما أتى وأحب أن يُحمَدَ بما لم يفعلَ معذَّباً، لنُعَذَّبَنَّ أجمعون. فقال ابن عباس: ما لكم ولهذه... فذكر الحديث.

وهكذا رواه الإسماعيلي[1] في «المستخرج على صحيح البخاري» عن أبي بكر محمد بن إبراهيم بن المقرىء، عن أبي عروبة الحُسين بن محمد بن أبي معشر الحراني، عن سَلمَةَ بن شبيب، عن عبد الرزاق به. فاتَّفقَ هؤلاء الثَّلاثة مِنْ أصحاب ابن جريج ـ وهم: هشامُ بنُ يوسف وعبد الرزاق الصَّنعانيان، وحجَّاجُ بنُ محمَّد المِصِّيصي ـ على سياق القصة. وخالف الصَّنعانيان المصِّيصيَّ في اسم الراوي للقصة، فاتفقا على أنَّه عَنْ علقمَة. وقال حجاجٌ: عن حُميد، فنظرنا: هل نجد لحجاج متابعاً ليَبْعُدَ الترجيحُ بالأكثريَّة ويُرْجَع إلى الجمع، فإذا محمدُ بنُ عبد المَلك بن جريج قد رواه عن أبيه بمتابعة حجاج بن محمد، إلا أنه لم يُسم رافعاً.

وأخرجه الإمام الكبير أبو محمد إسحاق بن راهويه في «مسنده» عن رَوْحِ بن عبادة، حدثنا محمدُ بن عبد الملك بن جريج، عن أبيه، عن ابن أبي مليكة، أنَّ حُمَيْدَ بن عبد الرحمن بن عوف أخبره أن مروان بعث إلى ابن عباس: والله لَئِنْ كان كلُّ امرىءٍ منَّا فَرِح بما أتى وأحبَّ أن يُحمد بما لم يفعل معذباً، لنُعذَّبنَّ أجمعون، فقال ابن عباس: إنما أُنزلت في أهل الكتاب، فذكر الحديث كما تقدم.

وهكذا رواه الإسماعيلي في «مستخرجه» من طريق أبي الأزهر أحمد بن الأزهر النَّيسابوريِّ، عن روح بن عبادة، إلا أنَّه لم يَسُقْ لفظه.

---

(١) ما في «تغليق التعليق» ٤/١٩٢ أن الذي أخرج هذه الطريق هو أبو نعيم في «مستخرجه» لا الإسماعيلي.

وذَهَل الحاكم فرواه[1] في «المستدرك» من طريق إسحاق بن راهويه، وزعم أنَّ الشيخين لم يخرجاه. انتهى.

وظاهر سياق رواية محمد يشعر بأن[2] حُميدَ بنَ عبد الرحمن كان عند ابن عباس لمَّا جاءه رسولُ مروان، ويؤيِّدُ ذلك عدمُ ذكرِه الرسول هنا وتسميته؛ لأنه غيرُ مقصود بالرواية.

وإذا احتمل هذا في السياق الذي عن حميد بن عبد الرحمن، احتمل مثله في السياق الذي عن علقمة بن وقاص؛ لأنه لا يخلو مِنْ أن يكونَ ابنَ جُريج حَفِظَه عن ابن أبي مُليكة عنهما جميعاً، فكان تارة يحدِّث به عن هذا، وتارة عن هذا، أو يكون ابنُ جريج سمعه مِنَ ابن أبي مليكة عن أحدهما، وعندما أدَّاه حدَّث به مرَّةً على الصواب ومرة على الوهم.

فإن كان الأول ـ وهو[3] الراجح ـ وهو ظاهرٌ مِنْ تَصَرُّف صاحبي الصَّحيح، فإنَّهما لا يجعلان الاختلاف مِنْ ثقةٍ حافظٍ على ثقتين حافظين، إذا كان على حدٍّ سواء علة[4] قادحة. بل إنما يُعللان هما ومَنْ تبِعَهُما بالاختلاف، حيث يترجَّحُ أحدُ الثِّقتين على الآخر بوجه قويٍّ مِنْ وجوه الترجيح. أو يكونُ التردُّد واقعاً بين ثقةٍ وضعيفٍ. فمثلُ هذا عندهم مِنَ العلل القادحة. وقلَّ أن يُوجَدَ في الكتابين بهذه المثابة شيءٌ بخلاف الأول، ففي الكتاب عدةُ أحاديث كذلك.

وإن كان الثاني، بأن كان ابنُ جريج إنَّما سمعه مِنَ ابنِ أبي مُليكة عن واحدٍ، فحدَّث به وتارةً على الصواب، وتارةً على الوهم، فيترجَّحُ عندي روايةُ حجاج بن محمد؛ لأنَّه أثبتُ الناس في ابن جُريج، وبذلك وصفه الإمامُ أحمد بن حنبل، ومعلَّى بن منصور الرازي، وقدَّمه يحيى بنُ معين على أبي عاصم. وقال إسحاق بن إبراهيم السُّلمي: كان حجَّاجُ بنُ محمد

---

(١) «فرواه» ساقطة من (ب).
(٢) في (أ): «بأنه».
(٣) في (ط): «هو»، بدون الواو.
(٤) في (أ): «علته».

نائماً أوثَق مِنْ عبد الرزاق يقظان.

قلت: وما يُحكى مِنْ أنَّه اختلط، قد ذكر إبراهيم الحربيُّ أنَّه لم يضرّه الاختلاط، وأن يحيى بنَ معين اجتمع به أوَّلَ ما تغيَّر حفظهُ، فقال لابنه: لا تدخل عليه[1] أحداً.

حتى لو سلمنا أنَّه ضرَّه الاختلاط، فإنَّ سماعَ الإمام أحمد منه في غاية الإتقان، ولا سيما وقد تابعه محمدُ بنُ عبد الملك بن جُريج. ولا ريبَ أنَّ آلَ الرجل إذا كانوا عُدُولاً، أولى بإتقان حديثه مِنْ غيرهم، وأما اتفاق[2] هشام وعبد الرزاق، فلا تأثير له؛ لأن سماعهما كان واحداً، والله أعلم.

وقد اعترض الإسماعيليُّ، رحمه الله تعالى، على البخاري في إخراج هذا الحديث [فقال ما نصُّه: رحمَ الله أبا عبد الله، فإنه أخرج هذا الحديث][3]، في «الصحيح»، مع الاختلاف فيه على ابن جريج، فقال عبد الرزاق وهشام: عنه، عن ابن أبي مليكة، عن علقمة. وقال حجاج: عنه، عن ابن أبي مليكة، عن حميد بن عبد الرحمن. قال: ثم إن مرجِعَ الحديث إلى بوَّابِ مروان، عن ابن عباس. وبوابُ مروان وحرسيُّهُ بمنزلةٍ واحدةٍ، ثم لم يذكر ـ يعني البخاري ـ حديث عُروة عن مروان، عن بُسرة بنت صفوان في مَسِّ الذَّكَر. ولا فرقَ بينهما، إلا أن البواب مسمًّى والحَرسيُّ غيرُ مسمًّى، وكلاهما غيرُ معروف. فالله يغفرُ لنا وله. انتهى كلامه.

والجواب عن الأول، بأنا قد بيَّنا أنَّ البخاري لا يُعلِّلُ بمثل هذا الاختلاف إذا كان دائراً على ثقات على شرطه. وأمَّا كونُه لم يخرِّج حديث بُسرة، وهو شبيه بهذا الحديث في الاختلاف فيه على عروة [وهل

---

(١) «عليه» ساقطة من (ط).

(٢) في (أ، ح): «إتقان».

(٣) ما بين حاصرتين ساقط من (ب).

سمعه][1] من مروان عن بسرة، أو من حرسيِّ مروان، عن بسرة، أو لقِيَ بُسرَة فشافَهها به، فقدِ اختلفَ الرُّواةُ فيه على الأوجه الثلاثة.

ونحن، وإن سلَّمنا أنَّ هذا الاختلاف لا يضرُّ الخبر، لأنَّ مروانَ مِنْ رجال البخاري. لا كما توهَّم بعضُ الناس أنَّه لا يجوزُ الاحتجاج به، فعروة قد سمع الخبرَ منه أولاً على كل حال، وإنَّما أراد الاستثبات فيه، فأرسل الحرسيَّ ليستثبتها فيه. ولولا أنَّ الحرسيَّ المذكور كان عند عروة عدلاً، لما اعتمده، كيف وقد صحَّ لنا بالطَّريق الصَّحيح أنَّ عروة سمعه بعدُ مِنْ بُسرة، فقد رواه ابنُ خزيمة في «صحيحه» وابن حِبَّان في «صحيحه» أيضاً عنه، عن محمد بن رافع، عن ابن أبي فُدَيْك ـ وهو محمد بن إسماعيل ـ عن ربيعة بن عثمان، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن مروان، عن بُسرة، به. قال عروة: فسألتُ بُسْرَةَ، فصدَّقته. ورواه ابن حبان في «صحيحه» أيضاً، والدارقطني والحاكم من طريق شعيب بن إسحاق عن هشام بن عروة، أنَّ مروانَ حدَّثه عن بُسرة به. قال: فأنكر ذلك عروة، فسألَ بُسرةَ فصدَّقته. ورواه الحاكم أيضاً من طريق حماد بن زيد، والمنذر بن عبد الله الحِزَامي، وعنبسة بنِ عبد الواحد، وحُميد بن الأسود، ويحيى بن سعيد القطَّان، كلهم عن هشام، عن أبيه، أنَّه سمعه من بسرة. وقال ابن خزيمة؛ قد سمع عروةُ خبرَ بُسرة منها، لا كما توهمَّه بعضُ النَّاس أنَّ الخبر واهٍ لطعنه في مروان. انتهى.

وقد قدَّمنا أن مروان مِنْ رجال البخاري، فيلزمه على هذا إخراجُ حديثه، إلا أنا[2] نقول: يحتمل أن يكون فيه عنده علةٌ غيرُ هذا الاختلاف لم نطَّلع نحن عليها، فلا يلزمه إخراجه، لانحطاطه عن شرطه. نعم، لا يمنعُ ذلك مِنَ القول بصحَّته، لما تقرَّر مِنْ ضيقِ شرطه في «جامعه»؛ لأنَّ الترمذيَّ حكى عنه أنَّه صحَّحه، والله أعلم.

---

(١) ما بين حاصرتين ساقط من (أ).

(٢) في (ب): «لأنا».

وأما إشعار كلام الإسماعيلي بأنَّ البخاريَّ إنما خرَّج هذا الحديث، وأعرض عن حديث بسرة، لأن الحَرسيَّ في حديث بُسرة لم يُسمَّ والبواب في حديث ابن عباس قد سُمِّيَ، فليس بصوابٍ. وكذا تعليلُه الخَبَر بأنَّ رافعاً غيرُ معروف، لما قدَّمناه مِنْ سياق محمد بن عبد الملك بن جُريج، الذي أخرج الإسماعيليُّ إسناده فقط، فإنَّ ظاهره أنه مِنْ رواية حُميد بن عبد الرحمن، عن ابن عباس، إذ لا ذِكْر لرافعٍ فيه أصلاً، والله أعلم.

وأما ما وقع في «الكاشف» مِنْ ترجمة رافعٍ، فتلك آفةُ الإجحاف في الاختصار، فإنَّ نصَّ المزِّيِّ في «التهذيب»: رافعٌ المدني، بواب مروان بن الحكم، أرسله مروانُ إلى ابن عباس يسأله عن قول الله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟﴾ الآية [آل عمران؛ ١٨٨]. حكى ذلك عنه حُميد بن عبد الرحمن بن عوف، وعلقمةُ بن وقَّاص، وكأنَّهما سمعا منه جوابَ ابنِ عباس، روى له البخاري والنَّسائي. انتهى.

وعليه فيه مآخذ:

الأول: أنَّ هذا البواب لم يذكرهُ أحدٌ في رجال الصحيحين، لا الكَلاَبَاذِي، ولا ابن مَنْجُويَة، ولا ابن طاهر، ولا عبد الغني، ولا غيرهم. ولم أرَ أحداً مِمَّن صنَّف في أسماء الرجال مُطلقاً أفرده بترجمة، لا البخاري، ولا ابن أبي خيثمة، ولا ابنُ سعد، ولا ابنُ حِبّان، ولا ابن عَدِيٍّ، ولا غيرهم. نعم أورده ابن أبي حاتم مختصراً جداً، فقال: رافع المدني بواب مروان روى عن... روى عنه.... سمعت أبي يقولُ ذلك. هكذا رأيتُه في عدة نسخ من كتاب «الجرح والتعديل»، منها نسخةٌ قديمةٌ جداً، قُرِئت على أصحاب المصنف قبل الأربعمائة، فلم يذكر شيخه، ولا الرَّاوي عنه، مع أنَّ هذا الحديث الذي جاء ذِكرُه فيه مشهور، قد أخرجه ابنُ أبي حاتم في «تفسيره». فلو كان هو المقصود بالرِّواية فيه، لما خفِيَ عليه حالُ شيخِه والراوي عنه. وكأنَّه لما رأى اسمه في هذا الحديث، احتمل عنده أن يكونَ له روايةٌ غيرُ هذا، فسأل أباه عنه، فلم يستحضر، فكتبه احتياطاً، وبيَّض له، فكأنه لم يذكره.

الثاني: أن المِزِّيَّ قد خالفَ ذلك في «الأطراف» تبعاً لأبي مسعود وخلفٍ وابنِ طاهرٍ، فجعل هذا الحديث في ترجمتي حُميد بنِ عبد الرحمن وعلقمة بن وقاص، ولم يذكره في ترجمة رافع. وكذا صنع الحُميدي في «الجمع بين الصحيحين».

الثالث: اقتصار المزِّي في ترجمته على ذكر البخاري والنَّسائي عجيبٌ، فإنَّ الخبر المذكور اتَّفقَ مسلمٌ والترمذيُّ والنسائي جميعاً على تخريجه مِنْ طريق حجَّاج بن محمد، وسياق الترمذي والنسائي مثلُ سياق مُسلم كما تقدَّم ذلك. وأما البخاريُّ، فقد ساقه مِنْ طريق هشام بن يوسف مثلَ سياق حجاج، فأيُّ معنى لتخصيص البخاري والنسائي بالذكر، والإضراب عَنْ ذكر مسلم والترمذي؟! هذا ذهولٌ شديد! وهذا الموضع قد تعقَّبناه عليه في «تلخيص التهذيب».

وإذا تقرر هذا، فقد تبيَّن أنَّ صاحبَ «الكاشف» تبع صاحب «التهذيب» في وهمه، وزاد عليه بأنْ أوهَمَ أنَّ لرافعٍ روايةً أُخرى غير المشارِ إليها، ولا وُجودَ لذلك أصلاً، والله سبحانه وتعالى أعلمُ بالصواب.

[القول في حديث «لا تسبُّوا أصحابي»]

الثاني: كتب القاضي جلال الدين ما نصُّه:

قال مسلم في فضائل الصحابة ـ يعني من «صحيحه» ـ: حدثنا يحيى بنُ يحيى التَّيمي، وأبو بكر بن أبي شَيْبَة، ومحمدُ بن العلاء. قال يحيى: أخبرنا، وقال الآخران: حدثنا أبو معاوية، عن الأعْمَش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تَسُبُّوا أصحابي، لا تَسُبُّوا أصحابي. فوالَّذي نفسي بِيَدِهِ لو أنَّ أحدَكُم أنفقَ مثلَ أُحُدٍ ذهباً، ما أدركَ مُدَّ أحدهِم ولا نَصيفَهُ».

حدَّثنا عثمانُ بن أبي شيبة، حدثنا جريرٌ، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد، قال: كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف شيءٌ، فسبَّه خالد، فقال رسولُ الله ﷺ: «لا تَسُبُّوا أحداً مِنْ

أصحابي، فإنَّ أحدكم لو أنفقَ مثلَ أُحُدٍ ذهباً، ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نَصِيفَه».

حدثنا أبو سعيدٍ الأشجُّ، وأبو كُريب، قالا: حدثنا وكيعٌ عن الأعمش (ح).

وحدثنا عبيدُ الله بنُ مُعاذ حدثنا أبي (ح).

وحدثنا ابنُ المثنَّى، وابن بشَّار، قالا: حدثنا ابنُ أبي عديٍّ، جميعاً عَنْ شُعبة، عن الأعمش بإسناد جريرٍ وأبي معاوية بمثل حديثيهما، وليس في حديث وكيعٍ وشعبة ذكرُ عبد الرحمن بن عوف وخالد بن الوليد. انتهى.

اقتضى كلامُ مسلم ـ رحمه الله ـ أنَّ أبا معاوية رواه عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه، وأنَّ جريراً رواه عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد، ثمَّ أعقبَ ذلك بأنَّ وكيعاً وشعبةَ روياه عن الأعمش بمثل إسنادِ جريرٍ وأبي معاوية وحديثهما[1].

وهذا قد يَفهم منه أنَّ شعبة ووكيعاً وافقا أبا معاوية وجريراً على روايته عَنِ الأعمش، عن أبي صالح، عن الصحابيين، فيكون مِنْ مسند أبي هريرة ومِنْ مسند أبي سعيد به. وفي «الأطراف» لخلف بعد سياق طريق أبي هريرة: قال أبو مسعود: وهو وَهْمٌ، والصَّوابُ مِنْ حديثِ أبي معاوية عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد، وكذلك رواه يحيى بنُ يحيى، وأبو بكر، وأبو كريب.

وقال في مسند أبي سعيد الخدري: حديث «لا تسبُّوا أصحابي». رواه البخاري في فضل أبي بكر رضي الله عنه؛ قال حدثنا آدم، حدثنا شعبة، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد. تابعه جرير وعبد الله بن داود وأبو معاوية ومحاضر عن الأعمش.

ورواه مسلم في الفضائل: حدَّثنا عثمانُ بنُ أبي شيبة، حدَّثنا جريرٌ،

---

(١) من قوله: «بإسناد جرير» إلى هنا، ساقط من (ب).

وحدثنا الأشجُّ وأبو كُريب، عن وكيع، وحدثنا عُبيد الله بن معاذ، حدثنا أبي، وحدثنا ابن مُثنَّى وابنُ بشَّار، عن ابنِ أبي عديٍّ، كلاهما عَنْ شُعبة، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد. انتهى.

فعيَّن خلفٌ موافقة وكيعٍ وشعبة لجريرٍ، وفيه نظر ظاهر[1].

وفي «شرح مسلم» للنووي بعد سياق طريق أبي هريرة هذه: قال أبو علي الجَيَّاني: قال أبو مسعود[2] الدمشقي: هذا وهمٌ، والصَّواب: مِنْ حديث أبي معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد، لا عن أبي هريرة. وكذا رواه يحيى بنُ يحيى، وأبو بكر بن أبي شيبةَ وأبو كريب والنَّاس.

قال: وسُئِلَ الدَّارقطنيُّ عن إسناد هذا الحديث، فقال: يرويه الأعمشُ. واختلف عنه، فرواه [زيد بنُ أبي أُنَيْسَة عنه، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه. واختلف على أبي عوانة عنه، فرواه][3] عفان ويحيى بنُ حمَّاد عن أبي عوانة، عن الأعمش كذلك. ورواه مسدَّد وأبو كامل وشيبان عن أبي عوانة، فقالوا: عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما. وكذلك قال نصر بن علي، عن ابن داود الخُريبي، عن الأعمش. والصَّوابُ مِنْ روايات الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد. ورواه زائدة عن عاصم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، والصحيح: عن أبي صالح، عن أبي سعيد.

فخرج مِنْ كلام الدارقطني أنَّ زيد بن أبي أنيسة وافقَ أبا معاوية على روايته عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هُريرة، وأنَّ أبا عوانة ـ فيما رواه عفان ويحيى بنُ حماد ـ وافقَ أبا معاوية أيضاً على روايته عن الأعمش

---

(١) «ظاهر» ساقطة من (ب).

(٢) في (أ): «أبو سعيد، خطأ، وهو إبراهيم بن محمد بن عُبيد (ت ٤٠١هـ)، صنف «أطراف الصحيحين»، انظر «السير» ١٧/ ٢٢٧.

(٣) ما بين حاصرتين ساقط من (ب).

عن أبي صالح، عن أبي هريرة، وأنَّ عاصماً ـ فيما رواه زائدةُ ـ وافقَ الأعمشَ على روايته عن أبي صالح، عن أبي هريرة، وأن مسدَّداً وأبا كامل وشيبان رووه عن أبي عوانة، عن الأعمش، عن أبي صالح عن أبي هريرة وأبي سعيد. وكذلك قال نصر بن علي: عن ابن داود الخُريبي، عن الأعمش. ومع ذلك، فقضى الدارقطنيُّ بأنَّ الصوابَ له: عن أبي صالح، عن أبي سعيد. والظاهرُ ـ والله أعلم ـ أنَّ ما ذكره البخاريُّ مِنَ المتابعات تصويبٌ، لأنه عن أبي سعيد، فإنه قال: تابعه ـ يعني شعبة ـ جريرٌ وعبدُ الله بن داود وأبو معاوية ومحاضِرٌ عن الأعمش.

وفي «مسند أحمد ابن منيع» في حديث أبي سعيد الخدري في أوله: حدثنا أبو معاوية، حدَّثنا الأعمشُ، عن أبي صالح، عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبُّوا أصحابي» ثلاث مرات ـ فإنَّ أحدكم لو أنفق مثل أُحُدٍ ذهباً لم يبلغ مُدَّ أحدهم ولا نَصِيفَه».

وفي «الجمع بين الصحيحين» للحُميدي بعد سياق الحديث مِنْ طريق أبي هريرة في أفراد مسلم في الحادي والخمسين: كذا عند مسلم، ومنهم من يقول: عن أبي سعيد.

وفي «الأطراف»[1] للمزي في مسند أبي سعيد الخدري في ترجمة الأعمش، عن أبي صالح عنه، حديث «لا تسبُّوا أصحابي، فوالَّذي نفسي بيده، لو أنفقَ أحدُكم ملء أُحدٍ ذهباً، لما بلغ مُدَّ أحدِهم ولا نَصِيفَه». ومنهم مَنْ ذكر قصة (خ) في فضل أبي بكر رضي الله عنه. وعن آدم، عن شعبة، عنه، به. قال: وتابعه جريرٌ وابن داود ـ وهو عبد الله بن داود ـ وأبو معاوية، ومحاضر عن الأعمش (م) في الفضائل عن عثمان بن أبي شيبة، عن جرير، وعن أبي سعيد الأشجّ وأبو كُريب، كلاهما عن وكيع، كلاهما عنه، به. وعن أبي موسى وبندار، كلاهما عن ابن أبي عدي، وعن عُبيد الله بن معاذ، عن أبيه، كلاهما عن شعبة به، (د) في

(١) انظر «تحفة الأشراف» ٣/ ٣٤٢ ـ ٣٤٥.

السُّنة عن مُسدَّد، عن أبي معاوية، عنه، به. (ت) في المناقب، عن الحسن بن علي الخلاَّل، عن أبي معاوية. وعن محمود بن غيلان، عن أبي داود، عن شعبه، به، وقال: حسن صحيح. (س) فيه، عن محمد بن هشام، عن خالد بن الحارث، عن شعبة به. (ق) في السُّنة، عن محمد بن الصباح، عن جرير به. وعن علي بن محمد، عن وكيع، به، وعن أبي كُرَيْب، عن أبي معاوية، به (ز). هكذا رواه الناس عن أبي معاوية، ورواه مسلم عن يحيى بن يحيى وأبي بكر بن أبي شيبة وأبي كريب، ثلاثتهم عن أبي معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح، [عن أبي هريرة ووهم عليهم في ذلك، وإنَّما روَوْه عن أبي معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح][1] عن أبي سعيد، كذلك رواه الناس كلهم، بل رواه (ق)[2] عن أبي كريب أحد شيوخ (م) فيه. ومِنْ أدلِّ دليل على أنَّ ذلك وهمٌ وقع منه في كتابته، لا في حفظه، أنَّه ذكر أولاً حديث أبي معاوية، ثمَّ ثنَّى بحديثِ جريرٍ، وذكر المتن وبقيَّة الإسناد عن كلٍّ واحدٍ منهما، ثم ثلَّث بحديث وكيع، ثم رَبَّع بحديث شُعبة، ولم يذكر المتنَ ولا بقيَّة الإسناد عنهما، بل قال: عَنِ الأعمش بإسناد جرير وأبي معاوية بمثل حديثهما، إلى آخر كلامه. فلولا أنَّ إسناد جرير وأبي معاوية عنده واحدٌ، لما جمعهما جميعاً في الحوالة عليهما، والوهم تارةً يكونُ في الحفظ، وتارةً في القول، وتارة في الكتابة[3]، وقد وقع منه الوهم ها هنا في الكتابة. والله أعلم.

وقد وقع في بعض نسخ «ابن ماجه»: «عن أبي هريرة»، وهو وهم أيضاً، وفي رواية إبراهيم بن دينار عن ابن ماجه «عن أبي سعيد» على الصواب. لكن ابن دينار لم يذكره إلا مِنْ رواية وكيع وحده، ورواه محمد بن جُحَادة عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد كرواية الجماعة. ورواه سفيانُ الثوريُّ عَنِ الأعمش، عن أبي صالح، عن

---

(١) ما بين حاصرتين ساقط من (ب).

(٢) كذا في الأصول، وفي تحفة الأشراف: «كذلك رواه الناس عنهم كما رواه (ق)».

(٣) في (ب): «الكتاب».

أبي هريرة. وكذلك رواه زيدُ بن أبي أُنيسة[1] عن الأعمش مِنْ رواية محمد بن سَلَمَة الحرَّاني، عن أبي عبد الرحيم [عنه به][2]. ورواه أبو عوانة عَنِ الأعمش، عن أبي صالح عنهما جميعاً[3].

وما ذكره عَنْ بعض نسخ «ابن ماجه» هو كذلك في نسختين في ترجمة فضل الأنصار: حدثنا محمَّدُ بن الصباح حدَّثنا جرير. (ح) وحدَّثنا عليُّ بن محمَّد، حدَّثنا وكيع. (ح) وحدَّثنا أبو كُرَيْب، حدثنا أبو معاوية. جميعاً عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبُّوا أصحابي، فوالَّذي نفسي بيده، لو أنَّ أحدكم أنفق مثل أُحُدٍ ذهباً، ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نَصِيفَه».

وهنا أمران:

أحدهما: أنْ يدَّعيَ توهيمَ مُسلم في روايته عَنِ الثَّلاثة، عن أبي معاوية، كما فعله أبو مسعود والجيَّاني وَخلفٌ والمزِّيُّ.

والثاني: أنْ يدَّعي تصويبَ أنَّه عنِ الأعمش، عن أبي صالح عن أبي سعيد، لا عن أبي هريرة مطلقاً، كما صنع الدَّارقطنيُّ، وخرج مِنْ كلام المزيِّ أنَّ سفيان الثَّوريَّ رواه عنِ الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة.

وقد اقتضى كلامُ مَنْ ذكرنا أن زيدَ بنَ أبي أُنيسة وسفيان الثَّوريَّ وأبا عوانة - في رواية - [رووه عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة. وأنَّ عبدَ الله بن داود - في رواية - وأبا عوانة في رواية][4] روياه عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، وأبي سعيد، وأنَّ جريراً وشعبة ووكيعاً ومحمَّد بن جُحَادة وابنَ داود - في رواية - وأبا مُعاوية، في رواية غير مسلم، ومُحاضِراً، رَوَوْهُ عَنِ الأعمش، عَنْ أبي صالحٍ، عن أبي سعيد.

---

(١) في (أ): «زيد بن سلمة»، خطأ.

(٢) «عنه به» ساقطة من (أ).

(٣) إلى هنا ينتهي كلام المزي في «تحفة الأطراف».

(٤) ما بين حاصرتين ساقط من (ب).

فعن عبد الله بن داود روايتان، وعن أبي عوانة روايتان. وانفرد برواية أبي هريرة زيدُ بنُ أبي أنيسة وسفيان الثوري عن الأعمش، ووافقهما رواية زيد عن عاصم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة. وانفرد برواية أبي سعيدٍ جريرٌ وشُعبةُ ووكيعٌ ومحمَّد بنُ جُحادة ومحاضرٌ عن الأعمش، ولم يُتَابَع الأعمش في هذه كما تُوبع في تلك. وهذا الحَمْلُ متعلِّقٌ بالثاني، وأما الأول فكيف يُقضى بالوهم على الإمام مسُلم رحمه الله، والمُثْبِتُ مقدمٌ على النَّافي؟

ويجوز أن يكون عن أبي معاوية الروايتان. ومسلم الذي يُشدِّد في «حدثنا»، و«أخبرنا»، كيف يخفى عليه مثلُ هذا؟ وقول المِزِّيِّ: «ومِنْ أدلِّ دليل على أنّ ذلك وهم» جمع أبي معاوية وجرير في أن أحال عليهما طريقَ شعبةَ ووكيع إلى آخره. فيه نظر. بل يُفهم مِنْ كلامِ مُسلم ما قدَّمناه، وهو أنَّ وكيعاً وشعبةَ يوافقان أبا معاوية وجريراً، بدليل قولهَ: في إسنادهما وحديثهما. ولو كان الإسنادُ مخالفاً لما قال ذلك، بل كان يأتي بما يقتضي ذلك.

وغالبُ الحوالات في مسلم إنَّما هي في الحديث، فلمَّا قال هنا في إسنادهما وحديثهما دلَّ على ما قلناه. ولو فُتِحَ هذا البابُ، لما بَقِيَ وُثُوق بما في الكُتب الصَّحيحة المعتمدَةِ. فعلى هذه النُّسخة التي وقفتُ عليها مِن «ابن ماجه» رواية أبي كُريب عن أبي معاوية على وِفْقِ ما رواه مسلمٌ عن أبي كُريب، عن أبي معاوية، وروايةُ ابن ماجه عَنْ وكيع، تُوافقُ ما قد يُفْهَمُ مِنْ كلام مسلمٍ كما بدأنا به.

ثمَّ راجعتُ حديث الأعمش الذي جمعه الإسماعيليُّ مِنْ حديثه، فوجدتُه أخرج في أحاديثِ شعبةَ عَنِ الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة ذلك، لكن مِنْ غير الطَّريق التي رواها مسلمٌ عن شُعبة، فقال: حدَّثنا أبو بكر محمد بن محمد بن سليمان الواسطي، حدَّثنا أبو بدر ـ يعني عبَّاد بن الوليد الغُبَري ـ حدَّثنا حجَّاجُ ـ هو ابن نصير ـ حدَّثنا شعبةُ، عن سُليمان، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله «لا تسبُّوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفقَ مِلْءَ الأرض، أو مثل

أُحُدٍ، ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نَصِيفَه». ثم قال: حدَّثنيه أبو بكر بن عمير، حدَّثني رباح بن محمد بن إبراهيم الواسطي، قال: وحدثنا ابن عُمير، حدَّثنا عبد الله بن المغيرة المقرىء، حدَّثنا حجَّاجُ بنُ نُصير، حدَّثنا شعبة بإسناده عن أبي هُريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ مثله. ووجدنا فيه حديث زيدِ بن أبي أُنيسة، عن الأعمش، فقال: أخبرني الحسنُ بنُ أحمد المالكي، حدَّثنا مَخْلد بنُ مالك، حدَّثنا محمَّدُ بنُ سلمة، عن أبي عبد الرحيم، عن زيد بن أبي أُنيسةَ، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن [أبي هريرة][1] رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبُّوا أصحابي، فإنَّ أحدكم لو أنفق مِثْلَ أُحُدٍ ذهباً، لم يُدرك مُدَّ أحدهم ولا نَصِيفَه». ثم قال: حدَّثنيه ابنُ عُمير، حدَّثنا أبو أحمد جعفر بن محمد الحرَّاني الورَّاق حدَّثنا مخلدُ ابنُ مالكٍ، حدَّثنا محمَّد بنُ سلمة بإسناده، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ مثله.

فقد ظهر بهذه الرواية عن شعبة الاختلافُ على شعبة أيضاً، لكن في إسنادهما حجاج بن نصير الفساطيطي. وفي «الميزان»: حجّاج بن نُصير الفساطيطي، بصري، عن شُعبة وُقرَّة والطَّبقة، وعنه الدَّرامي والكَجِّي. قال يعقوبُ بنُ شيبة: سألتُ ابنَ مَعين عنه، فقال: صدوقٌ، ولكن أخذوا عليه أشياء في حديث شعبة. وقال عليُّ بنُ المديني: ذهب حديثه. وقال أبو حاتم: ضعيف، يُترك حديثُه. وقال البخاري: سكتوا عنه. وقال النَّسائي: ضعيف، وقال مرة: ليس بثقة، وقال أبو داود: تركوا حديثه. وقال الدارقطني: ضعيف. وأما ابن حبان، فذكره في «الثقات»، فقال: يخطىءُ ويَهِم. قال الذَّهبيُّ: لم يأتِ بمتنٍ منكر، ووجدنا في «ترتيب فوائد تمام الرازي» رواية وكيع بن الجراح عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد، ورواية إسرائيل [عن الأعمش][2]، عن أبي صالح، عن أبي سعيد، ثم رواية زائدة عن عاصم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، ولفظه: كان

---

(١) ما بين حاصرتين لم يرد في (أ).

(٢) «عن الأعمش»، ساقطة من (ب).

بينَ عبدِ الرحمن بن عوف وبين خالد بن الوليد ـ يعني: بعض ما يكون بين الناس ـ فقال رسول الله ﷺ: «دَعُوا لي أصحابي، إنَّ أحدكم لو أنفقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذهباً، لم يبلغ مُدَّ أحدهم ولا نَصِيفَهُ».

[جواب ابن حجر عن الحديث]

فكتب صاحب الترجمة ما نصه:

الحمد لله وسلامٌ على عباده الذين اصطفى. أما بعدُ، فقد وقفَ العبدُ على هذه الفوائد الفرائد، والجواهر الزَّواهر، فلم يجدها أبقَتْ مقالاً لقائل، ولا مرمى لمناضل.

وحاصلُ الأمر: أنَّ المسألة تتعلَّقُ بحديث الأعمش عن أبي صالح في النَّهي عن سبِّ الصحابة رضي الله عنهم، هل هو عَنْ أبي هريرة، أو أبي سعيد، أو عنهما جميعاً. فقد تلخص في هذه الفوائد جميع ما يتعلَّقُ بتحرير ذلك، ومحلُّ النَّظر إنَّما هو فيما رواه مسلم عن مشايخه الثَّلاثة: يحيى بن يحيى، وأبي كُريب، وأبي بكر بن أبي شيبة، ثلاثتهم عَنْ أبي معاوية، هل راوية هؤلاء عن أبي معاوية أنَّ الحديث مِنْ مسند أبي هريرة أو أبي سعيد، ولا يفصِلُ الأمر في ذلك إلا النَّظرُ فيمن رواه عن هؤلاء الثَّلاثة غيرُ مسلم، فإن وجدنا مَنْ رواه عنهم، أو عن أحدهم، وافق مسلماً، أو وجدنا بعضاً وافقه، وبعضاً خالفه، حسن القول بأنَّه كان عند أبي معاوية على الوجهين إن استوى الجميع في الحفظ والإتقان. وإن وجدناهم أطبقُوا على مخالفته، فنرجِّحُ روايتهم على روايته، إذ العددُ الكثيرُ أولى بالحفظ مِنَ الواحد، كما قال إمامنا الشافعي رضي الله عنه.

فأمَّا أبو بكر بن أبي شيبة، فلم نجده مِنْ روايته عن أبي معاوية إلا مِنْ مسند أبي سعيد، كذلك أورده في «مسنده» وفي «مصنَّفه» جميعاً. وكذلك أخرجه أبو نعيم في «مستخرجه على مُسلم» عَنِ الطَّلحي، عن عُبيد بن غنَّام، عن أبي بكر بن أبي شيبة.

وأما أبو كريب، فوجدناه مِنْ رواية ابن ماجه عنه، إلا أنَّ نسخ «ابن ماجه»

اختلفت فيه؛ ففي بعضها: عن أبي هريرة، وفي بعضها: عن أبي سعيد. ورأيت هذا الحديث في نسخة الحافظ زكي الدين المنذري، وقد كتب في الحاشية بخطه: عن أبي سعيد، وضَبَّبَ على أبي هريرة في الأصل، فيحتمل أن يكونَ اعتمد على قولِ صاحب «الأطراف» مِنْ أنَّ أبا كُريب إنَّما رواه مِنْ حديثِ أبي سعيد، ويحتملُ[1] أن يكون تبين له بطريقٍ أُخرى. ثم وجدته في أصلٍ عتيقٍ جداً، تاريخُ الأسْمِعَة فيه في سنة سبع وسبعين وثلثمائة، وقد قُرِىء على أصحاب أصحاب ابن ماجه[2]، وهو في نهاية الضبط والتحرير. ووجدته فيه: «عن أبي سعيد الخُدري» مِنْ غير تردُّد.

وسنبين فيما بعدُ أنّه يتعيّنُ أنْ يكونَ عنده: عَنْ أبي كُريب مِنْ مُسند أبي هريرة.

وأما يحيى التميمي، فلم أقف عليه مِنْ روايته الآن.

وظهر لي مِنْ سياق أبي نُعيم الأصفهاني في «مستخرجه على صحيح مسلم». أنَّ الحديث عند مسلم عَنْ هؤلاء الثلاثة إنَّما هو مِنْ حديث أبي سعيد. وبيانُ ذلك أنَّه قال ما نصه:.

حدَّثنا أبو بكر الطَّلحي، حدَّثنا عُبيد بن غنَّام، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة. (ح).

وحدثنا عبدُ الله بنُ محمَّد ومحمدُ بنُ إبراهيم، قالا: حدَّثنا أحمدُ بنُ علي - هو أبو يعلى الموصلي - حدَّثنا أبو خيثمة. (ح).

وحدَّثنا جعفرُ بنُ محمد، حدَّثنا أبو حُصين الوادعي، حدَّثنا يحيى بنُ عبد الحميد. (ح).

وحدَّثنا أبو بكر بن مالك، حدَّثنا عبدُ الله بنُ أحمد بن حنبل، حدَّثني أبي. (ح).

---

(١) «ويحتمل» ساقطة من (أ).

(٢) في (أ): «عن أصحاب ابن ماجه».

وحدَّثنا أبو عمرو بنُ حمدان، حدَّثنا الحسنُ بنُ سفيان، حدَّثنا أحمد بن جوَّاس أبو عاصم، قالوا: أنبأنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد، فذكر الحديث. وقال في آخره: لفظ أبي بكر [رواه مسلم عن أبي بكر،][1] ويحيى بن يحيى، وأبي كريب، كلهم عن أبي معاوية.

فظاهر هذه العبارة يقتضي أنَّ مسلماً إنَّما رواه عَنْ هؤلاء الثلاثة، عن أبي معاوية بالإسناد الذي ساقه أبو نعيم. ويؤيِّدُ ذلك اصطلاحُه في جميع كتابه «المستخرج» على نحو ذلك، إذا أخرجَ الحديثَ على الموافقة أو البدلية، ينتهي بالإسناد إلى الشيخ الذي اتَّفق إسنادُه وإسنادُ مسلم فيه، ثمَّ يُحيل على الباقي. وعلى هذا، فلعلَّ الخللَ الواقعَ في نُسَخ «صحيح مسلم» مِنَ الرواة عنه، ويبرأ هو حينئذٍ مِنَ الوهم. ويُقوِّي ذلك أنَّ الدارقطنيَّ قد جزم في «العلل» بأنَّ الصواب أنه مِنْ مسندِ أبي سعيد، ولم يتعرَّض في كتاب «التَّتبُّع» لهذا الإسناد. ولا لكونِ مسلمٍ وهمَ فيه. فالظاهر أنَّ الوهمَ ممَّن دُونَ مسلمٍ.

وأمَّا ما وقع عند ابن ماجه، فلا يبَ أنَّه غلطُ، لأنه قَرَنَ بين روايات وكيع وجرير وأبي معاوية، وصيَّرها كُلَّها عن أبي هريرة. وقد أطبق المصنِّفون على أنَّ رواية جريرٍ ووكيعٍ لهذا الحديث عن الأعمش إنَّما هو مِنْ حديثِ أبي سعيد، فرواه مسلمٌ كما تقدَّم مِنْ حديثهما. وهكذا رواهُ أبو نُعيم في «المستخرج» مِنْ طريق إسحاق بن راهويه وأبي خيثمة زهير بن حرب ومحمد بن مهران، كلهم عَنْ جريرٍ مِنْ حديثِ أبي سعيد أيضاً.

ورواه ابن حبان في «صحيحه» في النَّوع الثامن مِنَ القسم الثالث عن محمد بن إسحاقَ بن إبراهيم، وهو أبو العباس السَّرَّاج، قال: حدَّثنا محمد بن الصَّباح، حدَّثنا جرير، فذكره مِن مسند أبي سعيد. ومحمد بن الصباح، هو شيخ ابن ماجه في هذا الخبر. وقد صيَّره أبو العباس السَّراج، وهو مِنَ الحُفَّاظ، إذ رواه عنه عن أبي سعيد.

---

(١) ما بين حاصرتين ساقط من (أ).

وكذلك رويناه في كتاب «فضائل الصحابة» لِطراد بن محمد بن علي الزَّينبي، حدَّثنا أحمدُ بنُ محمد بن عمر المعدل إملاءً، حدَّثنا أبو بكر أحمد بن جعفر بن مسلم، حدَّثنا عبدُ الله بن أحمد بن الحسن الحرَّاني، حدَّثنا داود بن عمر ـ وهو الضَّبِّي، حدَّثنا جريرُ بنُ عبد الحميد، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد، قال: كان بينَ خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف كلامٌ، فذكر القصَّة والحديث.

وهكذا رواه ابن أبي خيثمة في «تاريخه»، عن أبيه عن جرير.

وكذا رواه ابنُ عساكر في «تاريخه» في ترجمة عبد الرحمن بن عوف، من طريق نصر بن زياد عن جرير.

وأما رواية وكيع، فروياها في كتاب «فضائل الصحابة» له مِنْ مسند أبي سعيد، وكذا رويناها في «نسخته» رواية إبراهيم بن عبد الله العبسي القصَّار عنه، كذلك مِنْ حديث أبي سعيد.

وكذلك رواه الإمام أحمد في «مسنده» عن وكيع، ورواه البزَّار في «مسنده» عن عمرو بن عليٍّ الفلاَّس عن وكيع كذلك.

وكذا رواه خيثمةُ في «فضائل الصحابة»، والهيثم بن كليب الشاشي في «مسنده»، كلاهما عَنِ القصَّار، عن وكيع، وأخرجه أبو عوانة في «صحيحه المستخرج على مسلم» عن محمد بن إسماعيل الأحمسي، وإبراهيم بن عبد الله القصَّار وابن أبي رجاء المصِّيصي، كلهم عن وكيع كذلك.

وكذا رواه الجَوزقي في «المتَّفق» من طريق الأحْمسي وعبد الله بن هاشم الطوسي، كلاهما عن وكيع.

وكذا رواه ابن حبان في «صحيحه» عن الحسين[1] بن عبد الله القطان، عن موسى بن مروان، عن وكيع كذلك.

وكذا رواه تمام في «فوائده» والبيهقي في «السنن الكبير» مِنْ طريق

---

(١) في (ط): «الحسن»، تحريف، وانظر صحيح ابن حبان الرقم ٧٢٥٣.

إبراهيم بن عبد الله، عن وكيع كما ذكرنا. وقال البيهقي بعده: رواه مسلمٌ عن أبي سعيد الأشج وغيره، عن وكيع.

وكذا أخرجه الحافظ أبو بكر بن مَنْجُويَة في آخر الجزء التاسع من «فوائد أبي زكريا المُزَكِّي»[1] من طريق إبراهيم بن عبد الله، عن وكيع، وقال بعده: أخرجه مسلم عَنْ أبي كُريب وغيره عن وكيع، وكذا صنع الحافظ أبو محمد بن الأخضر في «تخريجه لفوائد شُهدة الكاتبة».

فقد ظهر أن روايتي وكيعٍ وجريرٍ عن الأعمش إنما هي مِنْ مسند أبي سعيد.

فإن كان ما وقع في «ابن ماجه» مِنْ جَمْعِه بين روايات الثلاثة، وجعلها مِنْ مسند أبي هريرة منه، فقد وهم في ذلك بلا شك، وإن كان لم يُخرِّجْهُ مِنْ رواية الثلاثة إلا مِنْ حديث أبي سعيد، ووقع الخللُ في ذلك مِنَ الرُّواة عنه ـ وهو المتبادر إلى الذهن ـ فيقوَى حينئذٍ أنَّ رواية أبي كُريب له عَنْ أبي معاوية إنَّما هي مِنْ مسند أبي سعيد. فتوافق رواية الأئمةِ له عَنْ أبي معاوية، ولا سيما وفيهم مثلُ أحمد بن حنبل، وأبي خَيْثَمة، وأحمد ابنِ مَنيع، ومَسدَّدٍ، والحسن بن عليٍّ الحلواني، وغيرهم مِنَ الحفَّاظ الأثبات. فيقوِّي ما جزم به الدارقطني وغيره.

وقد وقع لي هذا الحديث [عالياً جداً من حديث][2] أبي معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح عن أبي سعيد، أوردته في «تغليق التعليق»[3] وهو ما قرأت على المحبِّ محمد بن محمد بن محمد بن منيع، أن عبد الله ابن أبي التائب أخبره، أخبرنا إسماعيل بن أحمد العراقي، عن شُهدة، أن طِرَاد بن محمد أخبرهم، أخبرنا أبو نصر بن حسنُون، أخبرنا أبو جعفر بن البختري، حدثنا أحمد بن عبد الجبار، حدثنا أبو معاوية،

---

(١) في (أ): «المربي»، تحريف. وهو يحيى بن إبراهيم بن محمد بن يحيى النيسابوري، مترجم في السير ١٧/ ٢٩٥.

(٢) ما بين حاصرتين ساقط من (أ).

(٣) ٤/ ٦٠.

عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد، الحديث.

هكذا أخرجه الحافظ أبو علي البَرداني في كتاب «فضائل الصحابة» لطراد، وقال بعده: رواه مسلم عن يحيى بن يحيى وغيره، عن أبي معاوية.

وهذا الإطلاق يشبه ما تقدَّم عن أبي نعيم الحافظ.

وممَّن رواه عن أبي معاوية، فجعله من مسند أبي سعيد غيرُ من تقدَّم ذكرُه: الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام، وعبد الله بن هاشم، وسعيدُ بن يحيى الواسطي، وعليُّ بن حرب الطَّائي، ومحمدُ بن جامعٍ العطَّار، وعلي بن الجعد.

ورويناه في «جُزء» علي بن عبد العزيز البَغَوي عن أبي عُبيد القاسم بن سلام عن أبي معاوية. وكذا أخرجه أبو عبيدٍ في «غريب الحديث» له.

وقال الجوزقي في «المتَّفق»: أخبرنا مكِّيُّ بن عَبْدان، حدَّثنا عبد الله بن هاشم، وهو الطُّوسي، حدَّثنا أبو معاوية، فذكره كذلك.

وقال خيثمة بنُ سليمان في «فضائل الصحابة» له: حدثنا خلفُ ابن محمَّدٍ الواسطي، حدثنا سعيدُ بن يحيى، حدثنا أبو معاوية، به.

وكذلك رويناه في «فوائد» أبي محمد عبد الله بن علي الأبنوسي انتقاء أبي علي البرداني له، من طريق الحافظ الفقيه أبي بكر بن زياد النيسابوري، حدثنا عليُّ بن حرب، حدثنا أبو معاوية، فذكره.

وستأتي رواية محمد ابن جامع قريباً إن شاء الله تعالى.

وقال ابن حبان في «صحيحه» في النوع الثالث من القسم الثاني: أخبرنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصُّوفي، حدَّثنا عليُّ بن الجعد، حدثنا شُعبة وأبو معاوية، عن الأعمش، عن ذكوان، عن أبي سعيد الخُدري، فذكره. فقرن عليُّ بنُ الجعد في روايته بين شعبة وأبي معاوية.

وكذا رويناه في «أمالي محمد بن إسماعيل الورَّاق» عن عُمر بن إسماعيل بن أبي غيلان. وكذا رويناه في «البشرانيات» عن الوراق مثله.

وهكذا رواه الإسماعيلي في «صحيحه» عن محمد بن يحيى أبي بكر المروزي، وأبي القاسم البَغَوي، وغير واحد، كلهم عن علي بن الجعد مقروناً.

قلت: ولا يصحُّ عَنْ شعبةَ إلا مِنْ حديث أبي سعيد. وقد وَهِم فيها أبو مسعود الرَّازي على أبي داود الطيالسي، فحدَّث بها عنه، عن شعبة، فقال: عَنْ أبي هريرة، حكى ذلك الخطيبُ وسيأتي.

وأمَّا رواية حجاج بن نُصير الفَسَاطيطي، فَوَهِم فيها على شعبة، وقد نصَّ على ذلك أبو عبد الله بن مَنْده في بعض تخاريجه[1]. وقد رواه أحمد بن حنبل في «مسنده» أيضاً عن محمد بن جعفر غُنْدَر، وأبي النضر هاشم بن القاسم، عن شعبة مِنْ مسند أبي سعيد.[وكذا رواه أبو داود الطَّيالسي في «مسنده» عن شعبة»][2]، وكذا رواه أبو مسلم الكَجِّي في «السنن» له، عن عمرو بن مرزوق، عن شعبة. وكذا رواه الحسنُ بن سفيان في «مسنده» عن عبيد الله بن معاذ بن مُعاذ عن أبيه، عن شُعبة، كما ذكره مسلم. وأخرجه الإسماعيلي في «صحيحه» عَنِ الحسن كذلك، وأبو نُعيم في «مستخرجه» عن أبي عمرو بن حمدان، عن الحسن بن سفيان. ورواه أبو عوانة في «صحيحه» مِنْ رواية شُعيب بن حرب، عن شعبة كذلك. ورواه الإسماعيلي عن محمد بن يحيى المروزي، عن عاصم بن علي، عن شعبة مثله. وكذلك رويناه في الجزء الثامن مِنْ «أمالي المَحَاملي» رواية ابن خُرَّشيد قُوله عنه، قال: حدَّثنا محمد بن عبد الله بن يزيد بن حيان، حدثنا شبابة بن سوَّار، عن شُعبة به.

فهذا محمَّد بن جعفر غُنْدَر، وهو مِنْ أحفظ أصحاب شعبة وعلي بن الجَعْد، وهو أيضاً مِنَ الأثبات، وأبو النَّضر هاشم بن القاسم، وعمرو بنُ مرزوق، ومُعَاذ بن معاذ العنبري، وشبابةُ بن سَوَّار، وأبو داود الطيالسي،

---

(١) في (أ، ح، ط): «تاريخه»، تحريف.

(٢) ما بين حاصرتين ساقط من (ب).

وهو مِنَ المُقدَّمين في حفظ حديث شعبة، وخالد بن الحارث، وشعيبُ بن حرب، وعاصم بن علي بن عاصم الواسطي، وغيرهم مِنْ حُفَّاظ أصحاب شعبة، قد رووه عنه، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد، فلا تُعادِلُ روايةُ حجاج بن نصير روايتهم، بل جزمَ الحافظُ أبو بكر أحمد بن عمرو البزَّار في «مسنده» بأنَّ الأعمش إنَّما رواه عَنْ أبي صالح، عن أبي سعيد، فإنَّه رواه عن عمرو بن علي، عن وكيع، كما تقدَّمتِ الإشارةُ إليه، وقال عَقِبَهُ: هذا الحديث رواه الأعمشُ عن أبي صالح، عن أبي سعيد، ورواه عاصمُ بنُ بهدلة، وزيدُ بن أسلم عن أبي صالح، عن أبي هريرة، ثم قال: والطَّريقان عندي جميعاً صحيحان.

قلت: وروايةُ زيد بن أسلم عن أبي صالح، عن أبي هريرة لم أقف عليها بعدُ. بل وقفتُ على روايةِ زيدِ بن أسلم عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري في المعنى. رواه ابنُ مردويه في «التفسير» مِنْ وجهين صالِحَيْن إلى زيدِ بن أسلم، به. فإن كان إسنادُ الرِّواية التي أشار إليها البزَّارُ صحيحاً إلى زيد بن أسلم، فتقْوى رواية عاصم بها، ويصحُّ قولُ البزَّارِ: إن الطريقين صحيحان، والله أعلم.

وممَّن رواه عن الأعمش غيرُ مَنْ تقدَّم، فجعله مِنْ مسند أبي سعيد، سوى مَنْ تقدم: قال عبدُ بنُ حُميد في «مسنده»: حدثنا أحمدُ بنُ يونس، حدثنا أبو بكر بن عيَّاش، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسُبُّوا أصحابي». الحديث.

وكذا رواه خيثمةُ في «فضائل الصحابة» له عن الجِنِيني، عن أحمد بن يونس.

وكذا رويناه في الجزء الثاني من «فوائد أبي الفتح الحدَّاد» رواية السِّلفي عنه، مِنْ طريق عاصم بن يوسف اليربوعي، عن إسرائيل.

ورواه البرقاني في «المصافحة» عن عبد الله بن عمر الجوهري،

حدَّثكم محمَّدُ بن أيوب، أنبأنا أحمد بن يونس، بسنده: «لا تسبُّوا أصحابي، دَعُوا لي أصحابي، فإنَّ أحدكم لو أنفق [كلَّ يوم][1] مثلَ أُحُدٍ ذهباً، لم يبلغ مُدَّ أحدهم ولا نَصِيفَه». قال البرقاني؛ استحسَنتُ قوله فيه: «كلَّ يوم»، مع حُسْنِ إسناده.

وقال أبو عوانة في «صحيحه»: حدثنا موسى بن إسحاق القوَّاس، حدَّثنا يحيى بنُ عيسى الرملي، حدثنا الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد، مثله.

[وقال مُسدَّدٌ في «مسنده»: حدثنا عبد الله بن داود الخُرَيْبي، حدثنا الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد، مثله][2]، وهذه الطريق هي التي أشار إليها البخاري في مَنْ تابع شُعبة.

ورويناه في «فوائد» أبي الحُسين عبد الله بن إبراهيم الزَّبيبي[3]، حدَّثنا أبو معشر الحسن بن سُليمان بن نافع الدَّارمي البصري، حدثنا محمَّد بن جامع العطَّار، حدثنا أبو معاوية، ووكيعٌ، وعبد الله بن داود، ثلاثتهم عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد، به.

وقال ابن أبي خَيْثَمة في «تاريخه»: حدثنا ابنُ الأصبهاني، حدثنا أبو الأحوص، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد، قال: فذكر نحو حديث شريك، إلا أنه قال: «ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نَصيفَه». وقال أيضاً: حدثنا ابنُ الأصبهاني، حدَّثنا شريكٌ عن الأعمش، عن أبي صالح، عن رجلٍ مِنْ أصحاب النبيِّ ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبُّوا أصحابي، فوالَّذي نفسي بيده، لو أنَّ أحدكم أنفقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذهباً، ما بلغ رُبْع أحدهم ولا نَصِيفَه».

---

(١) «كل يوم» ساقطة من (أ).

(٢) ما بين حاصرتين لم يرد في (ب).

(٣) في الأصول: «الزينبي»، تحريف. وهو عبد الله بن إبراهيم بن جعفر بن بيان، أبو الحسين الزبيبي البغدادي، مترجم في سير أعلام النبلاء ١٦/٢٥٨.

ولا يضرُّ هذا الإبهام، لأنَّ شريكاً كان في حفظه شيءٌ بعد ولايته القضاء، فلعلَّه شكَّ فيه فأبهمه. وسأل ابنُ أبي حاتم أباه عن رواية شريك هذه، فقال: قد رواه أبو الأحوص عَنِ الأعمش، عنْ أبي صالح، عن أبي سعيد، وهو الصَّحيح.

وقد تقدَّمت روايةُ إسرائيل عن الأعمش مضافةً إلى تخريج تمَّام، فحصل لنا أنَّ جريراً ووكيعاً وشُعبة وعبد الله بن داود الخُرَيبي ومحاضِرَ بنَ المورِّع، وروايته علَّقها البخاريُّ، ورويناها موصولة في الجزء الثاني من «فوائد أبي الفتح الحداد» رواية السِّلفي من طريق أحمد بن يونس بن المسيَّب الضَّبيِّ، عن محاضر، وقد بينت ذلك في «تغليق التعليق»[1]. وإسرائيل[2] بن يونُسَ، وأبا الأحوص سلاَّم بن سُليم، وأبا بكر بن عياش، ويحيى بنَ عيسى الرملي، رَوَوْهُ عَنِ الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد مِنْ غير خلاف عنهم في ذلك، إلا ما رواه حجاجُ بنُ نصيرٍ عَنْ شعبة، وإلا ما حكاه الخطيبُ عَنْ أبي مسعود، عن أبي داود، عن شُعبة، وإلا ما حكاه الدارقطنيُّ والخطيبُ أنَّ نصرَ بنَ علي رواه عن عبد الله بن داود.

وهاتان الروايتان شاذَّتان، لأنَّ شعبة إنَّما رواه عَنِ الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد، كما قدمناه. وكذا أبو داود، إنَّما رواه في «مسنده» عن شُعبة من حديث أبي سعيد، لا مِنْ حديث أبي هريرة. وأمَّا حجاجٌ فلا يُحْتَجُّ به إذا تفرَّد، فكيف إذا خالف! وكذا رواية عبد الله بن داود الخُرَيبي قد ذكرنا أنَّ مسدَّداً رواها في «مسنده» على الصواب الذي أشار إليه البخاري، ومُسدَّدٌ مسدَّد. والله أعلم.

وأما رواية زيدِ بن أبي أُنيسة، فقد رواها الطبراني في «الأوسط» عن أحمد بن علي الأبَّار، عن مخلد بن مالك، كما تقدم إسناده مِنْ عند

---

(١) ٤/٦٢.

(٢) قوله: و«إسرائيل» متمم لقوله: «ومحاضر بن المورع».

الإسماعيلي في مسند الأعمش، وقال بعده: لم يروه بهذا السند إلا زيدُ بنُ أبي أُنيسة، ورواه شعبةُ وغيرُه عَنِ الأعمش، عن أبي صالحٍ عن أبي سعيد.

فهذا ـ الطبراني مع سَعَةِ حفظه ـ يجزِمُ بأنَّ شعبة إنَّما رواه عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد، لا عن أبي هريرة. وهكذا جزم عليُّ بن المديني في «العلل» بأنَّ الأعمش إنَّما رواه عَنْ أبي صالح، عن أبي سعيد، وأنَّ زائدة رواه عن عاصم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة. قال: والأعمشُ أثبتُ في أبي صالح مِنْ غيره. فإمَّا أن يكون لم تقع له روايةُ حجَّاجِ بن نُصير، أو لم يعتدَّ بها لضعفه.

وروى هذا الحديث الدارقطنيُّ في كتاب «الأفراد» له مِنْ طريق محمد بن عبد الملك بن أبي الشَّوارب، عن أبي عوانة، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد، وذكر أنَّ بعض مشايخه تفرَّد بزيادة لفظةٍ فيه، ولم يذكر في «العلل» أنَّ ابن أبي الشوارب رواه لما ذكر اختلاف أصحاب أبي عوانة عليه فيه. وقد اختُلِفَ على أبي عَوَانة اختلافاً يدلُّ على أنَّه كان يشكُّ فيه.

قال ابن شاهين: حدثنا الباغندي، حدَّثنا شيبانُ بنُ فرُّوخ، حدَّثنا أبو عوانة، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، أو عَنْ أبي سعيد، فذكره.

وسيأتي في كلام الخطيب أنَّ أبا كاملٍ الجَحْدَرِي ومُسدَّداً وافقا شيبان بن فَرُّوخ على الشَّكِّ فيه، وأنَّ عفان بن مسلم ويحيى بن حماد روياه عنه، فقالا: عن أبي هريرة. وأبو عَوَانةَ كان يحدِّثُ مِنْ كتابه ومن حفظه، فحيثُ يحدِّثُ مِنْ كتابه، فهو ثبتٌ، وحيث يحدِّثُ مِنْ حفظه، فيشُكُّ أو يَهِمُ. وعلى هذا يُحْمَلُ اختلافُ هؤلاء الحفَّاظ عنه.

وروى الدارقطني في هذا الكتاب حديثَ محمد بن جُحادة عن أبي صالح، عن أبي سعيد، وقال: تفرَّد به داودُ بنُ الزِّبرقان عنه.

قلت: وداود بن الزبرقان كذَّبه إبراهيم بن يعقوب الجُوزَجاني، وضعَّفه

الجمهور، ونقل ابنُ حِبَّان في كتاب «الضعفاء» أنَّ أحمد بن حنبل حَسَّنَ القولَ فيه.

قال الدارقطني: وخالفه الحسن بن أبي جعفر، فرواه عَنْ محمد بن جُحادة، عن عطية العَوْفي، عن أبي سعيد. انتهى كلامه.

قلت: وحديثُ الحسن هذا أخرجه خيثمةُ بن سليمان في «فضائل الصحابة» له عن عبد الله بن أحمد بن أبي مَسَرَّة، عن محمد بن عبد الملك الأزدي، حدَّثنا الحسن بن أبي جعفر، عن محمد بن جُحادة، عن عطية العَوْفي، عن أبي سعيد، عن النبي ﷺ، قال: «لا تقولُوا في أصحابي إلا خيراً، فوالَّذي نفسُ محمَّدٍ بيده...»، فذكر الحديث.

والحسن المذكور ضعَّفه جماعةٌ، ووُصِفَ بالصِّدق، وقال ابنُ عديٍّ: إنَّ له عَنْ محمد بن جُحادة نسخةً مستقيمةً، فعلى هذا، فروايتُه لهذا الحديث أقوى مِنْ رواية داود بن الزِّبرقان. وأمَّا ما وقع في «الأطراف» مِنْ أنَّ محمد بنَ جُحادة رواه عَنِ الأعمش، عن أبي صالح، فهو وَهْمٌ مِنَ المصنِّف، فإنَّ محمد بن جُحادة إنَّما رُوِيَ عنه، عن أبي صالح، عن أبي سعيد، بلا واسطة الأعمش.

وقد قدَّمنا قولَ الدَّارقطني: إنَّ داود بن الزبرقان تفرَّد به عنه، وكذلك رويناه في الجزء الثالث مِنْ «حديث أبي طاهر المُخَلِّص» انتقاء البَقَّال، قال: حدَّثنا محمَّدُ بنُ هارون ـ هو أبو حامد الحضرمي ـ حدَّثنا محمد بن معاوية ـ هو الأنماطي ـ حدَّثنا داودُ بن الزبرقان، به، وليس فيه «الأعمش». وكذلك هو في الجزء الخامس مِنْ «حديث المخلص» انتقاء أبي الفتح بن أبي الفوارس بهذا الإسناد. وكذا رويناه في الجزء السادس عشر من «البِشْرانيَّات»، قال: أنبأنا محمد بن زيد بن علي الأنصاري، حدثنا عبد الله بن ناجية، حدثنا محمد بن معاوية الأنماطي، به.

وطالعت «مسند محمد بن جحادة»، جمع أبي القاسم الطَّبراني، فلم أجد هذا الحديث فيه، لا في ترجمة أبي صالح، ولا في ترجمة الأعمش. وكذا طالعتُ «مسند محمد بن جحادة»، جمع أبي بكر الخرائطي، فلم أجد

فيه هذا الحديث أيضاً. ومع تفرُّد داود بن الزبرقان به، فقد رُوِيَ عنه عن غير محمد بن جحادة، رويناه في الجزء التاسع من «البشرانيات»، قال: أخبرنا ابن قانع، حدثنا موسى بن هارون، حدثنا مُحْرِز بنُ عون، حدَّثنا داود بن الزبرقان، عن أبي الأشهب، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبُّوا أصحابي». الحديث. قال أبو الفتح بن أبي الفوارس: غريبٌ من حديث أبي الأشهب، صحيح مِنْ حديث أبي سعيد.

فصل

وأما طريق زائدة التي ذكرها الدَّارقطنيُّ، فرواها أبو عبد الرحمن النَّسائي في «السنن الكبرى» له، عن حفص بن عُمر، عن حسين بن علي، ورواها أبو بكر الرُّوياني في «مسنده» عن أبي كُريب، ورواها أبو بكر البزَّار في «مسنده»: حدثنا أبو كُريب ويوسُف بنُ موسى، قالا: حدَّثنا حُسين بن علي ـ هو الجُعفي ـ عن زائدة ـ هو ابن قُدامة ـ عن عاصم ـ هو ابن أبي النَّجُود ـ عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: كان بين خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما بعضُ ما يكونُ بين النَّاس، فقال رسول الله ﷺ «دعوا لي أصحابي، فإنَّ أحدكم لو أنفق مثلَ أُحُدٍ ذهباً، لم يبلُغ مُدَّ أحدهم ولا نَصِيفَه». قال البزارُ: لم يروه عَنْ عاصم إلا زائدةُ، تفرَّد به حُسين.

قلت: وكذا رويناه عالياً في «جزء محمد بن عاصم الثقفي»، حدثنا حُسين الجعفي مثلَه سواء. ومن طريقه رواه أبو القاسم بن عساكر في «تاريخه» في ترجمة عبد الرحمن بن عوف، وقال: المحفوظ حديثُ أبي صالح عن أبي سعيد. انتهى.

ورواه ابن عساكر أيضاً من طريق محمد بن يحيى بن الضَّريس، عن حُسين بن علي، عن زائدة ـ أظنه عن الأعمش ـ عن عاصم، عن أبي صالح

---

(١) «وهم» ساقطة من (أ).

عن أبي هريرة. وقوله: أظنُّه عن الأعمش، زيادة لا حاجة إليها، وهي وَهْمٌ[1] ممن رواها.

وأما حُكم الدارقطنيِّ وغيره بصحَّة حديث أبي صالح عن أبي سعيد، لا عن أبي هريرة، فإنه صَدَرَ بالنِّسبة إلى التَّرجيح بين عاصمٍ والأعمش، فإنَّ الأعمش أحفظُ مِنْ عاصم وأتقن، كما تقدم.

وكأن الدارقطنيَّ لم يقف على رواية زيد بن أسلم التي ذكرها البزَّار، أو وقف عليها ولم يعتدَّ بها، لضعف إسنادها. وقد حصل هنا خلافان:

أحدهما: اختلاف الأعمش وعاصم. والأعمش أحفظُ مِنْ عاصمٍ، فروايتُه مقدَّمةٌ.

والثاني: خلافُ أصحاب الأعمش عليه. وقد قدَّمنا أنَّ الأكثر روَوْهُ عنه، عن أبي صالح، عن أبي سعيد، فما عدا ذلك يكون شاذاً، والله أعلم.

وقد اتَّفق النُّقَّادُ على توهيم[2] ما وقع في «صحيح مسلم» مِنْ أنَّه عن أبي هريرة، فتقدم حكاية ذلك عن الدارقطني وأبي مسعود الدمشقي، وكذا رأيته في «علل الأحاديث التي في صحيح مسلم» لأبي الفضل بن عمار الشهيد. والله أعلم.

وقد ذكر الخطيب هذا الحديث في بعض تخاريجه من طريق محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب، عن أبي عوانة كما مرَّ، وقال في الكلام عليه: خالفه عفَّان بنُ مسلم ويحيى بن حماد، عن أبي عوانة، فقالا: عن أبي هريرة، وخالفهما مُسدَّد وأبو كامل الجحدريُّ وشيبانُ بن فرُّوخ عن أبي عوانة، فقالوا: عن أبي هريرة أو أبي سعيد على الشَّكِّ. وكذا قال نصر بن علي، عن عبد الله بن داود الخُرَيْبي عن الأعمش، ورواه مسدَّد عن الخُرَيْبي، فقال: عن أبي سعيد وحده مِنْ غير شكٍّ، ورواه زيدُ بنُ أبي أُنيسة عَنِ الأعمش، فقال: عن أبي هريرة. وكذا قال

---

(١) في (ب، ح): «توهم».

أبو مسعود أحمد بن الفرات الرَّازي: عن أبي داود الطيالسي، عن شعبة، والصحيح عَنْ أبي صالح، عن أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه. والله أعلم[1].

فصل

[حديث رأيت عيسى وموسى وإبراهيم]

وقد مرَّ بي في المطالعة في «صحيح البخاري» شيءٌ مِنْ حقِّه أن يُذكر هُنا، وذلك أنَّه قال فيه في كتاب أحاديث الأنبياء في قصة مريم: حدثنا محمد بن كثير، حدثنا إسرائيل، أنبأنا عثمانُ بنُ المغيرة، عن مجاهد، عن ابن عُمر رضي الله عنهما، قال: قال النبيُّ ﷺ: «رأيتُ عيسى وموسى وإبراهيم. فأما عيسى، فأحمرُ جَعْدٌ، عريضُ الصَّدْرِ، وأما موسى، فآدَمُ جسيمٌ سَبْطٌ، كأنه مِنْ رجال الأزْدِ». انتهى.

قال أبو مسعود في «الأطراف»: إنَّما رواه محمد بنُ كثيرٍ عن إسرائيل، عن عثمان، عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما، وكذلك رواه إسحاق بن منصور السَّلُولي، وابنُ أبي زائدة ويحيى بنُ آدم وغيرهم عن إسرائيل. انتهى.

وقال أبو ذر الهروي في «حاشية الصحيح» ما نصُّه: هكذا وقع في سائر الروايات المسموعة عن الفِرْبَري: «مجاهد» «ابن عمر»، فلا أدري: أحدَّث به البخاريُّ هكذا، أو غلط فيه الفِرْبَري؟ لأنني رأيتُه في سائر الروايات عن ابن كثير وغيره: «مجاهد عن ابن عباس»، وهو الصواب. حدثنا موسى بن عيسى السَّرَّاج لفظاً، حدثنا عثمان بن أحمد بن سليمان، حدثنا حنبلُ بن إسحاق، حدثنا محمد بن كثير، حدثنا إسرائيل، عن

---

(١) أشار الحافظ ابن حجر إلى ما تقدم من كلامه على هذا الحديث في «تغليق التعليق» ٤/ ٦٢، فقال: وقد تكلمت على هذا الحديث، وجمعت طرقه في جزء مفرد. وقال في «فتح الباري» ٧/ ٣٦: وقد أمليت على هذا الموضوع جزءاً مفرداً، لخَّصت مقاصده هنا بعون الله تعالى.

عثمان بن المغيرة، عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ «رأيتُ عيسى وموسى عليهما السلام، فأمَّا عيسى، فأحمر جَعْدٌ عريضُ الصَّدر، وأمَّا موسى، فآدم سَبْطٌ، كأنَّه مِنْ رجال الزُطِّ». قالوا له: وإبراهيم؟ قال: «انظروا إلى صاحبكم». قال: ورواه عثمان بن سعيد الدارمي عن ابن كثير كذلك. وهكذا رواه نصرُ بن علي، عن أبي أحمد الزُّبيري، عن إسرائيل، وكذا رواه يحيى بنُ زكريا بن أبي زائدة، عن إسرائيل. [انتهى.

وكذلك رواه الإمام أحمد بن حنبل في «مسنده» عن أسود بن عامر شاذان، عن إسرائيل][1].

وكذا رواه الطبراني في «المعجم الكبير» عن أحمد بن محمد الخُزاعي، عن محمد بن كثير، به.

وأخرجه الإسماعيلي في «صحيحه»، قال: حدثنا الوزَّان، حدثنا نصر بن علي، أخبرنا أبو أحمد الزُّبيري، حدثنا إسرائيل، عن عثمان بن المغيرة، عن مجاهد، عن ابن عباس، فذكر مثل سياق حنبل بن إسحاق بتمامه، إلا أنَّه لم يقل: قالوا له، وأما إبراهيم[2]. ولم يتعرَّض الإسماعيلي لكون البخاري قال فيه: عن ابن عمر، أو أنه وَهِمَ في ذلك كعادته في التعقُّب على البخاري، فاقتضى ذلك أنَّ النُّسخة التي كان الإسماعيليُّ يخرِّجُ عليها كانت على الصَّواب، ويَقوَى الظنُّ حينئذٍ بأنَّ الوهم مِمَّن دُون البخاري.

وأخرجه أبو عبد الله بن منده في كتاب «الإيمان»، له عن محمد بن أحمد بن إبراهيم، عن موسى بن سعيد الطرسوسي، وعن محمد المذكور، عن محمد بن أيوب، كلاهما عن محمد بن كثير، فقال: مجاهد عن ابن عباس، وقال في آخره: أخرجه البخاري عن محمَّد بن كثير، فقال: مجاهد

---

(١) ما بين حاصرتين ساقط من (ط).

(٢) في (أ): «وقال إبراهيم».

عن ابن عُمر. والصواب: ابن عباس.

وذكر الحميدي في «الجمع بين الصحيحين» أنَّ الشيخين أخرجاه جميعاً من طريق عبد الله بن عون، عن مجاهد، عن ابن عباس بلفظ: «أمَّا إبراهيم، فانظُروا إلى صاحبكم. وأما موسى فجَعْدٌ آدمُ على جملٍ أحمرَ». الحديث. قال: ورواه البخاري في أحاديث الأنبياء عن محمد بن كثير، عن إسرائيل، عن عثمان بن المغيرة، عن مجاهد، عن ابن عمر، فذكره، قال: وزاد البرقاني في روايته: فقيل له: فإبراهيم؟ قال: «شبيه صاحبكم». قال: وليست هذه اللفظة عند البخاري فيه، ثم حكى كلامَ أبي مسعود المتقدِّم بمعناه.

ورواية البرقاني التي أشار إليها أخرجها مِنْ طريق أبي أحمد الزُّبيري كما ساقها الإسماعيلي، وقال فيه: «مجاهد عن ابن عباس»، على الصواب.

وإنَّما كتبتُ هذا الحديث هنا لمشابهته للوهم الواقع في الحديث الذي في أوَّل المسألة، لأن أبا صالح لما كان كثيرَ الرِّواية عَنْ أبي هريرة وأبي سعيد جميعاً، سبق القلمُ مِنْ أحدهما إلى الآخر. إما مِنَ المؤلف، أو ممن بعده.

وكذلك القول في مجاهد، لما أن كان كثير الرِّواية عن ابن عباس وعن ابنِ عمر رضي الله عنهما جميعاً، سبق القلمُ مِنْ أحدهما إلى الآخر، إمَّا مِنَ المؤلف أو ممَّن بعده، والله سبحانه وتعالى الموفق، لا إله إلا هو.

قلت: وكفى بهذين الجوابين دلالة على وُفور باعه في سعة حفظه، ومزيد نقده واطلاعه.

[القول في التفريق بين جنادة بن أبي خالد وجنادة بن أبي أميّة]

ومن ذلك أن شيخه الحافظ أبا الحسن الهيثمي أورد في كتابه «مجمع الزوائد» حديث أبي الدرداء: «مَنْ مشى في ظُلمة ليلٍ إلى مسجدٍ، آتاه الله نُوراً يومَ القيامة» وعَزَاه للطبراني، وقال: إنَّ في إسناده جُنادة بن أبي خالد، ولم أجد مَنْ تَرْجَمه. فتعقَّبه الحافظ وليُّ الدين العراقي بأنَّ جُنادة إنَّما هو

ابن أبي أُمية. قال: وقد أخرج ابنُ حِبَّان حديثه هذا في «صحيحه»[1].

فقال شيخُنا صاحبُ التَّرجمة رداً على ابن العراقي: ليس هو جُنادة بن أبي أمية وإن أخرج حديثه ابن حبان، فإنَّ الذي في هذا الحديث من طريق الطبراني يُروى عن مكحول، ويروي عنه زيدُ بن أبي أنيسة. وأما ابنُ أبي أميَّة، فتابعيٌّ كبير. وقد أثبت أكثرُهم صحبته، فيبعُد أن يروي عن مكحول. فالظَّاهرُ أنَّه غيره، ولأنَّ زيدَ بنَ أبي أنيسة لم يلحق ابن أبي أمية، انتهى.

فتعقَّبه ابنُ العراقي بقوله: والذي أخرج حديثه ابنُ حبان هو عنده أيضاً عَنْ مكحول، والراوي عنه زيدُ بن أبي أنيسة، فهما واحد. ولم يقل أحد: إنَّ جنادة بن أبي أمية اثنان، لكن ابن حبان قال لما أخرجه: هكذا حدَّثنا أبو عروبة، فقال: جنادةُ بن أبي أمية، وإنما هو جنادةُ بن أبي خالد، وجنادةُ بنُ أبي أمية مِنَ التَّابعين، أقدمُ مِنْ مكحول، وجنادة بن أبي خالد مِنْ أتباع التابعين، وهما شاميَّان ثِقَتان. انتهى كلام ابن حبان.

فتعقَّبه صاحبُ التَّرجمة أيضاً بقوله: قلت: فترجَّحت حينئذٍ راويةُ الطبراني، وصحَّ أنَّ الحديثَ عن جُنادة بن أبي خالد، لا عن جُنادة بن أبي أُمية، وظهر أنَّهما اثنان. وأما قوله[2]: لم يقل أحدٌ: إنَّ جنادة بن أبي أُمية اثنان، فهو حَصْر مردُود. فقد جزم غيرُ واحد أنَّ جنادة بن أبي أُمية اثنان، وقد أوضحت ذلك في «كتابي في الصحابة»[3] وبالله التوفيق.

قلت: ووقع له نظيرُ هذا مع القاضي عَلَم الدين البُلْقيني في مسألة فقهية في الطلاق، أفتى أحدهما فيها، وتعقَّبه الآخرُ بحيث ترددت[4] إدارتُها بينهما، لا نطيل بإيرادها.

---

(١) برقم ٢٠٤٦.

(٢) في (أ): «قولهم»، خطأ.

(٣) انظر «الإصابة» ١/ ٢٥٦ ـ ٢٥٧.

(٤) في (ب، ح): تكررت.

[عنايته بالكتب]

وبالجملة، فهذه أمورٌ لا تُحصر، وكَثْرَةُ حفظه ونقده أشهرُ مِنْ أن تُذكر. ولو لم يكن مِنْ ذلك إلا أنه كان قلَّ أن يقف على كتاب حديثيٍّ أو علمي أو أدبي، إلا ويُقيّدُ فيه ما لا يُستغنى عنه، إما مِنَ اعتراضٍ على مؤلِّفه في تصرُّفه، أو مثبتاً حجة فيما نقله، أو استدراك لما لم يذكُره أو سقط أو تحريف، إلى غير ذلك مما لا يُحتاج إلى دليل. حتى كتب على «الكشَّاف» و«حاشيته» للشيخ سعد الدين، حتى في عدد آي سُور القرآن، أصلح في أول سورة (ص)[1] منه عدد آياتها، كما أسلفناه، وربَّما كتب ما نصه: سقط شيءٌ، أو هنا سقط، أو يشيرُ إشارةً، وله في كلِّ ذلك مقاصدُ جميلةٌ.

ولما عرضتُ عليه «العمدة» وجَد بظاهرها حديثاً باطلاً، فكتب عليه بخطه: هذا كذبٌ على رسول الله ﷺ. وكذا لما عَرَض عليه بعضُ أصحابنا «العُمدَة» أيضاً، وجد فيها كتابة سندٍ، فكتب: سقط منه اثنان.

وأما فهرست أبواب الكتب ومسائلها وكذا المجاميع، فهو شيءٌ كثيرٌ في علوم جمَّةٍ، يعرف بركة ذلك مَنْ أكثر المطالعة والمراجعة، خصوصاً في التَّصانيفَ التي ليست على ترتيبٍ مألوفٍ، فجزاه الله عن المسلمين خيراً.

ولخَّص مقاصد كثيرٍ مِنْ كُتب الأوقاف تلخيصاً يحصُل به تمامُ الغرض

---

(١) في (ب، ط): «سورة الحج».

في الزمن اليسير. وقفتُ مِنْ ذلك على وَقْف المارستان المنسوب للمنصور قلاوون، ووقْفِ المدرسة الشيخونية.

وكان إذا رأى خطأً في شيء من الأصول القديمة، وأصلحه بالهامش[1]، يكتبُ تاريخ إصلاحه كما فعل في «البخاري»، في حديث: كان رسول الله ﷺ بارزاً يوماً للناس، فأتاه جبريل، فضَبَّب في نسخة النَّاصرية على لفظ جبريل، وكتب بالهامش: صوابه رجل. كتبه ابن حجر سنة ست وعشرين وثمانمائة.

قلت: وقد يسَّر الله إصلاح عدة أماكن لا بدَّ مِنْها في هذه النسخة، حيث قرىء عليَّ فيها في سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة، لكن أصلحت مِنْ غير تعيين، فلله الحمد.

وكتب بخطه على فتيا أجاب عنها قاضي القُضاة علم الدين، وعَزَا النَّقلَ فيها «للبحر» ما نصه: أمَّا «البحر» فكثير عجائبه.

وكذا كتب له في موضع آخر، فقاقِع[2] ما تحتها طائل، ودعوى لا تسوى سماعها.

والعجب أنَّه كان يُطالعُ المصنَّف، ويقيدُ عليه بخطِّه الفوائد النَّفسية على عادته، ثمَّ يقفُ عليه بعد دهرٍ، فيعيدُ نظره فيه، لظنِّه أنَّه ما رآه قبلُ، وربما توهَّم أنَّ خطَّه خطُّ بعضِ مَنْ يَشْتَبِهُ خطُّه به. فحكى لي العلامةُ الفريدُ قاضي المذهب الحنبلي العز العسقلاني، قال: جئتُه يوماً ومعي مجلد، فأخذه مني، وصار يُمعن النَّظر فيه، وسألني: أعلمتَ لِمَنْ هذا المجموع؟ فقلت: أظنُّه للأبناسي، فقال: ما دليلك على هذا؟ فقلت له: وجدتُ فيه وصولاً - أو نحوه - بخطه فقال: ليست في الأبناسي هذه اللَّباقةُ، يعني: أن المجموع ليس مِنَ الفنون التي يتصرف فيها. قال: وكلُّ هذا وهو يطالعه، إلى أن أتى على آخره وقد مر بموضع عليه حاشية، فقال: وهذا خطُّك باعتراض عليه أو نحوه. ولما انتهى وفَارقته، رجعتُ فتصفَّحت المجموع،

---

(١) «بالهامش» ساقطة من (أ).

(٢) في (ح): «قعاقع».

لأنظر اعتراضي فيما كتبتُه بخطي، كما أشار إليه، فإذا هو خطُّه نفسُه!

قال: وكذا اتَّفق لي معه؛ رأيتُ مجلداً من كتابٍ كبيرٍ في الأحكام، جمع فيه أصولاً عدَّةً، يشتمل المجلَّدُ على الحج، أو الصيام، وهو الغالب على ظنِّي. وعليه خطُّه. فوقع في خاطري أنَّه ربما يكون مِنْ كُتبه وباقيه عنده. فأمرت الدَّلال أن يأتي به إليه ففعل، فنظره، وقال: هذا ما رأيتُه قطُّ. إلى غير ذلك مما لا يضبط.

ومِنْ ذلك أن النَّواجي ـ فيما بلغني عنه ـ حكى أنَّه وقف على كتابٍ غريبٍ، فأحضره لصاحب الترجمة، فأخذه منه، واستغربه. قال النَّواجي: فصرتُ في نفسي مسروراً مِنْ أجل أنَّني أوقفتُه على كتابٍ لم يقف عليه، وهو يبالغُ في تصفُّحه وتأمُّله، فلم ألبث أن قال: وها خطِّي عليه باعتراض أو نحوه.

قلت: وهذا لكثرة ما طالع وبُعْدِ المدة بين المرتين. وماذا عسى أن يكون، فسبحان من لا يغفل.

[تعقُّباته على الكتب]

وقد رأيت تمام الفائدة بإيراد شيء مما كان يتعقَّبه بالهوامش ونحوها.

[الأربعون التساعيات لأبي علي الصيرفي]

فمنه: أنَّه نبَّه على أنَّ الحديث الثامن والثلاثين[1] من «أربعي» المحدِّث الشهير أبي علي الحسن بن علي اللَّخمي الصَّيرفي والتساعيات[2] صوابُه أن يكون عُشارياً، سقط منه على المخرِّج رجلٌ ما تَنَبَّه له، وهو بين أبي الحسن بن عبد كُوْية وأحمد بن عبد الرحمن بن يونس الرَّقيِّ، واستدل لذلك، ثم قال: وأظنُّ أنَّ الساقط هو أبو القاسم الطبراني الحافظ، فإن ابن

---

(١) في (أ): «والثلاثون»، خطأ.

(٢) في (أ): «السباعيات»، تحريف.

عبدكُوية مِنَ المكثرين عنه، وهو ـ أعني الطبراني ـ فقد أخرج الحديث المنبَّه عليه في «معجمه الصغير» في ترجمة أحمد بن عبد الرحمن المذكور. ثم وقف شيخُنا على الجزء الذي خرَّج ابن الصيرفي الحديث منه، فوجده كما ظنَّ.

[الأربعون العشاريات لابن الجزري]

ونحوه ما كتبه بخطه على «العُشاريات الأربعين» التي خرَّجها ابن الجَزَري لنفسه:

هذه قد انتزعها كلَّها مِنَ «الأربعين العشاريات» لشيخنا أبي الفضل العزاقي إلا الحديث الحادي عشر، فأخرجه عن الحسن بن أحمد بن الهبل، أخبرنا الفخر، أخبرنا ضياءٌ وغيره إجازةً، أخبرنا أبو بكر بن النَّقُّور، أخبرنا علي بن عمر الحربي، حدَّثنا عُبيد الله بن عبد الله الصَّيرفي، حدَّثنا داود بن صعير حدثنا أبو عبد الرحمن السلمي[1]، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ، قال: «كلامُ أهل السماوات لا حولَ ولا قوة إلا بالله». وهو مِنْ ثاني «الحربيات»، وإيرادُ هذا في «العشاريات» غلطٌ منه. قال: ووقع له في خطبتها مِنَ الأوهام غيرُ ذلك، والله المستعان[2].

[الكامل لابن عدي]

ومنه ما كتبه على «الكامل» لابن عدي، حيث قال في ترجمة مالك بن إسماعيل النَّهدي: قال السعدي: كان حسنَيًّا، يعني: الحسن بن صالح، على عبادته وسوء مذهبه.

---

(١) في (ب): «الشامي»، تحريف. وأبو عبد الرحمن السلمي، هو عبد الله بن حبيب بن ربيعة.

(٢) وقال الحافظ ابن حجر في «المجمع المؤسس» ٣/ ٢٢٧ في ترجمة ابن الجزري. وخرّج لنفسه «أربعين عشارية» لقطها من «أربعي» شيخنا العراقي وغيرها، فيها أشياء ووهم فيها كثيراً، وقد بيَّنت وهمه في كرّاسة.

فتعقَّبه بأن أبا غسَّان مالكاً، وإن كان مِنْ أصحاب الحسن بن صالح، لكن لم يُردِ السَّعديُّ نسبته إلى الحسن، وإنما قال: إنه خشَبِيٌّ، بمعجمتين، يريد: أنه رافضي قال: وشرحُ ذلك يطول، وهو معروف في غير هذا الموضع.

[الأنساب لابن السمعاني]

ومنه ما كتبه على «الأنساب» لابن السمعاني، حيث قال في ترجمة الجريري: بفتح الجيم، وكسر الرَّاء، نسبة إلى مذهب محمد بن جرير الطبري. قال: وكان منهم إبراهيم بن يعقوب الجُوزجاني، ثم نقل عن ابن حبان أنَّه قال فيه: إنه جريريُّ المذهب، ولم يكن داعية.

فتعقبه بقوله: لم ينسُبه ابن حبان لمذهب محمد بن جرير، وإنما نسبه لمذهب حَرِيز بن عثمان، وهو بالحاء المهملة، ثم راء، ثم زاي، ولو لم يكن في هذه إلا مخالفة التاريخ، فإنَّ إبراهيم المذكور في طبقة شيوخ محمد بن جرير، ومات بعد مولد محمد بن جرير بأربع وعشرين سنة، فكيف يكون على مذهبه وهو في عداد شيوخه.

[تعقُّبه أبا عليٍّ الصدفي]

ومنه وقد كتب الحافظ أبو علي الصَّدَفي شيخ القاضي عِياض بهامش نسخته التي بخطه من «صحيح البخاري»، قُبيل صدقة الفطر بأبواب عند قوله في (باب ما يستخرج من البحر): وقال الليث: حدثني جعفر بن ربيعة، عن عبد الرحمن بن هُرمز، عن أبي هريرة، أن رجلاً مِنْ بني إسرائيل، فذكر حديث الخَشَبة والألف دينار: رواها عاصم بن علي عن الليث. والبخاري قد حدَّث عن عاصم، فَلِمَ لَمْ يُسند هذا الحديث، فلعله لم يسمعه من عاصم، أو لعله لم يتواطأ في روايته عَنِ اللَّيث. وقد رواه أيضاً محمد بن رُمح بن المهاجر عن الليث ما نصه:

كأنَّ الصَّدفي ما وقفَ على توصيل البخاري لهذا الحديث عَنِ اللَّيث،

وهو في البيوع في بعض الرِّوايات عَنِ البخاري، قال في آخره: حدثني أبو صالح، حدثنا اللَّيث بهذا، ورواه عَنِ الليث غيرُ مَنْ ذُكر. وقوله: ولعله لم يتواطأ عَنِ اللَّيث، فيه إشارة إلى أن البخاريَّ لا يخرِّجُ حديثَ مَن انفرد برواية[1] شيءٍ لم يواطئه عليه غيره. وهو شيءٌ أشار إليه الحاكم، وجزم ابن العربي به وآخرون، وليس بصحيحٍ، مع أنه أثبت أنَّ عاصماً تُوبع عن اللَّيث.

[شرح البخاري لمُغلطاي]

ومنه ما كتبه على قول الحافظ علاء الدين مُغَلْطاي في مقدمة «شرحه للبخاري»:

وأما القطعة التي شرحها شيخُنا أبو محمد المَنْبِجي ـ يعني القطب الحلبي ـ وإن كان معظم فوائدها عَنِ المتأخرين مُبتَّرة، وأكثرُ ألفاظهم فيها متكرِّرة، غيرُ محررة، فهي بكتاب الأطراف أشبه منها بالشَّرح.

فقال ما نصه: كذا قال، وقد قال الكِرماني عن «شرح مُغَلْطاي» ما نصُّه: وأمَّا الذي ألَّفه العالم المشهور بمغلطاي التُّركي المصري، فهو بكتُب تَتْمِيم الأطراف أشبه، وبصحف تصحيح التَّعليقات أمثل، وكأنه من إخلائه جلَّ مقصودِ الكتاب على ضمان، ومِنْ شرح ألفاظه وتوضيحِ معانيه على أمان.

قال شيخُنا: فعوقِبَ مُغلطاي على إساءته على شيخه.

[تعقُّبه أبا زرعة العراقي]

ومنه[2] متعقِّباً على أبي زُرعة ابن شيخه العراقي فيما كتبه على الحافظ علاء الدين مُغَلْطاي الحنفي إذ كتب على بعض الأجزاء الحديثيّة ـ كما قرأته بخط مغلطاي ـ: أنبأنا به ابن البخاري، عن أبي جعفر الصَّيْدَلاَني، إلى

(١) في (أ): «من انفرد به وأنه شيء...».

(٢) وردت هذه الفقرة في (ط) بعد الفقرة التي فيها التعقب على الحافظ ابن رجب.

آخره. وكانت كتابةُ مغلطاي لقوله: «به» على كشط يُمكن أن يكون كان فيه بدلها: «جماعة عن». فقال الحافظ أبو زرعة ما نصُّه على ما قرأته بخطِّه أيضاً: أمَّا أنت، فلم تدركِ ابنَ البخاري، وأمَّا أنا، فقد سمعتُ على خَلْقٍ كثيرين، وأجازوا لي، وهم سمِعُوا على ابن البخاري، وأجاز لهم.

فكتب صاحب الترجمةِ فيما نقلته مِن خطه: الله المستعان، الخطابُ بقوله: «أنت»، لكاتب الخطِّ الأعلى، وهو الشيخ علاء الدين مُغَلْطاي، شيخ شيوخ كاتب الخط الثاني، وما أدري أي موضع لقوله: «أما أنت وأما أنا». ولم يتقدَّمه في كلام الشيخ ما يقتضي أنْ يَتَعقَّبَ بمثل ذلك. فانظرُوا وتعجَّبُوا. ثمَّ إنَّ بين الكتابتين التي[1] بخط مغلطاي قشطاً، ويظهر لي أنَّه كان فيه واسطة بينه وبين ابن البخاري، لكن ذكر لنا شيخُنا والدُ كاتب الخط الثاني أنَّ مُغلطاي كان يدَّعي في آخر أمره أنَّ ابنَ البخاري أجازَ له، وأنَّ مولده قبل وفاته بسنتين، وكان شيخُنا يذكرُ ذلك عنه وينكره، والله أعلم.

[تعقُّبه الحافظ ابن رجب الحنبلي]

ومنه وقد وقف على حواشي كتبها ابن رجب على نسخة من «القراءة خلف الإمام» للبخاري[2] فيها وصفُه له بالميل ونوعِ هوى وغلبةِ التَّعصُّب، وأنَّ عليَّ بن المديني ليس بفقيه، ولو لزم البخاريُّ أحمدَ وتفقَّه به، كان خيراً له مِنْ لزوم علي بن المديني وتخبيطه، إلى غير ذلك.

فكتب شيخنا ما نصه: الحواشي التي فيه بخط الشَّيخ زين الدين بن رجب الحنبلي البغدادي نزيل دمشق. ولقد أظهر فيها مِنَ التَعصُّب والتَّهوُّر ما كان ينبغي له أن يتنزَّه عنه. ولكن مَنْ يبلغ به الغضبُ إلى أن يقول في علي بن المديني: [إنه] ليس بفقيه، يسقطُ معه الكلامُ والسَّلامُ، كأنَّه ما

---

(١) في (أ): «اللتين».

(٢) وهذه النسخة محفوظة في مكتبة الفاتح في تركيا برقم (١١٣١)، وهي في غاية النفاسة، عليها سماعات كبار العلماء؛ مثل الحافظ المزي وابنته زينب وزوجها الحافظ ابن كثير، والحافظ ابن حجر وعبد الرحمن القلقشندي وغيرهم.

طرق سمعه قولُ البخاري: إنَّه ما رأى أعلم مِنْ علي بن المديني، وقد رأى أحمدَ وتلك الطَّبقة وطبقةً قبلَهم بقليل.

[الحكاية الرباعية المنسوبة للبخاري]

ومنه مقابل الحكاية الرباعية[1] المنسوبة للبخاري التي في آخر «جزء اليُونارتي» ما نصه: يقولُ الفقير أحمد بن علي بن حجر: إنني منذ قرأتُ هذه الحكاية إلى أن كتبتُ هذه الأسطر وقلبي[2] نافر [من صحتها. مستبعد لثبوتها، تلوحُ أماراتُ الوضع عليها، وتلمَعُ إشارات التلفيق فيها][3]، ولا يقع في قلبي أنَّ محمد بن إسماعيل يقول هذا ولا بعضَهُ، وأما قول القائل الذي في آخره: إن هذا خير مِنْ ألف حديث، فكذب لا مزيد[4] عليه[5].

[تعقُّبه ابن جماعة في العَروض]

ومنه ما كتبه عند سياق العز ابن جماعة لِمَا أنشده أبو منصور بن شَكْرَويه في «أماليه»، وهو قوله:

لو أنني أعطيتُ سُؤلي لما ... سألتُ إلا العَفْوَ والعافيهْ
فكم فتًى قد بات في نعمةٍ ... فسُلَّ منها اللَّيْلَةَ الثَّانيهْ

وزيادته واواً في أولهما وإبداله «إلا» بلفظ «سوى».

فقال: كأنَّه توهم مِنْ إثبات الأول أنَّ الشِّعر مِنَ المُتقارب، ورأى أن لا يفسد

---

(١) «الرباعية» ساقطة من (ب).

(٢) في (أ): «وقلمي».

(٣) ما بين حاصرتين ساقط من (أ).

(٤) في (أ): «لأمر يدلُّ عليه»، تحريف.

(٥) ورد في هامش (ب) ما نصه: تعقَّب ذلك المتبولي، فقال: إيراد القاضي عياض والجلال السيوطي لهذه الحكاية شاهدة بأنها ليست موضوعة عندهما. ومن ذكر سندها، فهو أبسط لعذره على تقدير وضعها، وكان ينبغي لمن جزم بوضعها أو أشار إليه، أن يتبيَّن له ذلك من حيث السند، والله أعلم. انتهى.

الوزن، فغيَّرها بلفظ «سوى» ليتَّزن، لكن يُعَكِّرُ عليه أنَّ البيت الثاني مِن بحر السريع. ومقتضى ذلك أنْ يكون الأول كذلك، وهو موزون بإثبات «إلا» لا بما غيَّره. وغايته أنه مجزوم بالزاي، إن كانت الواو ثابتةً في الأصل، وإلا فهي زائدة.

[التعقب على حلّ لغز]

ومنه ما كتبه بخطه، حيث قال: قرأت في ترجمة الشريف محمد بن حسين التِّلمساني القاضي عنه، قال: كنتُ مع القاسم بن محمد الصّنهاجي، فورَدَتْ عليه يوماً طومارة من عند القاضي أبي الحجاج الطرطُوشي فيها.

خيراتُ ما تحويه مبذولةٌ ومَطْلَبي تصحيفُ مقلوبها

فقال: ما مطلوبه؟ قلت: تاريخ.

فقال شيخنا: هكذا في الأصل، بالمثنَّاة أوله والمعجمة آخره.

فكتب الشيخ بدر الدين البشتكي في الهامش قوله: تصحيف لغوٌ مُخِلٌ بالمعنى.

فاعترضه أبو الفضل بن الإمام ـ ومِنْ خطه نقلت ـ فقال: مجرَّدُ القلب لا يُؤَدِّي لفظَ تاريخ، لأنَّ «خيرات» تحتاج إلى أمرين:

أحدهما: القَلْب، وهو تأخير ما تقدَّم مِنَ الحروف، وتقديم ما أُخِّر.

والثاني: التَّصحيف، وهو تغييرُ حركات الأصل إلى حركات [المواد، لأنَّ الحركات][1] كالأعراض لمادة الحروف، وكأن المعترض فَهِم أنَّ التصحيفَ يختصُّ بالحروف، وهو فهم لا يصحُّ، لأن التصحيف أعمُّ.

قلت: والحق أنَّ البَشتكيَّ بنى الأمرَ على اصطلاح المتأخرين، وهو أنَّ التصحيف للنِّقط، والتَّحريف للشكل، أو على أنَّ مجرَّد الحُروف إذا وَجَدَتْ بعدَ الخطِّ موافقاً خطها للمراد يكفي، وهو كذلك. وإذا ابتدأت بالحرف الأخير، وهو التاءُ، فتحت لضرورة الألف بعدها. ثم لا يبقى بعدَ

(١) ما بين حاصرتين ساقط من (أ).

ذلك مِنَ الشَّكل إلا الراء، فإنَّها حينئذٍ تبقى مفتوحةً، وهي في «التاريخ» مكسورة. والخَطْبُ فيه سهلٌ. والذي يظهر لي أنَّ النَّاظمَ إنما طلب «نارِنج» بنونين وجيم. وحينئذٍ، فلا نِزَاعَ في اشتراط التَّصحيف والقلب معاً. انتهى.

[تعقبه على ابن جماعة]

ومنه أنَّ الصَّفدِيَّ قال في الجزء الثامن من «تذكرته»: قال محمد بن زكريا الرازي:

لعمري ما أدري وقد آذَن البِلَى ... بعاجلِ ترحالِي إلى أين ترحالي
وأين محلُّ الرُّوح بعد خُروجِه ... مِنَ الجسد المنحلِّ والهيكل البالي

قال: فأجبتُه:

إلى جنة المأوى إذا كُنتَ خَيِّراً ... تُخَلَّد فيها ناعمَ الجسم والبالِ
وإن كُنتَ شرِّيراً ولم تَلْقَ رَحْمَةً ... مِنَ الله فالنِّيرانُ أنت بها صالِ

فكتب البرهانُ ابنُ جماعة بالهامش ما نصه: هذا الجوابُ خطأٌ. ومقصودُ ابن زكريا مَعْرفةُ مقرِّها في البرزخ. فهو محلُ الخلافِ المشهور، وليس مقصوده السُّؤال عن مآلها، فإنَّ القرآن العظيم مشحونٌ بذلك، وما أقبحَ بالرَّجل أن يتعاطى ما لا علم له به، يريد أن يعلُوَ فيهبِطَ.

فكتب شيخنا ما نصه: وعندي أنَّه ظلم الصَّفديَّ بهذا الاعتراض. فإنَّ كلاً مِنَ الاحتمالين موجّهٌ، نعم تحسينُ الظَّنِ بالمسلم يقتضي الجوابَ الثاني، وأما مَنْ لا يؤمن بالقرآن، فلا يُنْكَرُ منه أن يأتي بالسُّؤال الذي يقتضيه الجواب الأول. انتهى.

والظاهر أنَّ مقصودَ ابن زكريا أن يعرف: هل هو مِنْ أهل الجنة أو من أهل النار، وبيتاه يدلاَّن على خوفه مِنْ سوء الخاتمة أعاذنا الله منها بفضله.

[كمال الظَّرف]

ومنه، وقد رأى قول أبي بكر بن مجاهد: مَنْ قرأ بقراءة أبي عمرو،

وتفقَّه للشافعي، واتَّجر بالبَزِّ، وروى شعر ابن المعتز، فقد استكمل الظَّرْفَ.

فقال ما نصه: وروى الحُميديُّ عن أبي محمد بن حزم الحافظ أنه قال: مَنْ تَمَذْهَبَ للشافعي، وقرأ لأبي عمرو، وتخَتَّم بالعقيق، وروى قصيدة ابن زُريق، فقدِ استكملَ الظَّرْفَ.

قال: فاشتركا في ذكر القراءة والمذهب. وَلاَ افْتِرَاق بين التِّجارة بالبَزِّ والتَخَتُّم بالعقيق، بل يمكنُ الجمعُ بينهما. وأمَّا الشِّعر، فالأولى ما قاله ابنُ مجاهد، وقصيدةُ ابن زُريق عندي، وأين هي مِنْ نَفَسِ ابنِ المعتز.

قلت: وكان بعضُ الفُضلاء يقول: لو رأى ابنُ حزم قصيدَةَ ابن زيدون النُّونية، يعني التي أودعتها في مصنفي «ارتياح الأكباد» وأولها:

أضحى التَّنائي بديلاً مِنْ تدانينا ... وناب عَنْ طيبِ لُقيانَا تَجافينا

لعدل عَنْ قصيدة ابن زريق إليها، لكنه ـ يقال ـ: إنه ما حفظها أحدٌ إلا وفُجِعَ ببعضِ أحبابه.

وابنُ زُريق: هو أبو الحسن علي البغدادي الكاتب، وروينا قصيدته المشار إليها عن أبي هريرة القِبَابي[1]، عن أبي عبد الله بن الخباز، أخبرنا الفخر أبو الحسن بن البخاري، وأبو العباس أحمد بن شيبان، وأم أحمد زينب ابنة مكي، أظنُّه إذناً، كلُّهم عن أبي حفص بن طَبرْزَد سماعاً، أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن نبهان الغنوي، أنشدنا أبو عبد الله محمد بن نصر الحُميدي، أنشدنا أبو غالب محمد بن أحمد بن سهل النَّحوي الواسطي ـ [عُرف بابن بِشران ـ بواسط، أنشدني][2] الأمير أبو الهيجاء محمد بن عمران بن شاهين، أنشدني الأديب أبو الحسن لنفسه فذكرها، وأولها:

---

(١) في (أ): «القباني» بالنون، وهو تصحيف. وأبو هريرة هذا هو عبد الرحمن بن عمر بن عبد الرحمن الحموي الأصل ثم المقدسي، والقبابي نسبة لقباب حماة.

(٢) ما بين حاصرتين ساقط من (أ).

لا تـعـذلـيـه فـإنَّ الـعَـذْلَ يُـولِـعُـه قد قُلْتِ حقاً ولكن ليسَ يسمعُهُ

وهي أربعون بيتاً.

[عدم جواز تصرُّف الناسخ فيما ينسخ]

ومنه على نسخة المنكوتمريه من «الأغاني» في ترجمة أبي العتاهية، وقد بيض الناسخ شيئاً مِنْ كلامه، واعتذر بأنه مما لا يجوز كتابته.

فقال شيخنا ما نصه: قوله: «مما لا يجوزُ كتابته»، جهلٌ مِنَ الكاتب، وحاكي الكفرِ ليس بكافرٍ. وليس للنَّاسخ أن يتصرف فيما ينسخه. والكلامُ الذي حذفه هو قول أبي العتاهية: قرأته[1] البارحة عمّ يتساءلون؟ ثم قلت: هي قصيدة أحسن منها.

قلت: وفي السند إليه نظر. فإن ثبت كان كافراً، لكن يحتمل أن يكون هذا في شبيبته، ثم تَنَسَّك بعد ذلك وتاب. انتهى.

بل رأيت شيخنا في ترجمة أبي العتاهية أيضاً مِنَ الكتاب المذكور سدَّ بخطه ما بيَّضه النَّاسخ، لكونه ـ في زعمه ـ مِمَّا لا تجوزُ كتابته، وهو أنَّ رجلاً شاور أبا العتاهية فيما ينقُش على خاتمه، فقال له: انقش لعنة الله على النَّاس.

[تعقُّبه على ابن الملقِّن]

ومنه حيث ذكر شيخُه ابن الملقن في «تخريج الرافعي» حديثَ: «مَنِ اعتكف فُواقَ ناقةٍ، فكأنما أعتق نسمَةً»، وقال: أخرجه العُقيلي في «الضُّعفاء» من حديث عائشة بلفظ: «من رابط» بدل «اعتكف».

فقال صاحبُ الترجمة: هكذا ذكر، وليس هذا بموافقٍ للتَّخريج؛ لأنَّ الرِّباط غيرُ الاعتكاف. وقد روى الطبراني في «الأوسط» مِنْ حديث ابن

---

(١) في (ط): «قرأت».

عباس رضي الله عنهما مثلَ حديث عائشة في الرباط أيضاً.

وليس ما اعتمده شيخنا في ذلك بجيد، لأنه يُوهِمُ أنَّ أصلَ الحديث قد خُرِّج، وليس كذلك.

[المفاضلة بين صحيحي البخاري ومسلم]

ومنه عند حكاية الإمام أبي محمود المقدسي في ترجمة مسلم بن الحجاج من «جمعه» عن أبي علي الحسين بن علي النيسابوري الحافظ شيخ الحاكم أبي عبد الله بن البيع، أنَّه قال: «كتابُ مسلم» أصحُّ مِنْ «كتاب البخاري»، ما نصه:

هذا الكلامُ ما فاهت به شفتَا الحُسين بن علي قطُّ. ولقد قوَّلتَه يا هذا ما لم يُقل. بل لفظُه: ما تحت أديم السَّماء أصحُّ مِنْ «كتاب مسلم»، ولا يلزَمُ مِنْ هذه العبارة ما حكيت أنتَ، والله الموفق.

ومنه، وقد كتب الحافظُ صلاح الدين الأقفهسي على ظهر جزء مِنْ «حديث أبي الفتح بن بُريدة» ما مثاله: سمعتُه بدمشق بقراءتي[1] على فاطمة ابنة المُنَجَّا بإجازتها مِن ابن الزَّرَّاد.

فقال شيخنا ما نصه: ليس هذا الجزء الذي يرويه ابن الزَّراد، بل هو غيره، ثم ساق سنده بذلك. قال: وأمَّا هذا، فلم أستحضر أنِّي سمعتُه.

[سماع رقية بنت الشرف محمد من ابن المصري]

ومنه على طبقة بإسماع الحاجة رقية ابنة الشرف محمد ابن الشيخ أبي الحسن ابن القارىء لبعض الأجزاء عن ابن المصري، فقال:

اعلم أنَّ الحاجّة رُقية المذكورة لم تُدرك أبا زكريا يحيى بن يوسف بن أبي محمد بن أبي الفتوح ابن المصري، بل مات قبلَ مولدها بمدة. وقد

---

(١) في (أ، ط): «يقرأ».

حقَّق ذلك الإمامُ زينُ الدِّين عبد الرحمن البِرِشْكي التُّونسي، وأخبرني أنَّه وقف على تاريخ مولدها، وهو بعد الأربعين وسبعمائة، وكانت وفاةُ يحيى سنة سبع وثلاثين وسبعمائة.

[إجازة ابن قريش للسويداوي]

ومنه على طبقة بإسماع السُّويداوي «لمسند الشهاب» للقُضاعي عن عائشة ابنة الصّنهاجي سماعاً لمعظمه، وأبي الحسن بن قريش إجازة ما نصه:

هذا الذي ذكره هذا الرجلُ من إجازة ابن قريش لشيخنا شهاب الدين السُّويداوي شيءٌ لا أصل له، وإنَّما هو مِنْ ظُنون صاحبنا شهاب الدين الكلُوتاتي الفاسدة، وتلقَّفها مَنْ لا خِبْرَة له مِنَ الطَّلبة منه. والله المستعان.

قلت: وقد أسلفتُ شيئاً مِنْ هذا في أثناء الباب الثاني قُبيل التَّعرُّض لسفره إلى آمد.

* * *

ومنه حين أنشده التاج محمد بن أحمد بن محمد النقيب بالخشَّابية لشيخه البهاء ابن عقيل مُلغِزاً في الصَّيد:

عندي سؤالٌ حسنٌ مستطرفٌ ... مبْن[1] على أصلين قد تفرَّعا

في متلفِ شيءٍ على مالكه ... يلزمُه القيمةُ والمِثلُ معا

فقال: هكذا أنشدنا، والبيت الثاني مكسور، ولعله «في متلفِ شيئاً على مالكه» أو: «متلف شيء ما». ثم وقفت على البيتين لغير البهاء،

---

(١) في هامش (ط): «فرع» خ، أي نسخة أخرى «فرع» بدل «مبن». وهو كذلك في الضوء اللامع للمصنف ١/٣٦٦، حيث أنشد البيتين ونسبهما لابن الوردي، والبيت الثاني منهما.

قابض شيء برضا مالكه ... ويضمن القيمة والمثل معا

فأنشدهما التاج السبكي في «التوشيح» للزين أبي المظفر ابن الوردي، وثانيهما بلفظ: «متلف شيء برضا مالكه»، فلعلَّ التاج سمعهما من البهاء، فظنهما له. ولعلَّ البهاء سمعهما مِنْ ناظمهما. وقد أنشدنا أبو اليُسر ابن الصَّائغ إجازةً، عن ابن الوردي إجازة، فذكرهما.

ومنه عند قول أبي حيان في «نغْبة الظَّمآن»:

ومالك والإتعاب نفساً شريفةً ... وتكليفها في الدَّهر ما هو يصعُبُ
أرِحْها فعَنْ قُرْبٍ تلاقي حِمَامَها ... فتنعم في دار الجَزَا أو تعذَّبُ

ما نصه:

ما زلت أستشكلُ هذا الكلام الذي في هذه المنظومة التي أولها: ومالك والإتعاب إلى آخره، لأنه يدخُلُ في عموم ذلك إتعاب النَّفس بالعبادة. وظاهره يرمز إلى الرُّكون إلى الراحة، وتركِ العمل مطلقاً، اعتماداً على ما قُدِّرَ، وهو يُفضي إلى القول بالجبر، إلى أن وقفتُ على بيتين للشيخ جلال الدين الدِّشناوي ـ يعني أحمد بن عبد الرحمن بن محمد، عالم الصَّعيد في عصره ـ قيّد فيهما ترك التَّعب في طلب الرزق، وهو أسهلُ مِنْ إطلاق الشَّيخ.

ومنه عند قولِ الحَيْص بَيْص:

تَشَرْبِشْ أو تَقَمَّصْ أو تقبَّا ... فلن تزداد عندي قطُّ حبَّا
أخذتَ ببعضِ حُبِّك كلَّ قلبي ... فإنْ تَرُمِ الزِّيادَةَ هاتَ قَلْبا

ما نصه:

البيت الأول من الموجهة التي تحتمل المدحَ والذَّم، لكن الثاني يرشِّح بأن مُراده المدح.

[قياس ارتفاع النيل]

ومنه عند قول التقي المقريزي في «الخطط»: مِنَ المعتبر الذي جرَّبتُه

وجرَّبه قبلي مَنْ أخذتُ علمَ ذلك عنه، وأخبرني به عن مجرِّبه[1] أن ينظُر أول يوم مِنْ «مسرى»، كم بلغ النِّيلُ في زيادته مِنَ الأذرُعِ والأصابع، فَيُزَادُ على ذلك ثمانية أذرع سواء، فما بلغ، فإنه نهاية زيادة النِّيلِ في تلك السنة.

ما نصه:

هذا مِنْ أعجب ما وقع لصاحب هذا الكتاب، فإن هذه القاعدة مُنَخَرِمةٌ طرداً وعكساً؛ لأنه في سنة الغلاء، سنة ست وثمانمائة، كان في أول «مسرى» قد زاد على اثني عشر ذراعاً، ولم يكمُل تلك السنة سبعة عشر. فلو زِيدَ على الاثني عشر ثمانية، لبلغ عشرين، ولم يقع ذلك. وكان في سنة خمسَ عشرة قد أكمل سِتَّةَ عشر ذراعاً في أول يوم مِنْ «مسرى»، فلو زاد بعد ذلك ثمانية أذرُعٍ لبلغ أربعاً وعشرين ذراعاً، ولم يقع ذلك[2].

قلت: ولو تتبعتُ ما كان يقيِّده[3] بهوامش الكتب في غير فنِّ الحديث، لكانَ فوقَ الوصف، [فكيف بالحديث. هذا مما لا يمكن حصرُه.

ووراء هذا أنَّه كان يعرفُ مِنْ أين أخذ ذلك المصنِّف][4] تصنيفه أو بعضه. فقرأت بخطه ما نصه:

فصل

فيمن أخذ تصنيف غيره فادعاه لنفسه وزاد فيه قليلاً ونقص منه ولكن أكثره مذكور بلفظ الأصل.

«البحر» للروياني، أخذه مِنَ الحاوي للماوردي.

«الأحكام السلطانية» لأبي يَعْلَى، أخذها من كتاب الماوردي، لكن بناها على مذهب أحمد.

---

(١) في (ط): «مجرب».

(٢) هذه الفقرة لم ترد في (ب).

(٣) في (ب): «يفيده».

(٤) ما بين حاصرتين ساقط من (ب).

«شرح البخاري» لمحمد بن إسماعيل التَّيمي، مِنْ شرح أبي الحسن ابن بطَّال.

«شرح السُّنَّة» للبغوي، مستمدٌّ مِنْ شَرْحَي الخطَّابي على البخاري وأبي داود.

الكلام على تراجم البخاري للبدر بن جماعة، أخذه مِنْ تراجم البخاري لابن المنَيِّر باختصار.

«علوم الحديث» لابن أبي الدَّم، أخذه من «علوم الحديث» لابن الصلاح بحروفه، وزاد فيه كثيراً.

«محاسن الاصطلاح وتضمين كتاب ابن الصلاح» لشيخنا البُلقيني، كلُّ ما زاده على ابن الصلاح مستمدٌّ مِنْ «إصلاح ابن الصلاح» لمُغلْطاي.

«شرح البخاري» لشيخنا ابن الملقن، جَمَعَ النِّصفَ الأول مِنْ عدَّة شُروح. وأما النِّصف الثاني، فلم يتجاوز فيه النَّقلَ مِنْ شيخي ابن بطال وابن التِّين، يعني حتى في الفروع الفقهية، كما سمعت ذلك مِنْ صاحب الترجمة.

[طبقات الشافعية لابن الملقِّن]

وقرأت بخطه أيضاً على «ذيل لشيخه» ابن الملقن مرتَّب على الحروف، اشتمل على أزيدَ مِنْ أربعمائة نفسٍ، ذيَّل به على «طبقات الشافعية» المرتب على طباق ثلاثة، اشتملت على أزيدَ مِنْ ألفٍ ومائتي نفس له أيضاً، ما نصه:

نظرتُ هذا الكتاب مِنْ أوَّله إلى آخره، وقابلتُ التراجم جميعها[1]، على كتاب «الطبقات الوسطى»، للقاضي تاج الدين السبكي، فوجدتُ الجميع، إلا اليسيرَ ـ منقولاً منها بحرُوفها، والقدرُ اليسير الزَّائد ـ لعلَّه عشرةُ تراجم ـ لا يزيدُ على ذلك.

---

(١) في (ب): «جميعاً».

ولقد طال تعجُّبي مِنْ شيخنا فيما اعتمده مِنْ ذلك. فما كان يضُرُّه لو قال في خطبته: إنه التقطه مِنْ تصنيف مَنْ سبقه إليه. أتُراه ظنَّ أنَّ «طبقات» تاج الدين تُدْفَنُ معه في القبر فلا تظهر؟ وما جوَّزَ قطُّ أن ينقُل منها نسخةً أخرى، إن هذا لشيءٌ عجيب!

قال: ولم أقف على «طبقاته» التي هذه ذيلٌ عليها. وأظنُّها ملخَّصةً مِنَ «الطبقات الكبرى»، ومن «طبقات الإسنوي»، والعلم عند الله تعالى. انتهى.

وقد وقفت على «الطَّبقات» المشار إليها[1] بخطِّ فقيه صاحب الترجمة، الشيخ صدر الدين السَّفطي في مجلد لطيف، والمجلد الثاني ـ وهو بخطه أيضاً ـ اشتمل على «الذَّيل» الذي كتبَ عليه شيخُنا ما قدَّمتُه، وعلى «طبقات القراء» وغير ذلك مِنْ تصانيف ابن الملقن.

[الإجابة للزركشي]

وكذا قرأت بخطه ـ [أعني صاحب الترجمة][2] على «الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة» للزركشي ما نصه:

أصلُ هذا التصنيف للأستاذ الجليل أبي منصور عبد المحسن بن محمد بن علي بن طاهر البغدادي، الفقيه، المحدث، المشهور. رأيته في مجلَّدةٍ لطيفة، وجُملَةُ ما فيه مِنَ الأحاديث خمسةٌ وعشرون حديثاً. وكان الكتاب المذكور عند القاضي برهانِ الدين بن جماعة، فما أدري: هل خَفِيَ عليه وقتَ تقديم هذا له أو أعلمه به؟ نعم، لمصنف «الإجابة» حُسْنُ التَّرتيب والزِّياداتُ البيِّنَة والعَزْوُ إلى التصانيف الكبار، والأول ـ على عادة مَنْ تقدم ـ يقتصر على سَوْقِ الأحاديث بأسانيده إلى شيوخه. وجُمْلَةُ مَنْ أخرج ذلك عنه مِنْ شيوخه نحوٌ مِنْ ثلاثين شيخاً مِنْ شيوخ بغداد، ومصر وغيرهما، ولا يعزو التَّخريج إلى أحد.

---

(١) في (أ، ح): «الكتاب المشار إليه».

(٢) ما بين حاصرتين لم يرد في (ب).

وقد نقل هذا المصنِّفُ عن أبي منصور في هذا الكتاب، فعُلِمَ أنَّه وقف عليه، وكان ينبغي له أن ينبِّهَ على ذلك. وهذا التَّصنيفُ القديمُ أخبرنا به غيرُ واحدٍ مِنْ شيوخنا إجازةً عن عبد القادر بن أبي البركات بن القريشة، أخبرنا المُسلَّمُ بن علاَّن سماعاً، عن الخُشوعي، عن أبي عبد الله الحسين بن محمد بن خسرو، أخبرنا المصنِّف سماعاً[1].

[قلت: وأبو منصور هذا، ليس هو مصنِّفُ الأصل، بل هو شيخُه، والمصنِّفُ إنما هو الأستاذ أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، وقد وقفت[2] على النُّسخة التي أشار إليها شيخُنا، فسبحان من لا يسهو][3].

[شرح العمدة للبرماوي]

وقرأت بخطه أيضاً على نسخة من «شرح العمدة» للبرماوي ما نصه: يقول الفقير أحمد بن علي الشافعي: إنَّ هذا الكتاب مشى فيه الشيخُ شمس الدين، عفا الله تعالى عنه، على شرح شيخنا الشيخ سراج الدين ابن الملقن من أوله[4] إلى آخره، ينتخب فوائده، ويحصل مقاصده. وربما لم يزد فيه إلا الشيء اليسير، بحيث لو تصدَّى حاذِقٌ إلى انتزاع ما زاده، لم يزد على كُرَّاسٍ أو كُرَّاسين. ولو تصدَّى لتتبع ما حذفه مِنْ شرح شيخنا مِنَ الفوائد التي تُضاهي ما انتخبه، لكان قَدْرَ ما كتبه. ولو كان تجرَّد لعمل نُكَتٍ على كتاب شيخنا تحريراً واستدراكاً ونحو ذلك، لكان أظهرَ لبيان فضيلته، وقوة نفسه[5] مع السلامة مِنَ الإغارة على كلام شيخه، مِنْ غيرِ أن ينسُبه إليه،

---

(١) في هامش (ط) ما نصه: قلت: وللزركشي أيضاً جزء سماه «زهر العريش في تحريم الحشيش»، وهو مسبوق به، ففي كتب أوقاف المحمودية «زهر العريش في تحريم الحشيش»، لمحمد بن عبد الملك الشاطبي. انتهى بخطه.

(٢) في (أ): «وقعت».

(٣) ما بين حاصرتين لم يرد في (ب).

(٤) «من أوله» ساقطة من (ب).

(٥) في (أ): «تفنُّنه».

فليس ذلك مِنْ شكر العلم، والله المستعان.

[شرح البخاري للعيني]

وقرأتُ بخطه أيضاً: «شرح البخاري» لبدر الدين العيني. أخذه من «فتح الباري» لابن حجر، ونقص منه وزاد فيه قليلاً، ولكن أكثرَهُ يسوقُه بحروفه، الورقةَ والورقتين وأقلَّ وأكثر، أو يعترض عليه اعتراضاتٍ واهية[1].

قلت: وقد بيَّنها صاحبُ الترجمة في مصنَّفه «انتقاض الاعتراض»، رحمهم الله أجمعين.

[مصنفات المقريزي]

وقرأت بخطه أيضاً في ترجمة الأديب المؤرخ الشهاب أحمد بن الحسن بن عبد الله بن طوغان الأوحدي ما نصه: اعتنى بعمل خُطط القاهرة، ومات عنه مسوَّدة، فبيَّضه الشيخ تقي الدين المقريزي.

قلت: وكذا عَمل في «تاريخ مصر» للقطب الحلبي، فإنَّه لم يبيض منه غيرَ المحمدين وبعض الهمزة، فأخذ المسوَّدة بتمامها، ولخَّص تراجمها، ولم ينسُب له ـ فيما رأيتُ ـ ولا الترجمة الواحدة.

[قوة الاستحضار حال القراءة والدَّرس]

وكان رحمه الله، لسعة حفظه ووفور استحضاره، لا يمتنع مِنْ كتابة الفتاوى، بل والتَّصنيف وغيره في حالة الإسماع، كما أشير لشيء مِنْ ذلك في الباب الثاني. ويَرِدُ مع ذلك على القارىء السَّقطَ في السَّند، والتحريفَ فيه، وفي المتن، وأمرُهُ في ذلك أجلُّ مِنْ أن يذكر.

ولقد حكى لي قاضي القضاة البدر ابن التَّنَسي المالكي رحمه الله تعالى، قال: كنت آتيه للقراءة عليه، فلا أراه يترُكُ الكتابة حين قراءتي، فعل

---

(١) في (أ): «وتعرض عليه اعتراضات».

ذلك معي مراراً. فقلت في نفسي: أنا أجيءُ مِنَ المكان البعيد، وهو لا يعبأ بي، فعسى أن يحصُل خللٌ أو تحريفٌ، وصِرْتُ في ألَم بذلك. فأضمرتُ في نفسي يوماً أنَّني أتعمَّدُ إسقاط شيءٍ أمتحنُه به، ففعلتُ ذلك. فبمجرَّدِ أنْ مررتُ فيه، رفع رأسه وقال: أعِدْ، فأعدت القراءة على الصَّواب، فأطرق[1]، وعلمت أنه غيرُ غافلٍ عني.

قلت: ورأينا منه العجب في ذلك.

وقد قال الخطيب في «تاريخ بغداد»: حدثني الأزهري، قال: بلغني أنَّ الدارقطني حضر في حداثته مجلس إسماعيل الصَّفار، فجلس ينسخُ جزءاً، والصَّفار يُملي، فقال له رجل: لا يصِحُّ سماعُك وأنت تنسخُ. فقال الدارقطني: فهمي للإملاء خلافُ فَهْمِك. تحفظ كم أملى الشيخ؟ فقال: لا. قال: أملى ثمانية عشر حديثاً، الحديث الأول: عن فلان عن فلان، ومتنه كذا. والحديث الثاني: عن فلان عن فلان، ومتنه كذا. ثم مرَّ في ذلك حتى أتى[2] على الأحاديث، فتعجب النَّاس منه، أو كما قال.

وحكى العماد ابن كثير عن شيخه المِزِّيِّ أنَّه كان يكتُب في مجلس السماع ويَنْعَس في بعض الأحيان، ويرُدُّ على القارىء رداً جيداً بيِّناً واضحاً، بحيث يتعجَّبُ القارىءُ ومَنْ حضر.

وحكى ذلك الذهبيُّ أيضاً في ترجمته مِنَ «الحفَّاظ» فقال: وكان يطالع وينقُل الطِّباقَ إذا حدَّث، وهو في ذلك لا يكادُ يخفى عليه شيءٌ ممَّا يقرأ، بل يَرُدُّ في المتن والإسناد رداً مفيداً، يتعجَّبُ منه فُضلاءُ الجماعة.

قلت: وهكذا كان صاحبُ الترجمة كما تقدم، بل ربما قُرىء عليه بعد العشاء وهو ناعس، فيرُد أيضاً، وإن لم يكن أهلُ الحديث يتركونه يتمادى في النُّعاس.

ومن أظرف ما رأيتُه في ذلك: أنَّ بعضَ طلبته مِنْ أصحابنا رآه مُطْرِقَ

---

(١) «فأطرق» ساقطة من (ب).

(٢) في (أ): «مرَّ».

الرَّأس، فتوهم أنَّه ناعسٌ، فأخذ يضربُ الأرض بمفتاحه مرَّةً بعد أخرى، وأكثرَ مِنْ ذلك، وصاحبُ الترجمة ينظرهُ، وهو يبالغ في ذلك، ولا يرفَعُ رأسه، إلى أن زاد، فعند ذلك قال له: يا أخي، ما مِنْ ضربةٍ إلا وأنا أراها بعيني، أو كما قال. وهذا لسَعَةِ حلمه وعلمه بأحوال الطَّلبة.

وممن بلَّغني عنه مِنَ المتأخرين أنَّه كان يقرِّر «شرح الألفية» لابن المصنِّف وهو ناعسٌ، لشدة إتقانه للفن، الشَّيخُ العارف بالله تعالى شمس الدين البوصيري، كما أخبرني بذلك تلميذُه شيخُ المذهب الحنبلي العزُّ العسقلاني.

وقد قال الرافعي رحمه الله في «أماليه»: كان أبو الحسن الطالقاني شيخُنا ربما قُرِئَ عليه الحديثُ وهو يصلِّي، ويصغي إلى ما يقول القارىء، وينبِّهُه إذا زلَّ، يعني بالإشارة. انتهى.

وكذا حُكي عن الدَّارقطني، قال الصُّوري: سمعتُ رجاء بن محمد يقول: كُنَّا عند الدارقطني وهو يصلي، فقرأ القارىء «نسير بن ذعلوق» فغيَّره «يسير» فسبَّح الدارقطني، فقال القارىء: «بشير» فتلا الدارقطني: ﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ﴾.

وحكى حمزةُ نحوها، لكن قال: إنَّ القارىء قرأ عمرو بن سعيد، فسبَّح الدارقطني، [فوقف القارىء][1]، فقرأ الدارقطني: ﴿يَنشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ﴾.

قلت: والنَّاس في ذلك متفاوتون، وأعلاهم رُتبة ما يُعزى لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، أنَّه أصيب بسهم في بعض الحُروب، فجذب السَّهمَ، وبقي النَّصلُ في عُضوه، فقيل له: إنْ لم يخرج العضو لا يمكن إخراجُ النَّصلِ، ويُخاف مِنْ إيذائك، فقال لهم: إذا اشتغلتُ بالصلاة فاستخرجوه[2]، ففعلوا ذلك، ولم يشعر به. فإنَّه لمَّا فرغ مِنْ صلاته، قال:

---

(١) ساقطة من (أ).

(٢) في (أ): «فأخرجوه».

لِمَ لَمْ تستخرجوا[1] النَّصل؟ فقالوا: قد فعلنا.

ونحوه ما حُكِيَ عن عُروة بن الزبير رضي الله عنهما، أنَّه حصلت له أَكِلَةٌ، فأشير بقطع العُضو. وفُعِلَ ذلك وهو في الصَّلاة، فما تضوَّر وجهُه، وهذا لشدة الخشوع.

إذا عُلِمَ هذا، فلم يكن صاحبُ الترجمة بالمتشدِّد في الإسماع، بل كان ـ كما حكاها ابن كثير عن المِزِّي ـ يحضرُ عنده مَنْ يفهم ومَنْ لا يفهم. والبعيدُ مِنَ القارىء، والنّاعس والمتحدِّث، والصبيان الذين لا يضبط أحدهم، بل يلعبون[2] غالباً، ولا يشتغلون بمجرَّد السماع، ويكتب للكلِّ بحضور المِزِّي السماع.

ثمَّ قال ابنُ كثير: وبلغني عَنِ القاضي التَّقيِّ سليمان بن حمزة، أنَّه زُجر في مجلسه الصِّبيان عَنِ اللَّعب، فقال: لا تزجرُوهم، فإنَّا إنَّما سمعنا مثلهم.

وكفى بهذين الإمامين[3] سلفاً، بل فعلُه هو حجة لغيره.

ولو تتبعت مَنْ جرى مجراهم في ذلك، لخرجتُ عن المقصود، لا سيما وقد أوضحتُ المسألة في «حاشية الألفية وشرحها»، والله الموفق.

وقد سُئِلَ عمَّن يحضُر مجلسَ الحديث ممَّن لا يفهم العربي، أيكتُب له حضورٌ أو سماع؟ فقال: سماع.

ومِنْ سَعَةِ حفظه: أنَّه حضر ليلةً مِنْ ليالي رمضان بجانب الحاكم للصَّلاة خلف ابن الكُويز، إذ صلى للناس التراويح عقب ختمه القرآن على جاري عادة الأولاد. فجلس بجانب المحراب ينتظر مجيء المذكور، وكان الشيخُ شهابُ الدين بن أسد يقرأ في «الترغيب والترهيب» للمنذري للجماعة الحاضرين إلى أذان العشاء. فلمَّا انتهت القراءةُ ثمَّ الصلاة، ومشى القارىءُ

---

(١) في (أ): «تُخرجوا».

(٢) في (أ): «لا ينضبط أحدهم بل يلقنون».

(٣) في (أ): «بهذا الإمام».

المذكور في خدمته مع الجماعة. قال له شيخنا: يا شيخ شهاب الدين، سقط مِنْ نسختك حديثُ كذا، حديث كذا. فقال: والله يا مولانا شيخ الإسلام، بل حذفتُ ذلك عمداً، لعدم إتقاني للفظهما[1] الساعة، وما تيسَّر لي قبلَ المجيء تحريرُهما فسكت.

حكى لي ذلك الشيخ شهاب الدين الحجازي، واستغرب ذلك، والأمرُ وراء هذا:

نزلوا بمكة في قبائل نَوْفَلٍ ونزلت بالبيداء أبعدَ منزلِ

رحمه الله وإيانا.

(١) في (ب): «لحفظهما».

obeikandl.com

الأشعار

المنظومة في مدح الحافظ ابن حجر

obeikandl.com

obeikandl.com

فصل

وقد رأيت أن أُلحِقَ بهذا الباب نُبذةً مما امتُدِحَ صاحبُ التَّرجمة به، لمقاربة شبهه بالباب في الجملة، مرتباً له على حُروف المعجم في أسماء المادحين، وما أحقَّه بالقول لهم:

وإنَّا ومن يُهدي القصائد نحونا ... كمُسْتَبْضعٍ تَمراً إلى أرض خَيبرَا

وفي المعنى أيضاً غير ذلك. فأحفظُ آخِرَ مقطوع آخَرَ.

كمبضع تمراً إلى هجر

[برهان الدين المليجي]

فمنهم: الخطيب الأديب برهان الدين إبراهيم بن أحمد المليجي، وله فيه مدائح كثيرة، منها ما أنشده بحضرة صاحب الترجمة وجماعة بالمدرسة المنكوتمرية عقب ختم «فتح الباري»، فقال [فيما أنشدنيه لفظاً][1].

كم نعمة قاضي القضاة أنَالَها ... ويقولُ إن دنت الخطوب: أنَا لَهَا

وهو الإمامُ وشيخُ الاسلام الَّذي ... لمَّا تقاصَرَتِ العُلومُ أطالَها

«شرحُ البخاري» آيةٌ وَافَى بها ... فتحٌ مِنَ الباري أطابَ مَقالَها

---

(١) ما بين حاصرتين لم يرد في (ب). وقد أشار المصنف إلى هذه القصيدة في ترجمة المليجي من الضوء اللامع ١/٢١، فقال: وهو أحد من امتدح شيخنا في ختم «فتح الباري» بما أودعته في «الجواهر».

وشِهابُها فضَح الدَّرَارِي جهرةً ... فينا وأخْفَى بدرَها وهلالَها

هو حافظُ العصر الذي في مِصْرِه ... أهلُ النُّهى ضربت به أمثالَها

شهدت له أنْ لا سواهُ مُعْلِناً ... إيضاحَها ومُبَيِّناً إشكالَها

وجلاَ لها كلماته اللاَّئي هي السَّـ ... ـببُ المبِينُ حرامَها وحَلالَها

وَسَعتْ إليه لاكتساب فضيلةٍ ... أفْضى لها فتحقَّقُوا أفضالَها

من[1] رام يحصُر فضلَ ما أوتِيْهِ مِنْ ... غُرَرِ الهبات مفصِّلاً إجمالَها

أعياه حصراً بعضُها وبحقِّه ... آلى وأقسَمَ لا يَرى أمثالَها

كم عَبرةٍ هَمَلت بمجلس ذكرِه ... ونفوس قومٍ تشتكي إهمالَها

فأنالَهُم حُسنَ الرّجاء مقالُهُ ... ونفوسُهم حَمِدت لديه مآلَها

خفضت مناقِبَ أحنفِ أخلاقُه ... كم عَثْرةٍ رُفعت إليه أقَالَها

وعَنِ الجُفَاة الحِلْمُ منه عادةٌ ... دهراً يرى أفعالَها أفْعَى لَها

أعيانُ مملكةِ المليكِ ومَنْ بِهِ ... دفَعَ الإلهُ عن الوَرَى أثقالَها

الظاهر الحُسْن[2] الَّذي مِنْ عدلِه ... عنهم أكُفَّ المعتدين أزالها

منحتْهُ صدق مَودَّةٍ ومحبَّة ... ونفوسها وقفت عليه ملالَها

تالله ما هذا سُدًى لكنها ... مِنَنٌ أرادَ الله فيه كمالَها

يا سيداً منح العُفاة نَوالَه ... ومَحَا بَهذْيِ المَكْرُمات ضَلاَلَها

أنت الوفيُّ بهمَّةٍ في أُمَّةٍ ... رُكناً عظيماً ماحياً ما اغتالَها

أبدالُها بسَطَتْ أكفَّ دعائها ... لله تشكر فضل ما أبْدى لَها

مِنْ سيرةٍ أتممتها بسريرةٍ ... لما رفَعْتَ عَنِ الرّدى أفْعَالَها

يا حاوياً منهاج فضلٍ دُوْنا ... بكفاية جمعت لديه خصالَها

---

(١) في (أ): «كم».

(٢) في (ب، ط): «الطاهر الحَسَن».

يـا واحـداً يُـمـلـي ارتـجـالاً دِيـمـةً ... مـنـه أحـاديـثَ الـهُـدى ورجـالَـهـا
إهـنـأ بـيـومٍ حـازَ أسـبـابَ الـهـنـا ... وتـحـقَّـقـت بـقـدُومـه إقـبـالَـهـا
فـتـحٌ مِـنَ الـبـاري فَـمِـسْـكُ خـتـامـه ... بـلـغَـت بـه كـلُّ الـورَى آمـالَـهـا
يـومٌ هـو الـمـشـهـودُ فـي الأيـام قـد ... بـسَـطـت يَـدَا جَـدواك فـيـه نَـوالَـهـا
أبـداً فـيـالـك مِـنْ كـريـمٍ مـحـسـنٍ ... صـدقـاتُـه يـحـكـي الـسَّـحـابُ وبـالَـهـا
كـمُـلَ الـسُّـرور بـسـادةٍ مـنـحـوا الـورى ... بـالـحَـلِّ والـعـقـدِ الـسَّـعـيـد ظـلالَـهـا
هـم زيـنـةُ الـدُّنـيـا وزهـرةُ أهـلِـهـا ... قـد أذهـبـت آراؤُهـم أهـوالَـهـا
لـمـا رأوا خَـتْـمَ الـكـتـاب تـمـسَّـكـوا ... بـمـقـالـةٍ أوسَـعْـتَ فـيـه مـجـالَـهـا
شـرحٌ بـه كُـتـبُ الـحـديـث تـألَّـفـت ... فـهـو الـجـديـدُ وغـيـرُه مـا نـالَـهـا
خُـذهـا عـروسـاً قـد زَهَـتْ فـي لـيـلـةٍ ... وافَـتْـكَ تـسـحَـبُ فـي الـهـنـا أذيـالَـهـا
شـهِـدَتْ بـأنَّـك كُـفـءُ كـلِّ كـريـمـةٍ ... فـاجـعـلْ قَـبُـولَ الـمـدح مـنـك وِصَـالَـهـا
فـالـمـلـتـجـي بـك لا يـخـيـبُ جـنـاسُـه الْـ ... ـخَـطِّـيْ إذا رَهِـبَ الـهـمـوم وَهَـالَـهـا
لا زلـت فـي دَعَـةٍ بـأوفـى نـعـمـةٍ ... الله يـحـفـظـهـا ويُـنْـعِـمُ بـالَـهَـا

[الجُحافي]

ومنهم: إبراهيم بن إسماعيل الجُحافي التَّعِزيّ، هنأه بالسلامة إذ قدم عليه بلدَه في المرة الأولى، بقصيدة ستأتي في المطارحات من الباب السادس، لأن صاحب الترجمة أجابه عنها.

[ابن قوقب]

ومنهم: الشيخ برهان الدين إبراهيم بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد الأنصاري الخليلي، عرف بابن قوقب[1]، امتدحه بقوله:

(١) في الأصول: «قيقب»، والمثبت من الضوء اللامع للمصنف ٥٦/١.

إذا قيل: مَن بحرُ الحديث وأهلُهُ ... يُجيب ذوو الألباب بالحَبْر أحمدَا
إليه تَناهَى علمُ وحيٍ منزَّلٍ ... على المصطفى للعلمِ أضحى مؤيَّدَا
وجمَّع بالتَّصنيف أسبابَ علمه ... وأظهرَ ما لولاه قد كان خامدَا
فأسدى بها للفكر أجلى[1] نخبة ... حَوَتْ حُسْنَ لفظٍ بانَ عِقْداً منضَّدَا
ووطَّا طريقَ العلمِ حتَّى ترفَّعت ... دُروسٌ له شرقاً وغرباً مُشاهدَا
فديتُك نفسي إذْ جَمَعْتَ مناقباً ... بمشيك في نهجِ حميدٍ لأحمدَا
فيا ربِّ بَوِّئْهُ وزِدْهُ معالياً ... وَهَيِّىءْ له فَوْزاً لعَرضٍ مخلَّدَا

[برهان الدِّين البقاعي]

ومنهم: [الشيخ أبو الحسن][2] إبراهيم بن عمر البقاعي صاحب السُّؤال المنظوم الآتي في الباب السادس. والمرثية المذكورة في بابها. وله فيه أيضاً مدائحُ كثيرةٌ، منها ما أُنشد يوم ختم «فتح الباري» بالتاج، فقال:

إنْ كنتَ لا تصبو لوصف عِذاري ... دَعْ عنك تهيامي وخلع عِذَاري
إن الغرام له رجالٌ دينُهم ... تلَفُ النفوس على هوى الأقمارِ
خاضُوا بِحَارَ العشق وقتَ هيَاجِهَا ... إذ موجُها كالجَحْفَل الجرَّارِ
فاستوسقوا دُرراً تَجِلُّ نعُوتُها ... صاروا بها في العاشقين دَرَارِي
لله أيامُ الوصالِ وطيبُها ... لو لم تَكُنْ ككواكبِ الأسْحارِ
ليلاتِ أرتشفُ الرحيقَ مِنَ الثُّغو ... ر فأنتشي مِنْ دون شُرب عقارِ
وأُدير في رَوْضِ الوُجوه مَحَاجِري ... عجباً فيُغْنيني عَن الأنوارِ
بأبي الخدودُ نواضراً حسناتُها ... كنواظرِ الغزلان في الدِّيناِر
قَصدَتْ يَكونُ المسكُ حُسْنَ ختامها ... فتعلَّمت مِنْ خَتْمِ «فتح الباري»

---

(١) في (ب): «أجمل».

(٢) ما بين حاصرتين لم يرد في (أ) وحذفت من (ح).

شرحُ البخاريِّ الذي في ضِمْنه ... نُظِمَتْ علومُ الشرع مثلَ بحارِ
في كل طِرسٍ منه روضٌ مُزهرٌ ... وبكلِّ سَطْرٍ منه نهرٌ جارِي
قد حُرِّرت فيه مباحثُ مَنْ مضى ... وكلامُهم أضحى بغير غُبارِ
وبه زوائدُ مِنْ فوائدَ جمَّةٍ ... وفرائدٌ أعيت على النُّظارِ
شَرَحَ الحديثَ به فكم مِنْ مُشكلٍ ... فيه انجلَى للعينِ بالآثارِ
يأتي إلى طُرقِ الحديث يضُمُّها ... فإذا العِيَان مصدِّقُ الإخبارِ
سارت به لمشارقٍ ومغاربٍ ... نُسَخٌ غَدَتْ تُتْلَى على الأخيارِ
وتَزَاحَمَتْ ـ أفديه ـ في تحصيله ... زُمَرُ الملوكِ فَسَلْ مِنَ السُّفَّارِ
مِنْ فيض أحمدَ نَبْعُه وله مُنَا ... سَبةٌ به ابتسمت لذي الأفكارِ
إن قلتَ نهرٌ فهو للحَجَر انتمى[1] ... ومِنَ الحجارةِ مَنبعُ الأنهارِ
أو قلتَ بحر فعسقلانُ أصلُه ... والناسُ عالةٌ بحرِها الزَّخارِ
يا شيخَ الاسلام الجليلُ مقامُهُ ... فالغَيرُ لا يدنُو مِنَ الآثارِ
كم قد رحلتَ وقد جمعتَ مصنَّفا ... فالدِّينَ قد أحييت بالأسفارِ
وسكنتَ في العليا تُقَى وفضائلاً ... أنتَ الشِّهابُ بك اهتداءُ السَّاري
رحَلَتْ إليك الطالبون ليقتدوا ... وتتابعوا سُبقاً مِنَ الأقطارِ
وتراكضوا خيلَ الشبيبة[2] حين لم ... توكس بوهْنٍ أو بوصف عَوارِي
فارقْتُ في أرضٍ[3] البقاع عشائري ... أطوي إليك فيافياً وصحارِي
فارقتُ منهم كلَّ أروعَ ماجدٍ ... حامي الذِّمارِ بسيفه والجارِ
فمصنَّفاتُك سهَّلت وتنزَّهت ... مِنْ طاعنٍ يرجو قذًى أو عارِ

---

(١) في (ب، ط): «انتهى».

(٢) في (ط): «الشهابة»، وكذا هي في «مختصر الجواهر» للسفيري.

(٣) «في أرض» ساقطة من (أ).

تربو على مائة ونصفٍ أُودِعَتْ ... دُرراً تضيءُ اللَّيلَ وقت سَرارِ
وتضوعُ بالمسك الذَّكيِّ لناشقٍ ... حُسناً فتخجل إذ تضوع دَرَارِي
ماذا أقولُ، فلو أطلتُ مدائحي ... وجعلتُ أهلَ الأرضِ مِنْ أنصاري
لم تبلغ المقصودَ مِنَ أوصافكم ... كلاَّ ولم تقرب مِنَ المعشارِ
فاسْلم على كرِّ الليالي راقياً ... رُتَب العُلا تَهْنَا بفتح البارِي

ومنها ما امتدحه به لمَّا سافر مع الأشرف برسباي إلى آمِد، فقال:

ما كان ضرَّ أحبَّتي لو واصلُوا ... ما بالُهم قصدُوا الرَّحيلَ وعاجَلُوا
ماذا عليهم لو أقاموا عندَنا ... فلقد أضَرَّ بنا الرَّحيلُ الحاصلُ
يا ليت شعري كيف أضحَوْا بَعْدنا ... في حبِّهم؛ هل ثابتٌ أو زائلُ
أحبابَنَا أرَضِيتُمُ تَفْرِيقنا ... أو كان منكم زلَّةٌ فنحاللُ
أنسيتُم ذاك الزَّمان وبيننا ... تلك المُنادَمة التي تُتَناولُ
سرٌ مصونٌ في حديثٍ طيِّبٍ ... في كلِّ شيءٍ نصطفيه واصلُ
أيامَ لا نخشى الرَّقيبَ وشملُنا ... متجمِّعٌ والدَّهرُ عنا غافلُ
أيامُنا أصْفَتْ لنا كاساتِها ... وصروفُها عن ربعنا تَتَّاقَلُ[1]
هاتيكَ أوقاتُ الصَّبابة والصِّبا ... فعلى حِمَاها يُستهلُّ الهاطلُ
أوقاتُنا محفوفةٌ بجمالِكم ... واليومَ هذا الرَّبعُ منكم عاطلُ
تلك اللَّيالي لا ليالِيَ ذكركُمْ ... أمْرَ الفراقِ وحينَ أزمعَ راحلُ
يا ليتهم ذكروا لنا لرحيلهم ... سبباً فيبقى أو يطيحُ الباطلُ
يا ليتهم وقْتَ الفراق تقلَّدوا ... عهدَ الوِداد ليطمئنَّ الوَاجلُ
يا ليتهم إذ جدَّ جِدُّ رحيلِهم ... وقفوا زماناً يستقيلُ القائلُ
يا ليتهم والبعدُ مِنْ عاداتهم ... أسِفُوا لنا إذ فاتَ دمعٌ سائلُ

(١) في «المختصر»: «تتثاقل»، وفي (أ): «تتأقل».

يا ليتهم وجرى القضاءُ بُبعدِهم ... ذكروا وداعاً وقت ما إن زايَلُوا
يا لوعةَ القلبِ المبرَّحِ عندما ... سَارت بهم وقت العشاء[1] رواحلُ
في عسكر الملك المعظَّم قدرُه ... الأشرفِ المسعودِ فيما يامَلُ
جيشٌ تَجَلَّلُه الوقارُ لأنه ... بملائكِ الله الكرامِ يناضلُ
ترنُو إليه في الظلام وقد بَدَتْ ... منه نجومٌ للسماء تقاتلُ
بأسنَّة قد جوَّدَت صقَّالُها ... فكأنها لهبٌ غدا يتطاولُ
الله أكبرُ ليس هُم إلا الأسُو ... دُ وما الأسودُ إذ لَقُوا أو نازلُوا
كرُمُوا وسادوا في الورى لكنَّهم ... ما زَيْنُهم إلا الشَّهابُ الكاملُ
قاضي القُضاة وشيخُ الاسلام الذي ... ما شأنه إلا النَّدى المتواصلُ
في ذلك الحِلْمِ[2] الذي عمَّ الورى ... يا حبذا الحلمُ[3] الغزير الشاملُ
في كلِّ وصفٍ يرتضيه محسنٌ ... في كلِّ رأي يصطفيه عاقلُ
مع أنَّه قد فاقَ أهلَ الأرض في ... عِلمِ الشَّريعة كم[4] تقوم دلائلُ
عِلم الكتاب وعِلم سنَّة أحمدٍ ... هل غير ذا إلا[5] الضَّلالُ الباطلُ
فالله يُبقيهُ لدين محمدٍ ... ما دام بحرٌ أو سحابٌ هاطلُ
وله جميعُ المَكْرُمات وحسْبُه ... ربُّ البريَّة وهو نِعْمَ الكافلُ

[ابن نصر الله العسقلاني]

ومنهم: شيخ المذهب الحنبلي، العلاَّمة العز أبو البركات أحمد بن إبراهيم بن نصر الله العسقلاني، فأنشدني مِنْ لفظه في «ذيله على منظومة ابن

---

(١) في (ب): «العشي».
(٢) في (أ): «العلم».
(٣) في (ط): «العلم».
(٤) «كم» ساقطة من (ب).
(٥) «إلا» ساقطة من (ب).

دانيال في القُضاة» قوله الذي حذفه صاحبُ الترجمة مِنْ «قضاة مصر» ـ كما أسلفناه ـ عمداً:

عينُ الوجود ثُمَّ رأسُ الحُنَفا ... ومَنْ به منصبه تشرَّفا
كم قلَّد الأعناقَ مِنَّا مِنَّهْ ... واكتسب القلب الضعيف مُنَّهْ
وواصل الإجداء في الإجدابِ ... واستعمل الإغضاء في الإغضابِ
دام عُلاه في سما السُّعودِ ... ما أمطرت بوارِقُ الرُّعودِ

[ابن أبي السعود]

ومنهم: الإمام شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أبي السُّعود المنوفي. وله فيه عدة مدائح، منها ما قرأته بخطه يذكره بقصيد سبق امتداحه به، فقال:

أحَبْرُ علمُه بَحْرٌ خِضمٌّ ... يفوهُ بأنفس الدُّرِّ المصُونِ
ومن هو[1] بالثَّنا روضٌ أريجٌ ... زها مِنْ غيث كَفَّيه الهَتُونِ
ومَنْ أضحى حديثُ عطاه يُروى ... بعينٍ مِنْ محابره ونُونِ
وإن هزَّ اليراعَ حَسِبْتَ سُمراً ... ولم أر في الحواسد[2] مِنْ طعينِ
شمائلك اللَّطيفة علَّمتني ... فمهما رُمتُ مدحك فهي عوني
تعرّف بالثناء غريب مدحي ... فسار مع النسيم لكل كونِ
أيا ملكاً لدى الطلاب تُجنَى ... له الثمراتُ مِنْ علم ودينِ
قَصيدتي التي خدمت وجاءت ... وحاشا أن تُقابلَها بهُونِ
توارث منكمُ خَجلاً فأضحت ... مِنَ الإعراض تُرْمَى بالظُّنونِ
أذاعوا أنها تُركت فضاعت ... فقلت: الزَّهرُ في وَرَقِ الغصونِ

---

(١) في (أ): «به».

(٢) في (أ): «الخوامس».

وكيف تَراكَ يا طَلْقَ المحيَّا ... وترجِعُ وهي هامية الجُفونِ
وقد حاكت بأسطرها طُروزاً ... على حُلَل الفضائل والفنونِ
عجبتُ لها وقد وافت كريماً ... فلم تُقْرَ وباتت في عُيونِ
عساك تُرَدِّدُ الألحاظَ فيها ... فإنّ الروض يزهى بالعيونِ
فعش أبداً هنيَّ الوِرد حتى ... ترى الأعداء في حوض المَنُونِ

ومنها: ما أنشده الواعظ عبد القادر مِنْ نظم الشيخ المذكور بحضوره يوم ختم «شرح البخاري» بالتاج، فقال:

تمتَّعَتْ بدموع الصبِّ في حُجبِ ... فانظر لشمس الضُّحى في حلَّة السُّحبِ
حلَّت بقلبي المعنَّى وهي[1] جنته ... يا مَنْ يرى جنَّةَ الرِّضوان في لَهبِ
أشكو سُهادي ودمعي وهي لاهيةٌ ... فالثَّغْرُ يضحك والأصداغ في لعبِ
يا مَنْ رَنَتْ وانثنت طوعَ الصِّبا هيَفاً ... تفديك رُوحُ قتيلِ القَضْب والقُضُبِ
الله في مهجةٍ لولاك ما رَهِبَت ... سُودَ الجفون وحدَّ السَّيفِ لم تَهَبِ
فيا رعى الله أعطافاً بنا فتكت ... وهُنَّ مِنْ نسمات الرَّوض في رهبِ
والله يعفو عَنِ الألحاظ كم قتلت ... بسحرها مِنْ كليمِ القلب مكتئبِ
فمَنْ يبلِّغ ذَاتَ الحُسن أن دَمِي ... حِلٌّ لها ولقتلي فيه واطَرَبِي
يا ربِّ لا تَجْزِ عينيها بما فعلت ... في مُهجتي مِنْ فظيعِ الفتك والعَطَبِ
واحفظ على حُسنها خدًّا أضاع دمي ... وراح يُومي بكفٍّ منه مختضبِ
واجعل سُويداء قلبي في صحيفته ... يا ربِّ من حسنات القُرْب والقُرَبِ
وحالِلِ الجفنَ مِنْ روحٍ به قتلت ... فليس عند الهوى قتلي بمحتَسَبِ
وفي سبيل البُكَا ليلٌ أكابِدُه ... يا فَجرَ قلبي وفجْري غيرُ مُقْتربِ
لم أدْرِ أنَّ كؤوس الدمع تُسهرني ... حتى رأيت مُحيَّا النَّجْمِ كالحَبَبِ

---

(١) في (أ، ح): «وهو».

يا من أطالت على يوم اللِّقا أسفِي ... هلاً جعلتِ لهذا الهجر مِنْ سببِ
لا تسألي عن دموعٍ فيكِ سائلةٍ ... وقلبِ صبٍ لصبرٍ غير منقلبِ
في ذمة البين ليلٌ بات يجمعُنا ... والنجمُ يلحظنا شَزْرًا كمرتَقِبِ
والثغرُ يرفع أذيالَ الدُّجى عبثاً ... والشَّعر يخفي مُحيَّا الصُّبْحِ في نَقبِ
وبعد رشْفِ الثَّنايا رحتُ ملتثماً ... خالاً وكانَ ختامُ المسكِ مُطَّلَبِي
فجاء حسنُ ختامٍ منه يُسْنِدُ عن ... قاضي القضاة ختامِ العلمِ والأدبِ
حَبْرِ الهدى حافظ الإسلام أحمد مَنْ ... له من «الفتح» ذكرى فتحِ خيرِ نبِي
يا عالمَاً شرَحَ اللّهُ الصدورَ به ... وباسطُ العلم والآمال للطَّلبِ
شرحت صدر البخاري مِثلَ «جامعه» ... فراح ينشدُ: هَذا مُنتهَى الطَّلبِ
هذا المنارُ الذي للعلمِ مرتفعٌ ... الله أكبرُ كلُّ الفضل في العَربِ
فحبَّذا جامعٌ بالشَّرحِ صار له ... وقفاً كبحرٍ جرى باقٍ مدى الحِقَبِ
أضاء فيه مصابيحٌ مسلسلة ... مِنَ الأحاديث أو مِنْ لفظِك الضَّربِ
شرحٌ حكى الشَّمسَ فالدُّنيا به امتلأت ... تَغِيب زَهْرُ الدَّراري وهو لم يَغِبِ
فلا تحرّك لساناً يا سراجُ، فقد ... لاح النَّهارُ وهَذِي الشَّمسُ فاحتجِبِ
نسيج وحدٍ يقول ابن المنيِّر: ما ... حاكت يدايَ له مثلاً فيا بأبي
والزركشيُّ البدرُ لما أن تكلَّف لم ... يَصِلْ إلى ذلك المنوالِ بالذهبِ
وقد غدا لابن بطَّالٍ به شغلٌ ... لمَّا رأى منه ما أربى على الأرَبِ
وباتَ في روضةِ ابن التِّين مرتشفاً ... كأساً مِنَ الذوق تُزْري بابنةِ العنبِ
فلم يَحُزْ مسلمٌ ما حُزْتَ مِنْ شرفٍ ... يا أحمدَ النَّاس في علمٍ وفي نسبِ
هذا ـ وحقِّكَ ـ عامُ الفتحِ حجَّ به ... لِبَيْتِ فضلك وفدُ العلم عَنْ رَغَبِ
فيه بدا الظَّاهِرُ السُّلطانُ واستترت ... أعداؤه بذيول الأرضِ في حُجبِ
تبًّا لهم والقَنَا يهتزُّ في يدهم ... رُعباً وإن نسلت رُدَّتْ على العَقِبِ
فجاءهُ الفتح نصراً بالسُّيوف وقد ... تبَّت يدا خصمِه حمالةَ الحطبِ

فالدُّهر في دعة، والزهر مبتسمٌ ... والوُرقُ تَشْدُو على أعوادها القُضُبِ
وجدولُ الروض أضحى دائراً طَرِباً ... والقُضب ترقُصُ بالأكمام والعُذُبِ
والجوُّ قهقه والأعداء تحسبُه ... رعَداً لما نابها مِنْ قبضةِ النُّوبِ
أفديه عاماً كأن الدَّهر أسنده ... عَنْ حافظ العصر عَنْ آبائه النُّجبِ
لله حبرٌ أبِيٌّ ماجدٌ شَهمٌ ... عليُّ أصيلٌ على الحالين خيرُ أبِ
يُغنيك عَنْ طلب الأسفار مِقْوَلُه ... و«السيف أصدق أنباءً مِنَ الكتبِ»
وإن رَقَى شرفَ الإملاء تحسبُه ... مع التواضع بحراً سحَّ مِنْ صَبَبِ
وكم له مِنْ تصانيف حَلَت وعَلَت ... كالنَّجم تكثُر عَنْ قطرِ الحيا السَّربِ
يا مَنْ يقولُ: لقيتُ النَّاسَ في رجلٍ ... دع مَنْ أردت ويمِّمْ نَعتَه تُصبِ
ذو همةٍ في النَّدى والعلمِ إن رَفَلت ... في بُردةٍ سَحَبَتْ ذيلاً على السُّحبِ
وسيفُ حكم بأيدي الصَّفح تجذِبُه ... دَقَّت لديه رقابُ الحِقد والغَضبِ
ترنَّحت قُضبُ الأقلامِ في يده ... فأثمرت زهرات العلمِ والنَّشَبِ
تُنْشِي فَتُنْسِي شفاه الكأس باسمة ... يا حُسنَ جمع حَلالِ الرَّاحِ والقُضبِ
مِنْ كلِّ أسمرَ خَمْرِيِّ الرُّضَاب فما ... يفوته حيثُ يحكي الكاسَ مِنْ شَنَبِ
واعْجَبْ لِمخبَرَةٍ كم شَيَّبتْ غسقاً ... سُهداً ومَفرِقُها المُسْوَدُّ لم يَشِبِ
نعم، وأعجبُ مِنْ ذا دمع مِرْمَلَةٍ ... لجَنَّةِ الطِّرْسِ ألقَتْ حُسنَ منقَلبِ
وأوقدتْ رملها في نهره وشَدتْ ... جَلَّ المؤلف بين الماء واللَّهبِ
وانظر إلى طَوْدِ علمٍ شامخٍ نَشِىءٍ ... يهتزُّ جوداً وبالآمال منجذِبِ
طلق المحيَّا إلى الدينار مُبْتَذلٌ ... مجعَّدُ الوجه يُبدي رنَّة الصَّخبِ
فيبذل التِّبْرَ مِنْ مالٍ ومِنْ كَلِمٍ ... ما بين منسَبِكٍ منه ومِنسَكِبِ
عمَّ البرية بالجدوى فما لِخِبا[1] ... أمواله غير أيدي الناس مِنْ طُنُبِ

(١) في (ب): «لجنى».

فلو أُريحت ـ معاذ الله ـ راحتُه ... شَكَتْ لداعي النَّدى مِنْ وحشةِ التَّعبِ

فيها الدَّنانيرُ عُشّاق العُفاةِ فإن ... تَفقَّدتهُمْ تَراآهُمُ على حَدبِ

فضائل علَّمت شعري مدائحه ... وأنجمُ الليل تهدي كلَّ مرتقبِ

يا مهجة الفضل يا عين العُيون[1] ويا ... روح العُلا وحياة المجد والحسبِ

عُذراً فإنسانُ شعري جاء ذا عجلٍ ... وَوُسْعُ قولي وضيق الوقت في حرَبِ

وهذه بنتُ فكرٍ حثَّها شَغَفٌ ... تجرجِرُ الذَّيلَ مِنْ صُحف على كُثُبِ

ويا وليَّ اليتامى قد خطبت لها ... بِكْراً إن افتخرت للعرب تَنْتَسِبِ

نسيبُها جاء في أبياته نَسَباً ... يا عزَّ ذاك اليتيم الشامخ النسبِ[2]

تزفُّها الشهبُ في الأفلاك مُبْشرةً ... يا أُختَ خير أخٍ، يا بنتَ خيرِ أبِ

مَدَّتْ لعلياك باءاتِ الرَّويِّ خُطاً ... فقد طوت مَهْمَهَ الأوراق[3] عن كثبِ

ترنو بعينِ قوافيها التي نشطت ... وزانَها الكسرُ يا لَلخُرَّدِ العُرُبِ

كأنها الرَّاحُ في كاسات أسطرها ... تحلُو بتكريرِ حرفِ البَاء في الحبَبِ

لحُسنها شَخصَ الحُسَّادُ فاستترت ... عن عينهم برداء الحظِّ والأدبِ

فإنْ تعارض مدحي مع مدائحهم ... فيكم فهل ترتقي الحَضْبَاءُ للشُّهبِ

وإن تساوى كلانا في المقال فيا ... بُعدَ المسافة بين الصِّدق والكذبِ

أمَا وأوصافُك المنظومُ جوهرُها ... لولاك ما امتدَّ لي في الشِّعر مِنْ سَبَبِ

بقيتَ يا سيِّد الدنيا صحيحَ عُلاً ... وعشتَ يا بحرَ عِلْم غيرِ مضطربِ

ولا برحتَ مدى الأيام تُكسِبُها ... حُسنَ الختام وترقى أشرفَ الرُّتبِ

---

(١) في (ب): «العلوم».

(٢) هذا البيت لم يرد في (ب).

(٣) في (أ): «الآفاق».

[الشِّهاب التَّروجي]

ومنهم الشهاب أحمد بن عمر بن أحمد التَّرْوجي، فأنشدني مِنْ لفظه لنفسه[1].

جمالُ أحمدَ جاءت فيه آياتُ ... وفي معانيه قد صحَّت رواياتُ
وفي محاسِنِه الحسناء قد وردت ... أخبارُ صِدْقٍ وفي المعنى[2] حكاياتُ
فالحُسْنُ إمَّا أتَى في واردٍ حَسَن ... دليله أو عزيز فيه غاياتُ
وإن تسل عنه في شأن وفي شِيَمٍ ... وفي معانٍ فما تخفى الدِّلالاتُ
للشمس والبدر في حَالَيْ كمالِهما ... مِنْ حيث لا عارضٌ منه استعاراتُ
والغُصْنُ فيه قِوَامٌ منه مكتَسَبٌ ... فإن يَمِلْ، فلمَيْلِ الغُصْنِ عاداتُ
فما على عاشقٍ يهواه مِنْ حرج ... يوماً وقد لعِبَتْ فيه الصَّباباتُ
لو أتلف النفس فيه ثَمَّ لا سرفٌ ... يُرمى به إذ تمنِّيه المنياتُ
وقد أقولُ لِمَنْ أضحت محاسنُه ... مِنْ حُسنه ولها فيه أماراتُ
سَنَا مُحَيَّاكَ إن يبدو لناظره ... ما في معانيكَ تحكيه الثَّنيَّاتُ
والثغر فيه عقودُ الدُّرِّ قد نُظِمَتْ ... لكنْ جَلَتْه لأهليها السَّنيَّاتُ
فيعبَق المِسْكُ منها وهي باسمةٌ ... لِمَا بحاجِرهَا هبَّت نُسَيْماتُ
كأنها بين جناتٍ تطيبُ بها ... إذا تعاهدها الياقوتُ أوقاتُ
قد شقَّ منها ضياء الفجر حين جلا ... جُنْحَ الظَّلام مصابيحٌ جليَّاتُ
وأصبح الروضُ بالأزهار[3] مبتسماً ... لما عليه بكت سحبٌ شَجِيَّاتُ
وأضحتِ الأرضُ تهتزُّ الغصونُ بها ... كأنما سَقْيُها المعتادُ راحاتُ

---

(١) ذكر المصنف البيتين الأولين في ترجمة التروجي من الضوء اللامع ٢/٥١، وقال: وسقتها بتمامها في «الجواهر».

(٢) في (ط): «المغني»، تحريف.

(٣) «بالأزهار» ساقطة من (ب).

تختالُ ما بين مرقومٍ ومُنْتَسِجِ ... كحُلَّةٍ بأعاليها طِرازاتُ
ومنشد الحيِّ لمَّا فَاهَ باسْمِكُم ... لبَّى نِداه مع الأحياء أمواتُ
كأن ساقينا في أودَعَ مِنْ ... ماءِ الحياة إلى الأرواح أصواتُ
فلا بَرِحْتُم مدى الأيام شمسَ ضحى ... بسرِّها تستضيء المستنيراتُ
كأنَّكم في جبين الدَّهر غُرَّتُهُ[1] ... وللزَّمان عقودٌ لؤلؤيَّاتُ
يا مَنْ سما في معالي مجده فرأى ... نجومَ سَعْدٍ بها تزهو السَّماواتُ
جَنابُ فضلك أمنٌ إذ يُلاذُ به ... وفي حماك لِمَنْ تَحْمِي حمياتُ
فمِنْ عطاياك جودٌ لا نَفَادَ لَهُ ... وفي قضاياك تنفيذٌ وإثباتُ
ومِنْ أياديك سُحْبٌ بالنَّدى سَمَحت ... طولَ المدى ولِقَطْرِ المُزنِ ساعاتُ
يَحيَا بفضلك في الأيام دَارِسُها ... وبالعلوم فكم تحيَا دراساتُ
حدِّث بما شئت عَنْ قومٍ حَفِظْتَ لهم ... قديمَ عهدٍ، فعاشوا بعد ما ماتُوا
إنَّ الكرامَ إذا وَلَّت أصولُهم ... تَلي الفروعُ وتتلُوها الكراماتُ
فَلِلْمناصِب أعلامٌ وقد رُفِعَتْ ... بنَصْبِها لذوي الآراء رايَاتُ
وفِعْلُ أمرِك حكمٌ دلَّ شاهِدُه ... بعاملِ الجزمِ إذ فيه علاماتُ
منهاجُ أعداك خفضٌ والحسودُ بها ... أصابَ سوءاً فأَخْطَتْهُ المسرَّاتُ
تجري بأحكامك الأقلامُ ما برِحَت ... طوعاً ومِنْ سرِّها تُغْنِي الإشاراتُ
فكم بها سادَ مَنْ والاه سُؤدَدُها ... وطال ما خدمتها المُرهفيَّاتُ
تُبدي الصَّحائفُ ما تُخفي ضمائرُها ... كأنَّما نطقت فيه الجماداتُ
قد أُلهمت علمَ سرِّ الحَرفِ فهي به ... تأتي بما سبقت فيه المشيئاتُ
قاضي الشريعة زينُ الكاتبين بها ... أولى القضاة كما عنه الولاياتُ
شهابُ عدلٍ سَما بالسَّعد طالعُه ... يحكي عَنِ الدِّين ما تُملي الرِّواياتُ

---

(١) في (أ): «غرتها».

كفَى أبو الفضل في الأسماء أحمدُها ... نِعْمَ ابنُ قومٍ لهمُ في الفضل غاياتُ

أحكامه عَنْ وُلاة الحكم قد حَجرت ... ما الشافعيُّ له فيه اعتلالاتُ

قد أيَّدَ الدين..... ..... [1]

فيا له ركن إسلامٍ [2] لمستَلِمٍ ... يرجو الأمانَ فتكفيه المحاذاةُ

مقامُهُ حَرَمٌ تسعى الوفودُ له ... ككعبة الحجِّ والآفاقُ ميقاتُ

لو يسمح الدهر لي يوماً [3] أنال به ... قُرْباً وتلك مِنَ الأيام قُرْباتُ

لقلْتُ يا مالِكي رقًّا ومذهبُه ... بالشافعيِّ تسمِّيه المهماتُ

لا أبتغي منك إلا ما أنال به ... سبيلَ رشدي ومعناه الهداياتُ

فأنت مطلبُ مَنْ يرجوك ملتمساً ... مِنَ الكفاية ما فيه النهاياتُ

وإن ظفَرت بقصدي وارتحلت إلى ... ثغرٍ به لشهود الذِّكر أوقاتُ

أبثُّ ما عنكم [4] صحَّ [5] الحديثُ به ... بشَرْطِهِ شاهدي فيه الإجازاتُ

نصُّ «البخاريِّ» كم عنكم به قُطِعَتْ ... في الحكم ما اتَّصلت فيه الخُصوماتُ

فيومَ خَتْمٍ له في محفلٍ جمعت ... لديكُم مِنْ حُماةِ الدِّين ساداتُ

بالعلم فازُوا وبالأحكام قد رَفَعُوا ... مراتباً في الورى تلك العليَّاتُ

نَالُوا الْوَفَا بحديث المصطفى وكفى ... بالمصطفى أنْ به تعلُو المقاماتُ

خيرُ الورى جامعُ الأحكام مَنْ شَهِدت ... بفضله عُربها والأعجمياتُ

صلَّى عليه إله الخلق [6] عدتها ... في علمه وله تبدو الخفيَّاتُ

---

(١) بياض في الأصول جميعها.

(٢) في (ط): «استلام».

(٣) في (أ، ب): «يوماً لي».

(٤) في (ط): «عندكم».

(٥) في (أ): «كم»، خطأ.

(٦) في (ط): «الحق».

ما هَبَّ نشرُ الصَّبا عند الصَّباح وما على غُصون النَّقا غَنَّت حَماماتُ

[ابن العماد الأقفهسي]

ومنهم العلامة الفقيه الشهاب أبو العباس أحمد بن العماد الأقفهسي المصنِّف المشهور. مدح شيخ الإسلام السراج البلقيني يوم ختم صاحب الترجمة قراءة كتاب «دلائل النبوة» للبيهقي عليه بقصيدة، ذكر فيها القارىء أيضاً، وما وقفت عليها بعد[1].

[ابن مبارك شاه]

ومنهم العلامة الأوحد الشهاب أحمد بن مبارك شاه الحنفي، فقال، وفي ظنِّي أنني سمعتُها منه[2]:

أتبرزُ خدًّا للمقبِّل أم يَدَا وتعطِفُ قدًّا للمعانق أمْيَدَا
وتُسْبِلُ فرعاً طال سُهدي بليله وأطلع من فَوْقِ الغزالة فرقدَا
فديتُك لا أخشى الضَّلال بفرعها وقد لاح فرقٌ للضَّلال مِنَ الهُدَى
ومِنْ عجبٍ أنِّي خليعُ صبابةٍ وشوقي إليها لا يزالُ مجدَّداً
وأعجب مِنْ ذا أنَّ لِينَ قوامِها تثَنَّى بجمعِ الحُسْنِ يخطر مُفْرِدَا
لها سيفُ جفنٍ فوق دينارِ وجْنَةٍ فيا فَقْرَ قلبٍ قد رآه مجرَّدَا
ولحظٌ غدا في السِّحر فتنةَ عاشقٍ يخيِّل مِنْ حبل الذَّوائب أسودَا
وعنقُودِ صُدغٍ أسكر اللحظ خَمرُه فعذراً إذا ما اللَّحظُ بالسَّيفِ عَرْبدَا

---

(١) زاد في (ح): «ولعلي أقف عليها وألحقها هنا»، وقد ترك المصنف بياضاً هنا نحو نصف صفحة، وتركه من بعده أيضاً ناسخو الأصول الخطية المعتمدة في التحقيق.

(٢) وقد أشار المصنف في ترجمته من الضوء اللامع ٢/٦٥، حيث قال: وامتدحه (أي امتدح ابن حجر) بقصيدة طنانة داليّة، أودعتها «الجواهر»، وغالب الظن أنني سمعته ينشدها له.

فللّهِ طرفٌ كاملٌ في فُتوره ... حمى مَبْسماً فيه الرَّحيق مُبَرَّدَا
ولله عِطفٌ إن ترنَّح يَنْثَني ... ترنَّحَ حتى خِلْتُ عطفاً مؤكَّدَا
ومُذْ قلت إنَّ الوجهَ للحسن جامعٌ ... غدا الطَّرْفُ في محرابه متردِّدَا
ولِمْ لا يكونُ الوجهُ قِبلَة عاشقٍ ... إذا ما جَلاَ ركناً مِنَ الخال أسودَا
فوالهفَ قلبي حين تَقليه في اللِّقا ... على قبس من خدها قد توقَّدا
ومجنون طرفي في شبابيك هُدْبه[1] ... بسِلْسِلَةٍ مِنْ دمعه قد تقيَّدَا
لحا اللّهُ مَنْ يُوْمِي إليَّ بلَومهِ ... ويعلم أنّي لستُ فيها مُفَنَّدَا[2]
ولو لاح للأحي بديعُ جمالها ... لما راحَ فيها اليومَ يَلْحَى ولا غَدَا
لها طلعةٌ أبهى مِنَ الشَّمس بهجةً ... كأنَّ شهاب الدِّين في وجهها بَدَا
شهابٌ ضياءُ الدين مِنْ نُورِ فضله ... زكيٌّ على الآفاق يُشرق بالهُدَى
وبحرٌ رأيتُ القلب منه بصدره ... ولكن حوى ذهناً غدا متوقِّدا
وطودُ سخاءٍ لاحَ في لقب يُرى ... شهابَ الهدى يبدو على عَلَمِ النَّدى
بعَدلٍ وبذلٍ يوم جود ونقمة[3] ... مُبِيْدٌ مفيدٌ للمحبين والعِدَا
فكم مِنْحَةٍ أهدى وكم مِحْنَةٍ عدا ... وكم باطلٍ أردى وكم طالبٍ هَدَى
وكم رُمت محمود[4] الأيادي فلم أجد ... بعَصْرِي رئيساً[5] غيرَ أحمد أحمدا
وناهيك مِنْ قَدرٍ حماه وكاد أن ... يذودَ الورى مِنْ أن يكون محسَّدَا
وأشياخه دانت لفضلٍ كماله ... ولم تَخْوِ ما قد حاز مُذْ كان أمردَا
له عادةٌ في الفضل تُنْشِدُ دائماً ... «لكلِّ امرىءٍ مِنْ دهره ما تعوَّدَا»

---

(١) في (أ): «طرفه».
(٢) في (أ): «مقيّداً».
(٣) في (أ): «نعمة».
(٤) «محمود» ساقطة من (أ).
(٥) «رئيساً» ساقطة من (ب).

لـه منـطـقٌ فـي كـلِّ عـقـد يـحـلُّـه ... مِنَ الشَّهد أشهَى حين يحضر مَشْهَدَا
لـه قـلـمٌ كـالـمِـيْـلِ والـنِّـقسُ كـحـلـهُ ... يُداوي به مَنْ كان في النَّاس أرْمدَا
فما السُّحُب إن أسدى وما النَّجم إن هَدَى ... وما العَضْبُ إن أردَى وما السَّهمُ إن غَدَا
بـكـفٌ كـريـمٍ فـي عُـلـوٌ عـلـومـه ... حوى قصبات السبق مِنْ غاية المدَى
لئن حاز حسن الخطِّ والحظ والنُّهَى ... فـمـا سـوَّد الـتَّـصـنـيـفَ إلا وجـوَّدَا
وزهَّـد فـي الـتَّـألـيـف كـلَّ مـؤلِّـفٍ ... فـصـار بـتـألـيـفِ الـحـديـث مـزهِّـدا
وأحـيـا مـواتَ الـعـلـمِ فـيـنـا رُواؤه ... فروَّى وأروى حين أحيا من الصَّدى
لقاضي قضاة المسلمين مواهبٌ ... تفوقُ عقولَ الخَلْقِ مِنْ عِظَم الجَدَا
فلا مُعسرٌ[1] إلا وأصبحَ ذا غِنًى ... ولا ذُو غِـنًـى إلا ومـنـه تـزوَّدَا
إذا ما حضَرْتَ اليومَ مجلسَ حُكمِه ... ترى منه ما فيه الخلاصُ له غدَا
ترى الشافِعيَّ الطَّاهر الحكم مِن أذى ... يؤدي قضاءً ظاهر العدل في الأدا
ويُخمِدُ سوط الظُّلم في مِصْرَ نهيُه ... ألـم تنظر الطَّاغين في مِصْرَ هُمَّدَا
ويُصلح بين الظَّبْيِ والذِّئب أمرُه ... فـلسـت تـرى ظَـبـيَ الـفـلاةِ مـشـرَّدَا
فتى عزَّ منه الجارُ في جانب الحِمَى ... فـقـد صـار لا يُـعـدَى عـلـيـه إذا عَـدَا
فدم لجميع النَّاس في العصر سيِّداً ... لأنَّك في العلياء قد لُحت مُفْرِدَا
وأفـتـاهـمُ عـلـمـاً وجـوداً ونـجـدةً ... وأحـمـاهـم جـاراً وأعـظـمُ سـؤددَا
وأكرمُ أهل الأرض في الناس معشراً ... وأزكـاهُـم نـفـسـاً وأشـرفُ مـحـتِـدَا
وأوفـاهُـم عـهـداً وأرجَـحُـهـم حِـجـاً ... وأحـسـنـهـم وجـهـاً وأطـهـر مـولـدا
عن الصَّعْبِ يَروونَ المكارمَ للورى ... ولا زال عَنْ سهلِ عطاؤك مُسْنَدَا
وعلمك جمٌ والتَّصانيفُ جُملةٌ ... ووالله مافي العصر غيرُك يُقتدَى
«صحيح البخاري» مُذْ شرحتَ حديثَه ... بـفـتـحٍ مِـنَ الـبَـارِي ونـصـرٍ تـأيَّـدَا

---

(١) في (ب، ط، ح): «مقتر».

فكم مغلَقٍ بالفتح أصبح واضحاً ... إلى فهمه لولاك ما كان يُهتدَى
وكم طالبٍ قد كان بالنَّسخ مُرمَدَا ... فجاء له بالفتح للعين مِرفَدَا
وبات قريرَ العينِ للنَّسخ دائماً ... بفتحك كنزاً للسعادة سرمدَا
وبشَّره بالسَّعْدِ مِنْ بعد فاقةٍ ... بشيرٌ مِنَ الباري فأصبح مُسْعَدَا
فلله فتحٌ طنَّ في الكونِ ذكرُه ... وغار إلى أقصى البلاد وأنجدا
هنيئاً له قد سار[1] بين ذوي النُّهى ... وما سار حتَّى صار مثلَك أوحدا
وكم صَدْرٍ صَدْرٍ قد شرحت بختمه ... وكم حاسدٍ بالهمِّ فيه تنهَّدا
وكم ضمَّهُ جِلدٌ على حبِّه انطوى ... فأظهر خدَّاً بالسُّرور مورَّدَا
فحسبك ربُّ النَّاسِ مِنْ شرِّ حاسدٍ ... ومِنْ عينِ شيطانٍ إليك تعمَّدَا
فأنت الذي فينا تُعدُّ بفارسٍ ... لوقعة بحثٍ كم أقامَ وأقْعدَا
وأنتَ الذي فهَّمتنا «شرح نُخْبَةٍ» ... بتنقيحها علمُ الحديث تمَهَّدَا
مَزَجْتَ بها يا طيِّبَ الأصل شرحها ... بأعذبِ لفظٍ طابَ للفهم مَوردَا
فَهِمْتُ بها لمَّا فَهِمْتُ دَقَائِقاً ... بها صار عيشي في المحافلِ أرغدَا
وزرتُ بمدحي حيثُ جئتُ مقصراً ... فطفت بسبعٍ واظبَ الخمسَ بالنَّدا
وولَّدْتُ مِنْ فكري بأوصافِ ذاته ... رقيقاً بوَصْفِ الحُسن منه مولَّدَا
قطعتُ به مِنْ أسْودِ اللَّيل مَهْمَهاً ... على صَهوةٍ مِنْ دُرِّ نظم[2] تَنَضَّدَا
جوادٌ إذا أرسلتُ فضلَ عِنَانِه ... يُبلِّغُني مِنْ غايةِ الشَّرَفِ المَدَى
كنفحةِ مِسْكٍ قد تضاعف نشرُها ... بألسُنِنا ممَّا تُعاد وتُبْتَدَا
لتصرف لي[3] وجهَ القَبُول فإنَّني ... فتًى لم أحاول غيرَ ذلك مقصدَا

---

(١) في (ب) «ساد».

(٢) «نظم» ساقطة من (ب).

(٣) في (ط): «في».

فأسْعِدْ مُجيزاً كلَّ قارىء «نخبة» بمدحك يرجو أن يفُوز ويَسعدَا
فلا زال ركبُ المدحِ[1] مِنْ كلِّ وُجْهَةٍ يؤمُّكَ حاديه ويقطع فَدْفَدَا[2]
فَعِشْ لوفودٍ سِيْقَ نحوك عِيسُهم إذا زمزم الحادي بذكْرِكَ أو حَدَا

وقال أيضاً:

يا حبَّذَا «النُّخبة» مِنْ دُرَّهْ فريدة مشرقة رطبهْ
غاص لها الفكر ببحر النُّهى وارتاض فيه فاصطفى النخبهْ

[الشهاب ابن صالح]

ومنهم العلامة البارع المفنَّن النَّادرة، الشهاب أحمد بن محمد بن صالح الإشليمي، نُخْبَةُ أقرانه. له في صاحب الترجمة الكثير، لكن لم أجد عندي إلا ما كتب لي بخطه مدحاً فيَّ، وسمعتُه مِنْ لفظه ما نصه:

فكأنني[3] عنيتُه بقولي في شيخه، شيخِ الحديث قديماً. إذ نثرت عليه عِقْدَ مدحي نظيماً.

وقد حفظَ اللّهُ الحديثَ بحفظه فلا ضائعٌ إلا شَذَى منه طيِّبُ
وما زال يملا الطِّرْسَ مِنْ بحرِ صدرِه لآلىء إذ يُملي علينا ونكتُبُ

ثم ظفَرْتُ بهما في قصيدة طويلة طنَّانة، امتدح بها المذكورُ صاحبَ التَّرجمة، وهي هذه:

لواحظُه تَجْنِي وقَلبي يُعذَّبُ ولا سَلْوَتي عنه ولا الصبرُ يَعْذُبُ[4]

---

(١) في (أ): «الوجه».

(٢) في (ب): «فرقدا».

(٣) أورد المنصف هذه العبارة والبيتين بعدها في ترجمة ابن صالح من الضوء اللامع ٢/ ١١٥، وألمح إلى المنظومة التي أوردها هنا.

(٤) في (ب): «معذب».

غزالٌ بجفنيه من السُّقم كِسرةٌ[1] ... على أخذ أرواح البريَّة يُنصبُ
غريرٌ كحيلُ الطَّرفِ أسمرُ أحورٌ ... أغنُّ رخيم الدَّلِّ ألعسُ أشنبُ
إذا ما بدا أو مَاسَ أو صَالَ أو رَنَا ... فبدرٌ وخطيٌّ وليثٌ وربْرَبُ
خُذوا حِذْركم إن صَال كاسرُ جفنِه ... فكم صادَ قلبي منه بالهُدْبِ مِخلَبُ
هو الشَّمسُ بُعْداً في المكان وبهجةً ... ولكنَّه عن ناظريّ[2] محجَّبُ
تعشَّقتُه حُلْوَ الشَّمائل أغيداً ... يكاد بألحاظِ المحبِّين يُشربُ
وأسكنتُه عيني التي الدَّمعُ مِلْؤها ... وهيهات يُرضيه خِباها المُطَنَّبُ
عجِبتُ لماء الحُسْنِ فاضَ بخدّه ... على أنَّ فيه جَمْرةً تتلهبُ
وأعجبُ مِنْ ذا أنَّ نبت عِذَارِه ... بأحمرَ ذاك الجمرِ أخضرُ مخضبُ[3]
لئن كان منه الوجهُ أصبح روضةً ... ففيه رأيتُ الحُسْنَ وهو مهذَّبُ
وإن كنتَ يا قلبي سعيداً بحبِّه ... فإنَّ عَذُولِي في هواهُ المسَيبَّ
وإن طاب في وصف الغزال تَغَزُّلِي ... فإنَّ ثَنَا قاضي القضاة لأطيبُ
هو المشتري بالجود بيتاً مِنَ العُلا ... بِبَيْتِ السُّها ساهٍ له يتعجبُ
شهابٌ رَقا العلْيا بِصِدْقِ عزائم ... فلا مطلبٌ عنه مِنَ الفخر يُحجبُ
وحاز سهامَ الفضل مِنْ حيثُ قد غدا ... قديماً إلى أعلى كِنَانَةَ يُنسبُ
أبو الفضل لا ينفكُّ بالفضل مُغرماً ... ولا عجبٌ أن يفتتِن بابْنِه الأبُ
بنو حَجَرٍ بيتٌ عليٌّ وأحمدٌ ... له كعبةٌ حجُّوا لها وتقرَّبُوا
لأعْجَبُ ممَّا يحمَدُ النَّاسُ فعلَه ... ولكن وفاق الإسم والفعلُ أعجبُ

---

(١) في (أ): «سكرة»، تحريف.

(٢) في (ب): «ناظريه»، وكذا في المختصر للسفيري، وفي نظم العقيان للسيوطي ص ٦٠، حيث أورد هذه القصيدة.

(٣) في (ب، ط): «مخصب».

تحلَّت به الأيامُ فانظر تر الضُحى ... يُفَضِّض منها والأصيل يذهَّبُ
له راحة لو جارت الغَيثَ في النَّدى ... تقطَّر في آثارها وهو متعَبُ
ألم تر أنَّ السُّحْبَ أمست من الحيا ... إذا ما بدا منه النَّدى يتسحَّبُ
يُجَلِّي دياجيرَ الخُطُوبِ يراعُهُ ... فلله منه في دُجى الخطب كوكبُ
ويُشْرِق ما بين الأنام كأنَّه ... سنا بارقٍ مِنْ خلفه الغيثُ يُسكبُ
يدير طِلا الإنشاء صِرْفاً فننتشي ... ويُسمِعُنا شَدْوَ الصَّريفِ فنطرَبُ
تجاسر عودُ اللَّهْوِ يحكي صريفَه ... فمِنْ أجلِ هذا أصبح العودُ يُضْرَب
له الله مِنْ عالي السَّجِيَّة عذبها ... كما انهلَّ مِنْ صَوْبِ الغمائم صَيِّبُ
تجانس مَربَاهُ البديعُ ولفظُه ... فيا حبَّذا في الحالتين التأدبُ
طباعٌ مِنَ الصَّهْبا أرقُّ ومنطِقٌ ... إلى الصَّبِّ مِنْ ريقِ الحبائب أعذبُ
روى عَنْ سجاياه السَّخِيَّات سهلُها ... وعن سطواتِ البأس حدَّثَ مصعَبُ
لِيَهْنَ الإمامُ الشافعيُّ بأحمدٍ ... فَتًى مَا لَهُ إلا الفضائل مذهبُ
إمامٌ لأشْتَاتِ البلاغةِ جامعٌ ... يقاس بقُسٍّ حين يَرْقى ويخطُبُ
فقيهٌ إذا رام الكفايةَ طالبٌ ... يفيضُ عليه مِنْ عطاياه مطلبُ
وقد حفِظَ الله الحديثَ بحفظه ... فلا ضائعٌ إلا شذًى مِنْهُ طيِّبُ
وما زال يَمْلَا الطِّرْسَ مِنْ بحر صدره ... لآلىء إذا يُملي علينا ونكتُبُ
وأظهر في «شرح الصحيح» غرائباً ... يُشَرِّقُ طوراً ذكرُها ويُغَرِّبُ
وبارئُه بالفتح منه أمدَّه ... ونال بحسن الختم ما كان يطلبُ
وكم فيه مِنْ بابٍ يدلُّك أنَّه ... لسُبْل الهدى بابٌ صحيحٌ مجرَّبُ
ولم أنسَ إذ بالتَّاج والقرطُ تجتلي ... عرائسُه والحُسْنُ لا يتحجَّبُ
وأجمعَ مَنْ فوقَ البسيطة أنه ... إمامٌ وجهلُ الحاسدين مركَّبُ
أسيدَنا قاضي القضاة ومَنْ به ... تُهنَّى ولاياتٌ ويُغبط منصِبُ
ويا واحداً قد زان علياه أربَعٌ ... تُقى وعلومٌ واحتشامٌ ومَنْسِبُ

تولَّيتَها بالعلم لا الجاهِ رتبةً ... غدت بك تزهى مِنْ فَخَارٍ وتَعجَبُ
وفي رجَبٍ وافت إليك فآذنَت ... بأنَّك فردٌ في البرايا مُرَجَّبُ
ومُذ كنتَ أكْفى النَّاس قاطبةً لها ... أتت بابَك العالي لمجدِكَ تخطُبُ
وقد صَدقَتْ رأي الإمام فأقبلت ... تضمُّك عنه نحوَه وتُرَحِّبُ
لعمري ولو يحيا ابنُ إدريسَ بُرْهَةً ... بدت رؤيةُ الرُّؤيا التي لا تُكذَّبُ
فأنت بما وُلِّيت أولى وأنت بالمعا ... رفِ والمعروفِ أدرى وأدرَبُ
وكلُّ غمامٍ غيرُ فضلك مُقْلِعٌ ... وكلُّ وميضٍ غيرُ برقِكَ خُلَّبُ
نعم وعلى نُعماك نعقد خِنْصَراً ... ونبسُطُ في القصد المساعي ونرغَبُ
ونبغي بمغناك الغِنَى فلأجل ذا ... ترانا بموصولِ النَّسِيبِ نُشَبِّبُ
فخذ مِنْ ثنائي كالكؤوس محبَّباً ... وكأسُ الثَّنا عندَ الكرامِ مُحبَّبُ
بجودك سِعرُ الشِّعرِ في النَّاس قد غَلا ... إلى أن غدت أوزانُه تتسبَّبُ
وليس يساوي قدرَكَ العالي الثَّنَا ... وإن أوجزَ المدَّاح فيه وأطنَبُوا
وإنَّا لنرجوا العفوَ منك لهفوِنا ... فما زلت تعفُو حين نهفُوا ونُذنِبُ
بقيتَ شهاباً في سما الفضلِ طالعاً ... وبدرُكَ وضَّاحُ السَّنَا ليس يَغْرُبُ
وعشت لمجدٍ يستجدُّ بناؤُه ... وحسن ثناءٍ عَنْ معاليك يُغْرِبُ

ورأيت بخطه فيما أرسله لصاحب الترجمة، وأنشدنيه متكلِّفاً:

مولاي قاضي القضاة انظر لعبدك مِنْ ... ضُرٍّ تضاعف حتى صار ضُرَّينِ
رمِدتُ فاسْتَهْلَكَ الكُحَّالُ ما بيدي ... لقد أُصِبْتُ على الحالين في عَيْنِي

وقوله أيضا:

أقاضي قضاة الفضل عطفاً فعبدُكم ... إلى جودكم يشكو تجدُّد حَيْنِهِ
فقد مسَّه الضُّرُّ الذي كان مسَّه ... وعاوده ذاك المصابُ بعَيْنِهِ

[ابن عربشاه]

ومنهم العلامة أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الله بن عرب شاه الدِّمشقي الحنفي، فأنشدني لنفسه[1].

الشوق يُنهض والجلالة تُركِد ... أبداً فبي منك المقيم المقعدُ
أُذنِيك في وهمي فأركعُ[2] هيبةً ... ولربَّما غلب الغرامُ فأسجدُ
وأرومُ لثمَ خيالِ أقدامٍ سعت ... فتمدُّ نحوَ ترابِ موطِئها اليدُ
وإخالني في مِخْلَبٍ أرقى إذا ... جاوزت أني عن جنابك[3] مبعَدُ
ولقد قَنَعْتُ بضيفِ طيفِك في الكرى ... صَوْناً لقدرِك لو جُفونِي ترقُدُ
وكتمتُ حبَّك في الحشا فوشى به ... دمعٌ يَصُوبُ وزفرةٌ تتصَعَّدُ
هذا يبدِّدُ ما جرى للصَّبِّ مِنْ ... ألم الجَوى ودخانُ تلك يُسوِّدُ
لولا قيامةُ عاشقٍ قامت لما ... كانت جوارحه عليه تشهَدُ
عجباً لها مجروحة قُذِفَت زِنَى ... وقبولها مِنْ قذفِها يتأكدُ
وألذ ما يلقى المتَيَّمُ في الهوى ... جفنٌ يَفِيضُ ومهجةٌ تتوقَّدُ
تحكي الرَّبيعَ بزهرِ ثغرٍ باسمٍ ... مِنْ مُزن جفنٍ والسان يغرِّدُ
فتراه في حاليه مَعْ أحبابه ... في السُّكر إن أدنوه أو إن أبعدُوا
إن أعرضوا عنه يمُتْ في حبهم ... أو يَنْظُروه يَعِشْ حياةً تُسْعِدُ
وأشدُّ ما يُنكي المحبَّ تحزُّنٌ ... مِنْ شامتٍ أو حاسدٍ يتودَّدُ
وأمرُّ منه أحبةٌ لم يَفْرِقُوا ... بين الصَّديق وبين حِبٍّ يحسُدُ

---

(١) أشار المصنف إلى هذه القصيدة، وقال: إنها «بديعة أتى فيها بألغاز وتعامٍ وأهاجٍ وجناسات، وتلعَّب فيها بضروب الأدب، أودعتها في «الجواهر والدرر»، سَمعتها منه». وأورد شيئاً من لطيف أبياتها.

(٢) في (أ): «فأرفع».

(٣) في (أ): «خيالك».

أحبابَ لا بَاباً أرى مِنْ مدمعي ... نحوَ الوصالِ ولا معي متجَلْدُ
رفقاً بصبٍّ[1] لو توهُم سلوةً ... لأحسَّ ضربَ السَّيفِ وهو مقيَّدُ
إذ لو سَهَا عن ذكر سالبِ قلبِه ... لطمَتْه أيدي الوَجْدِ أنّى يقصِدُ
واحرَّ خَدٌّ سَوفُ شوقٍ خِلْتَه ... طيراً إلى جو السَّما يَتَصَعَّدُ
آها على زمنِ المحبِّ وحبِّه ... كلٌّ بكلٍّ في الهوى متفرِّدُ
لا يَبْتَغِي مَرمَى لسهمِ لحاظه ... إلا فؤاداً غيره لا يُقْصَدُ
الدهرُ يُسعفُ والحبيبُ مواصلٌ ... والعمرُ غَضٌّ والحواسدُ رُقَّدُ
فَتَنَبَّهَتْ عينُ الرَّقيب فكدَّرت ... صفوَ المُحِبِّ فعيشُه متنكدُ
فجفا الأحبة صبُّهم فكأنهم ... أدب.....[2] أو أديب ينضدُ
يشكو فلم يُسْعِدْهُ غيرُ كَئِيبةٍ ... ورقاءُ في غَصنِ الرياض تغرّدُ
يُرمى بقارعة الطَّريق فما له ... مِنْ ملجأ إلا الإمامُ الأمجدُ
قاضي قضاة المسلمين وشيخُهم ... ذو المسْنَدِ العالي الكبير المسنِدُ
العالمُ العَلَمُ الإمامُ كذا العلا ... العاملُ الحَكَمُ الهُمامُ الأوحدُ
علَمُ الهُدى غيثُ الندى غيظ[3] العدا ... غمرُ الرِّدا بدرٌ بَدَا لا يُجْحَدُ
يُنْهي حديثَ المصطفى إملاؤُه ... عن ظهر قلبٍ بالذَّكَا يَتَوَقَّدُ
فكأننا عند السماع صحابةٌ ... يُلقي شريعتَهم إليهم أحمدُ
أو وارِدُوا حوضٍ عِطاشاً قد سقى ... أكبادَهم خيرُ الأنام محمَّدُ
أو طالِبوا الدِّينِ الحنيفِ ولفظُه ... يبدي معالمَه وفيها يُرشِدُ
فإذا تصدى مُملياً نادى الهدى ... يا أُمَّةَ الهادي هلمُّوا تهتَدُوا
هذا أمينُ الأمةِ الحَبْرُ الذي ... مِنْ بحره نهر الشريعة يُورَدُ

---

(١) في (ط): «بقلب».
(٢) كذا ورد هذا البيت ناقصاً مختل الوزن.
(٣) في (أ): «غيث».

خُض بحرَ لفظِ حديثه تَغْشَ العُلا ... واجزِمْ بصدقِك ناطقاً إذ تُسنِدُ

كم زيَّن الأسماع شِنْفُ كلامِهِ ... بِجَنِيِّ دُرٍّ في الملاحة يُنضَدُ

وجرى لشائم[1] بَرْق أيْدِيْهِ نَدَى ... مِنْ كفِّه جرياً يعجُّ ويَرْفِدُ

غيثٌ شفَى شَجَني بفيضِ تفيُّضِ ... طرد الأوامَ وهل سواه مورِدُ

خذ مِنْ مُضاف أبي حنيفةَ مفرداً ... صحِّف مِنَ احرُفه ومدَّ له يدُ

أولا فأسْنِدْ فعلَ بسطٍ ماضياً ... تلقاه قد حاجاك ذاك المفردُ

وبدا كلامٌ فيه فائدة فإن ... صحَّفته تلقاه نِعْمَ المسندُ

أورى مديحاً جلَّ في ترتيبه ... إذ قد غدا كالطَّودِ بل هو أسمَدُ

يا مَنْ بطيب حديثه ملك الورى ... فالكلُّ عندَ سماعِه لك أعبُدُ

حلَّيتَ أسماعاً وذوقَ أولي النُّهى ... مِنْ دُرِّ شهدِ دُرُّهُ متنضِّدُ

وعقودُ أحكامِ الكتاب بسنةٍ ... إجماعُ أهلِ الدِّينِ منها يُعقَدُ

وكسوتَ أخبارَ النبيِّ جلالةً ... فلها العلا ولك السَّنا والسُّؤْدَدُ

ولكل شيءٍ مَعْدِنٌ فالمسك من ... تُرْكِ الخطا ومِنَ الهنود مهنَّد

والبحر فيه لؤلؤٌ والطود في ... أحشائه فيروزَجٌ وزَبَرْجَدُ

والروض والأزهار[2] أنواع وفي ... عرق الثرى تِبْرُ النُّضار وعسجدُ

لكن فؤادك معدنُ الصِّدقِ الذي ... أبداً على مرِّ الدُّنا متجدِّدُ

المسكُ مِنْ أخلاقه متطيبٌ ... والسَّيفُ من أحكامِهِ متجرِّدُ

والدُّرُّ مِنْ ألفاظه متناثرٌ ... والزَّهرُ مِنْ أكمامه متبدِّدُ

وتُرابُ نعلِك عِندَ أربابِ النُّهى ... أعلى وأغلى مِنْ نُضَارٍ يُنقَدُ

إن قيل سادات الورى مَنْ هُمْ؟ أقُل: ... أهلُ الحديث وأنتَ فيهم سيِّدُ

---

(١) في (ب): «لسائر».

(٢) في (ب): «والزهر».

يا سالكاً سُنَنَ الهداية رافعاً علماً جميعُ العالمين به هُدُوا
خذها بديهاً وهي منك ولا مِرَا إذ منك كلُّ فضيلةٍ تتولَّدُ
واقبَلْ ـ فديتُك ـ عُذرَ عبدٍ قاصرٍ ما قصدُه إلا ثناءٌ يخلُدُ
يا مَنْ لذكرك في الفؤاد ولم يزل منِّي الأيادي والجوارحُ تَشهدُ
نم آمناً من نَمَّ أنما آمن دُمْ حامداً ما أمَّ آدمَ أحمدُ

[ابن كُحيل]

ومنهم أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الله بن كُحيل المغربي. أنشدني مِنْ نظمه، وخاطب بذلك صاحب الترجمة:

قد فزتُمُ بين الأنامِ وحُزتُمُ رَهنَ السِّباق بنشر «فتح الباري»
فالله يكلؤُكم ويُبقي مجدَكُمْ ويَحُوطكُم مِنْ أعينِ الأغيارِ

وقوله:

تالله إنَّك ركنُ العلم مستلَمٌ منه المعاني إذ الأعلامُ تفتخرُ
وأنت في كلِّ قَطْرٍ كعبةٌ شهرت ما يرحم القطر حتى يُكْرَمَ الحجرُ
مَنْ رام يا بدرُ مَحْوَ الخال منك مَحَا نُسْكَ العبادِ فما حجُّوا وما اعتمرُوا
بالشرقِ والغرب لا يُنشي وفودِيَ في نجم المعارف فالحسنى لك البِشَرُ
فقم بمصر عزيزاً زينةَ الرُّسخا ودُمْ فكلُّ المعاني منك تُبتكرُ

[ابن القُرْدَاح]

ومنهم: العلامة واعظ العصر الشهاب أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن القُرْدَاح، مدحه كثيراً بما ليس الآن عندي منه شيءٌ، وطارحه بأبياتٍ على قافية التاء المثنَّاة، معتذراً عن قضية اتَّفقت له، أبرزها في قالب الاستفتاء، ولعلِّي أن أظفر بها أو بشيء غيرها، فأثبته.

ثم ظفرت بخطه بأبيات هي[1]:

الحمد لله طاب العيش وانبسطت ... نفوسُنا حين زال الهم وانصرفَا
ببُرْءِ قاضي القضاة العالم العلم البـ ... ـحر الخِضَمّ ومَنْ للرُّسْل قد خَلَفَا
قد أظهر الله في توعيكه عجباً ... للخلق شاع جهاراً ليس فيه خَفَا
لما شكا جسمُه نقصاً فشابهه ... بحرُ القياسِ وولَّى يطلُبُ التَّلفَا
وحين عُوفي زاد البحرُ وانحدرت ... أمواجُه ثم نلنا فرحةً ووفَا

[الشِّهاب الحجازي]

ومنهم الشيخ أبو الطيب أحمد بن محمد بن علي بن حسن الحجازي، وله فيه شيء كثير. فممَّا رأيتُه عندي بخطِّه: ما كتبه إليه وقد عُوفي مِنْ رمدٍ عَرَض له:

لا تختشي مِنْ رَمَدٍ ولا تخف ... مِنْ حاسدٍ وارْضَ له بالبَيْنِ
فالله عافاكَ على رُغْم العِدَا ... نَعَمْ وقد كفَاكَ شرَّ العينِ

ومنه ممَّا كتب في سنة أربع وثلاثين وثمانمائة:

مولاي يا قاضي القُضاة ومَنْ غَدَتْ ... كلُّ الورى تَفديه بالأخْداقِ
هُنِّيت عاماً مقبلاً يا سيدي ... وسَمَوْتَ للعلياء باستحقاقِ
أهل الحُبُوس بأسرهم أطلقتَهم ... وأسرتَهم بمكارمِ الأخْلاقِ
كم مِنْ لسانٍ بالثَّنَا أطلقتَه ... فلأنتَ ممدوحٌ على الإطلاقِ

ومنه قوله:

شكراً لرب السماء ... على جزيلِ العطاءِ

---

(١) كتب المصنف هذه الأبيات بخطه في (ح)، وقد أوردها في الضوء اللامع ٢/١٤٣، وشيخه صاحب الترجمة في المجمع المؤسس ٣/٧٧ ـ ٧٨.

فقد سُرِرْتُ بيومٍ قد نلتُ فيه مُنائي
والمنصبُ الآن أضحى ذا بهجةٍ وسناءِ
بشيخ الاسلام حقًّا والحَبْرِ في العُلَمَاءِ
شهابِ دين إله الـ ـعِبادِ رب العَلاءِ
رأسِ السِّيادةِ فينا وسيِّدِ الرُّؤساءِ
كنزِ العُلوم بحقٍّ ومطلبِ الفُقَراءِ
كم طالبٍ قد أتاه أولاهُ خيرَ وَلاءِ
والوجهُ عن بِشْرِ يَروي وكفُّه عَنْ عطاءِ
حديثُه طاب نَشْراً وفيه طيٌّ لدائي
يا بحرَ عِلْمٍ ولكن لم يضْطَرِب بالهواءِ
أُوتِيتَ بَسْطَةَ علمٍ بمصرَ في الفُقَهاءِ
وأنت مِنْ خيرِ قَوْمٍ تخلَّقُوا بالوفاءِ
وبعد كسرٍ أتتنا بشائرٌ بالهناءِ
ولِلأنام ابتهالٌ في صُبحِهِمْ والمساءِ
لربِّهم بدُعاءٍ لكم بطُول البقاءِ
وليس فيهم مُرَاءٍ حقّاً بغيرِ مِرَاءِ
هذا لعَمْرِيَ بيتٌ عليه قَصْرُ ثنائي
وحقٌّ إذ عم فضلاً يَخُصُّه بالدعاءِ
أعِنْهُ يا خيرَ عونٍ والطُفْ به في القضاءِ

ومنه مما قرأته بخطه قوله:

إنْ فَرَّقَ اللحظ فيَّ الفتك أم والى لا تتركَنْ بعدَ أخذِ الرُّوحِ أموالا
فالقتل أيسرُ ما يلقى المحبُّ لِذَا عَذابُه عنده عذبٌ ولو طالا

فمن تفتُّنِ عشقي في هوى قمري ... أحبُّ مِنْ أجل ذكرِ الحبِّ عُذَّالا
وإن وَفَى الحِبُّ وافاني الرَّقيبُ فَمِنْ ... فرطِ المَسَرَّةِ أهوى مِنهُ إقبالا
لله خفةُ رُوحٍ منه واعجباً ... وكم حملتُ بها في الحُبِّ أثقالا
وسيفُ ناظرِه حَدَّاه كم قَطَعت ... إن لم يَصِل قبل قطعٍ منه أوصالا
ولا عجيب إذا ما كان في فمه ... حلاوةٌ مذ أرانا القَدَّ عَسَّالا
أو مال قدٌّ له سكراً فلا عجبٌ ... إذا تضمَّن منه الثَّغرُ جِربالا
وليلةٍ جمعتني والحبيبَ غدت ... في وجنةٍ لزمانٍ مَرَّ لي خَالا
والقُضْبُ في الرَّوضِ قدْ مالت له وغَدتْ ... لما تَثَنَّى تبُوسُ الأرض إجلالا
والنَّرجِسُ الغَضُّ في الأَدْواحِ قام على ... ساقٍ وقبَّل أيضاً منه أذيالا
والدَّوْحُ لما اكتسى مِنْ زهره حُللاً ... من غَيْضِه قد تردَّى الغصنُ أسمالا
والرَّوضُ يضحك مِنْ فعل السَّحابِ وقد ... بكى وأسْبَل دمعاً فيه هطَّالا
والأرضُ تشكرُ إنعامَ السَّماء كما ... شكري لأنْعُم خيرِ الناس[1] ما زَالا
قاضي القُضاةِ شهابِ الدين أحمدَ مَنْ ... لا زِلْتُ أحمدُه ليلاً وآصالا
وشيخ الاسلام كهف الناس مَنْ جُعلت ... سِماتُه مِنْ[2] عُلاَ علياه إذْ لاَلاَ
ما زاغ يوماً عَنِ السُّؤَّال في طلبٍ ... ولم يدع عَرَضاً عنهم ولا مالا
وطالبُ العلمِ والجدوى إذا قصدا ... جنابَه وجَدَا فضلاً وإشغالا
كم حلَّ مِنْ مُشكلٍ عند المباحث لا ... تُحصى وأبدى مِنَ الأبحاث أشكالا
صفاته علَّمتني كيف أمدحُه ... وأظهرت لي مِنَ[3] الأفعال أقوالا
لا حِلتُ يا عاذلي عَنْ مدحه أبداً ... وهو الذي عَنْ مزيدِ البِرِّ ما حالا

---

(١) في (ب): «الورى»، خطأ.

(٢) «من» ساقطة من (ب).

(٣) في «المختصر»: «من له».

قد كنت آمل[1] أن أُعزَى إليه إلى ... أنْ حقَّقَ الله لي مِنْ ذاك آمالا
مع كُثْرِ وُلْديَ مُذ[2] أوليتني نعماً ... لم أشكُ بعدُ مع الإكثار إقلالا
أنتَ الخُلاصةُ ذو الأمرِ المُطاعِ وقد ... حويتَ إذ كنت أسمى النَّاس أفعالا
وزدتُ عطفاً وتوكيداً ومعرفةً ... مُذْ جئتُ نحوك بالشَّرح الذي طالا
فَبَسْطُ عذري عَنِ التَّقصير في مدحي ... إذا غدا مَن سِوَى مولاي إهمالا
فالله يجعلُ هذا الحولَ مُقترناً ... باليُمن يقدُم إسعاداً وإفضالا
واحفَظْهُ في نفسه مع نجلِه أبداً ... وأصلِحْ به في كلا الحالين أحوالا

وله قصيدة أنشدها عند عود صاحبِ الترجمة مِنْ تجريدة آمد، أولها:

صبٌّ قضى حيث لم يقض الذي وجَبا ... مِنْ وصل محبوبه والقلبُ قد وَجبَا

وأخرى أنشدها عند ختم «فتح الباري»، أوَّلُها:

إذا[3] نوَّه الحادي بذكرك أو حدَا ... تيقَّنتُ أنّي صرتُ في الحبِّ أوْحَدا

إلى غير ذلك ممَّا أودَعه في «ديوانه»[4].

[الشهاب المنصوري]

ومنهم: الشهاب أحمد بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد المنصوري.

فمن نظمه: ما أنشده لصاحب الترجمة بحضور الطَّلبة وغيرهم بالخانقاه البيبرسية، وكتبها عنه شيخُنا العلامة ابن خضر، وسمعتها مِنْ لفظِ

---

(١) في (ب): «أمن»، تحريف.
(٢) في (أ): «قد».
(٣) في (ط): «إن».
(٤) من قوله: «وله قصيدة» إلى هنا لم يرد في (ب).

ناظمها[1].

يـا رَشَـأً لـنـوم عـيـنـي شَـرّدَا ... قد كان عيشي بكَ عيشاً رغَدَا

يا صادراً عن مَنْهل الدَّمع لقد ... شاهدتُ من طرفك حَتْفاً وردَا

طرفٌ عن التكحيل مُستغنٍ فمَنْ ... رأى غنيّاً في الورى مجرّدَا

شَنَنْتَ بالهجرِ عليَّ غارةً ... ولم تَخَفْ في قتلِ صبٍّ قَوَدَا

قد كان صبري في الهوى يخذُلني ... لولاَ وجدتُ مِنْ دموعي مدَدَا

عجبتُ مِنْ فعل الهوى بأهله ... كيف يصيدُ الظبيُ فيه الأسدَا

مُذ لاح للعذَّال حسنُ وجهه ... كادوا يكونون عليه لِبَدَا

أصبح سكراناً بخمرِ ريقه ... أما تراه في الحَشَا مُعَرْبِدَا

في خدِّه الأحمر آسٌ أخضرٌ ... يحرسُه مِنْ شَعرِه بأسودَا

جفاك يا قلبُ وخانَ عهدَه ... فاصْبِرْ وإلا مُتْ عليه كمَدَا

مَنْ لمْ يَعُدَّ للجَفَا ليَالِياً ... بكى دماً مِنْ دمعه وعَدَّدَا

ضلَّ الكرى عَنْ مقلتي لمَّا رأى ... طرائقَ الدَّمع بِخَدِّي قِددَا

فحُقَّ لي مذ زار جفني نومُه ... أن أشكرَ الرَّحمنَ ثم أحمدَا

سيدَنا قاضي القضاة المرتضى ... للدِّين والدُّنيا إماماً مُقتدى

سَمَيْدَعٌ قد طابَ أصلاً وزكا ... فرعاً ونال رِفْعَةً وسُؤدَدَا

فمِنْ قديمٍ هو أزكى عنصُراً ... وفي حديثٍ هو أعلى سَنَدَا

أضحت به الأيامُ مستبشرةً ... وأصبح الشَّرع به مؤيَّدا

---

(١) أشار المصنف إلى هذه القصيدة في الضوء اللامع ٢/ ١٥٠، حيث قال في ترجمة ناظمها: وامتدح غير واحد من الأعيان، ومنهم شيخنا، كما أثبت قصيدة له فيه «بالجواهر»، أنشدها بحضرته قديماً، وكتبها عنه الأكابر، كشيخنا ابن خضر، وسمعتها من لفظه مع أشياء.

وهزَّت العلياءُ تيهاً عِطفَها ... لما ترقَّى مِنْ ذُراها مَقْعَدا

حديقةُ الفضل به قد أينعت ... وانتعشَتْ مِنْ راحتَيْه بالنَّدى

لا بَلَغَتْ حُسَّادُه مناهُمُ ... وكلُّ كبشٍ منهمُ له فِدَا

همُ شياطينٌ فمَنَ تمرَّدا ... منهم يَجدْ له شهاباً[1] رَصَدَا

قد خبُثُوا ذاتاً ومعنى والذي ... يَخْبُثُ[2] لا يخرج إلا نَكِدَا

يا مَنْ غدا يَقيسُه بغيره ... ويْحك لا تعْتُ في الأرض مُفسدَا

هل تجعل النَّاقةَ كالبُراق أو ... هل صالحاً في المجد مثلُ أحمدَا

دع فاعلاً قد كان مفعولاً به ... وأفعل التَّفضيل صله أبدَا

وإن يُضارِعْه امرؤ في فضله ... له المضارع اجعلَنَّ مسندَا

لا ترجُ إلا مَن تسامى قدرُه ... أو لازمَ الصَّدْرَ كمن لي مُنجِدا

رفيعُ قدرٍ لا يزال قَدْرهُ ... على الذي في رفعِه قد عُهِدَا

مَنْ زاره يخلُدُ في إنعامه ... فزُره خالداً وقبِّله اليدَا

نوالُه قبلَ السُّؤال واصلٌ ... فلن ترى لسائليه مَوعِداً

فسله مهما شِئت مِنْ جودٍ ومِنْ ... علمٍ ترى بحراً خِضَمّاً مُزْبِدَا

لم يخلُ عقدُ مجلسٍ إنْ لَمْ يَكُنْ ... يوماً بشهدِ لفظِه مُنْعَقِدَا

أشجعُ مَنْ في حربِ بحثٍ ينتضي ... للخصْم مِنْ لسانِه مهنَّدَا

مهذَّبٌ بِدُرِّ عِقْدِ نظمُه ... جِيدُ الزَّمان قد غَدَا مقلَّدَا

لو قيس بيتٌ مِنْ بديع شعره ... بكلِّ ديوانٍ لكان مفْردَا

يُطْرِبُ ألبابَ الجُفاةِ لفظُهُ ... كأنَّما تسمَعُ منه مَعْبَدَا

ما للمعاني عَنْ عُلاهُ مصدرٌ ... يوماً ولا اختارت سواه موردَا

---

(١) في (ب): «سهاماً».

(٢) في (ط) والمختصر: «خبت».

فلفظُه العسجدُ في علُوِّهِ ... لو أن لفظاً يستحيلُ عسجدَا
يا سيداً بفضلِه وبَذْلِه ... صَيَّر أحْرارَ البَرايا أعبُدَا
العبدُ قد أهدى إليك مِدحةً ... وربما يُهْدَى إلى البحرِ النَّدى
تصْغُرُ عَنْ قَدرِك إلا أنَّها ... رضاً لأحبابٍ وغيظٍ لِعِدَا
أبَتْ جِلاَ - إلا عليك - بِكْرِهَا ... إذ لم تجد غيرَك كُفؤاً أحدَا
لا زلتَ ترقى رُتَبَ المجدِ الذي ... إذا تدانى كاد[1] يعلُو الفرقَدا
ولا بَرِحْتَ للأنام ملجأً ... ومَنْجَى وللعُفاةِ مَقصِدَا

[الشهاب ابن والي]

ومنهم: الشهاب أحمد بن محمد، عرف بابن والي. فأنشدني من لفظه لنفسه:

قاضي القُضاة شهابُ الدين سيِّدُنا ... ركنُ المذاهب بيتُ الفضلِ والنَّظَرِ
نال المُنى بمقامٍ زادَه شرفاً ... شيخُ العلومِ فخارُ الرُّكْنِ والحجرِ

[الشهاب السَّيرجي]

ومنهم: القاضي شهاب الدين أحمد بن يوسف بن محمد بن أحمد السَّيرجي الشافعي. فكتب إليه، وقد أسدى صاحبُ الترجمة إليه معروفاً:

بالله قُلْ لإمامِ العصر سيِّدِنا ... قاضي القُضاة المفَدَّى عالم الفِرَقِ
يا نُخبة الدَّهر حتى لا نظيرَ له ... ويا خطيباً إلى المجد المنيف رَقِي
جمعت مفترقات الحُسن فانعطفت ... عليك طُرًّا وهذا العطفُ من نسَقِ
إن كنت في الناس معزُوّاً إلى حَجَرٍ ... فإنَّه الحجرُ الموضوعُ في الحَدَق
بل المكرَّم بل جاءت مدائِحُنا ... للاستلام تجِدُّ السَّيرَ في عَنَقِ

---

(١) في (ب، ط): «كان».

قلَّدتنا منك أطواق الحَمام مِنَ الـ ـفضلِ العميم[1] فصِرنَا وهي في نسقِ
فالوُرقُ تصدحُ بالأشجار في ودقٍ ونحن نمدح بالأسحار في ورقِ
فأسألُ الله يُجري سُحْبَ أنعُمِه مِنْ فضله غَدَقاً عَنْ فضلك الغَدقِ
ثمَّ الصَّلاةُ على المختار مِنْ مُضَرٍ خير البريَّة في خَلْق وفي خُلُقِ

[الزُّعيفريني]

ومنهم الشهاب أحمد بن يوسف بن محمد الزعيفريني.

فكتب تُجاه تقريظه الثاني لابن ناهض:

هذا هو السِّحْرُ لا النفَّاثُ في عُقَدٍ هذا هو الخمرُ لا المعصورُ مِنْ عنبِ

[المجد الزَّمزمي]

ومنهم[2] المجد إسماعيل بن علي بن محمد الكازروني الزَّمزمي المكِّي، والد أبي الفتح ونابت[3]، مدحه بقصيدة منها[4]:

إنْ لم تجودُوا بالوصال وطالَ في هُجرانِكم لَيلي البهيمُ مِنَ السَّهرْ
فَدُجَاهُ يجلوهُ شهابٌ ثاقبٌ مِنْ جَدِّه كيدُ العِدَى عَنِّي حَجَرْ

[ابن حجَّة الحموي]

ومنهم العلامة تقي الدين أبو بكر بن حجة الحموي.

فقال في تقليده الذي كتبه له حين ولي قضاء الشافعية بالديار

---

(١) (العميم» ساقطة من (ب)، وهي في (ط): «الجسيم».

(٢) في هامش (ح) بخط المصنف: ثم بلغ الشيخ عز الدين بن فهد نفع الله به قراءة علي والجماعة سماعاً.

(٣) تحرف في المطبوع من الضوء اللامع إلى «نائب أبي إسماعيل»، وقد ترجمه المصنف في الكتاب نفسه ١٠/١٩٤ ـ ١٩٥.

(٤) أنشدهما المصنف في الضوء اللامع ٢/٣٠٣، وصاحب الترجمة في معجمه ٣/٨٨.

المصرية، حسبما هو في «قهوة الإنشاء»[1].

الحمد لله الذي أطلع للمسلمين شهاباً مطالعُ الأنوار ومشارقُها بكماله تشهد، وأيّد الشرعَ الشريفَ بمن إذا حمِدُوا إماماً، قلنا لهم: هذا الإمام أحمد. وقد أسندوا إليه صحيح الحديث النَّبويّ و«مسند أحمد» لا يُجْحَد. وهو الشِّهابُ الذي إذا ناظَرهُ البدرُ رمِدَ لحمرة الشَّفق مِنْ طول تسهيده، والحاكمُ الذي أعز الله أحكامَه، وكيف لا، والبخاري مِنْ بعض شُهوده، وقد فتحَ الله له بابَ شرحِه، فكلُّ عالم إلى الدخول مِنْ هذا الباب جاري، وما شكَّ مسلمٌ أنَّ هذا الفتح المبارك «فتح الباري». نحمَدُه على الإلهام إلى وضع الأشياء[2] في محلها، ونشكره على العمل بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء: ٥٨].

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادةً تتميَّزُ مؤدِّيها عندَ الحَكَم العَدْل بالعدالة. ويرى علامة القَبُول وتتناول بخط الكرام الكاتبين أسجاله.

ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه الذي مَنْ أتقن علومَ حديثه، كان أحمدَ هذه الأمة، وشهابها الذي يُزيلُ عنها مِنْ دُجَا الإشكال كلَّ ظُلْمة. صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه، صلاةً ما برح الحُكْم بموجب بركاتها مُسَجَّلاً، وفضل حديثها[3] القديم مَعَ الرُّواة مُسلْسَلاً، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد، فمنصِبُ الشرع قد فهمنا مِنْ لسان حاله ما يُغني عَنْ بيانِ النطق وبلاغته، وعلمنا أنَّه مُفْتَقِرٌ إلى شافعيٍّ تتكملُ صحَّةُ العقُود بثبوت كفاءته، ومُلتَفِتٌ إلى إمامٍ تُصلِّي أئمةُ العلم خلف إمامته، وتعزُّ الأصحاب في أيامه بأحمد [وصحابته].

---

(١) وقال المصنف في ترجمته من الضوء اللامع ١١/ ٥٥: وأوردت من تقاليده التي أنشأها لشيخنا في «الجواهر والدرر».

(٢) في (أ): «الأسماء».

(٣) في (ب): «خدمتها»، تحريف.

ولقد أكثر هذا المنصب سؤاله على أن يتأيَّدَ بهذا الإمام في الأيام المؤيدية[1]، وكرر ذلك][2] على أن يستضيء بنُوره الظَّاهر في الأيام الظَّاهرية، وأبى الله أن يظهر شرف هذا الشهاب في غير أيامنا [الأشرفية، وإن تأخر فتأخُّرُهُ في الوقت، لا في الدَّرجة العالية. فإنَّ المناصبَ تارةً يسمو بها صاحبها][3]، وتارة تكونُ بمثلِ هذا الشهاب الزاهر زاهية[4]. فإنَّه ممَّن يجِلُّ أن يُقال في ولاية مثله: ليت ولولا. وإن تقدَّمته ولايةٌ، فلسان الحال يتلو[5]: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ [الضحى: ٣].

وقد طوينا به أخبارَ مَنْ سلَفُوا ... لأنَّه عَلَمٌ بالفضل منشُورُ
أحاط بالعلم حتى صار[6] يحصُرُه ... كأنَّ أفكارَهُ مِنْ حولِه سُورُ
ومِنْ فوائده يُعطي بلا قدرٍ ... فما لإعرابه في الفَضْلِ تقديرُ
بدا الهلالُ وقد هُنِّي بطلعته ... فصارَ للناسِ تهليلٌ وتكبيرُ[7]
وأبيضُ الصُّبح قد وافاه مُبتسماً ... وأسودُ اللَّيلِ قال العبدُ مسرورُ
له يراعٌ سعيدٌ في تقلُّبه ... إنْ خطَّ خطاً أطاعته المقاديرُ
محَبَّرٌ وبتحرير العلوم إذا ... جرى يُرى منه تحريرٌ وتحبيرُ
كذا محابُره سودُ العيون فإنْ ... دانت أياديه فهْي الأعينُ الحُورُ

ولقد مدَّ الهلال شَفَةً فتحت لتقبيل هذا التقليد، وأشعلَ كفُّ الثُّريَّا شمعة المرِّيخ، فوقف بها مسرور الليل مِنْ جملة العبيد، وتقمَّع كفُّ الخضيب بسوادِ الليل، وترك عين الشَّفق عليه حمراء. وبالأمس نزل

---

(١) في (أ): «المؤيدة».
(٢) من قوله: «صحابته» إلى هنا سقط من (ب).
(٣) من قوله: «الأشرفية» إلى هنا سقط من (ب).
(٤) في (أ): «زاهرة» وفي (ب، ط): «سامية».
(٥) «يتلو» ساقطة من (ب).
(٦) «صار» ساقطة من (أ).
(٧) في (ب): «تكريم»، خطأ.

فارسُ الغيث عن تفُرق البرق، وقبّل مواطىء الأرض على هذه البُشرى، وسال نهرُ المجرّة ذلك، فردَّ سائله نهراً. وكشف الجو شعريّة الغيم عَنْ وجوه أقماره، وحيّا مِنْ نجومه وشموسه بنرجسه وبهاره. وابتسم ثغرُ البرق عَنْ لَعَس الغيم، فلم يفُته مِنْ دُرِّ النجوم شَنَب، وما خفي أنَّ السُّحبَ أدارت كؤوس الهَنَا مبرَّدة، وكان جمان البَرَدِ لها مِنْ بديعِ الحَبَب، وهام حوتُ السَّماء إلى العَوْم في بحر علومه الذي زاد على [النِّيل بكثرة النَّيْل. وودَّ زورقُ الهلال أنَ يوسق مِنْ عنبر سطوره، لا من حمولة عنبر الليل. فإنه][1] الشِّهابُ الذي إذا غَامرَ في أمر مَرُومٍ، لم يقنع بما دون النُّجوم.

وقد انتهت الغايةُ بولايته إلى أنْ صار شرطَ كلِّ واقفٍ ماشياً، وقضت نُوَّابُه بالحقِّ، فصار كلٌّ منهم يقتُل الباطل قاضياً. وأنعمنا على هذا المنصب بولايته، فاعترف بجزيل الصَّنيع، وارتفع المحرَّمُ في صفر، فتنزه المسلمون في ربيع.

ولما كان الجنابُ الكريم الشهابي هو الذي حصل الإجماعُ مِنْ أئمة الفِرَقِ على تقديمه، ورسم اختيارنا الشَّريفُ برسم تقليده. فما خالفَ مسلمٌ في تَوْزِيَةِ مرسومه. وقال المتعبِّدُون بالعلم: هذا إمامنا بالجامع الكبير. وقال «لسان الميزان»: هذا بشهادة الله صاحب التحرير. وهذا صدرُ العلماء الذي اطمأن به قلبُ الزَّمان، واشتدَّ ظهرُه. وإن قلنا: إنَّه ساد على كثيرٍ مِنَ المتقدمين، أنشد لسان الحال وقد رسخ في المسامع شعرُه:

يقضي الجسودُ له قضاءَ ضرورةٍ بفضيلةِ الطَّاري على المتقدِّمِ

اقتضت آراؤنا الشَّريفة أن نظهر في أفق ملكِنا الشَّريفِ نورَ شهابه، ونثبِّت أوتاد الدِّين القيِّم مِنْ غيرِ فاصلةٍ بأسبابه. فلذلك رسمَ بالأمرِ الشَّريفِ العالي المولوي السلطانيِ الملكي الأشرفي ـ لا زالت شُهُبُ العلم في مطالع شرفه زاهرة، وحدائقُ مصنَّفاتِ العُلماء في روضات أيامه زاهرة ـ أن يُفَوَّضَ

(١) ما بين حاصرتين ساقط من (ب).

للجناب الكريم، المشار إليه وظيفة قضاء قضاة[1] الشافعية بالدِّيار المصرية والممالك الإسلامية المحروسة. فإنَّه الشِّهابُ الذي نجومُ تصانيفه مُشرقةٌ في ظلمة كل إشكال. ولمَّا خشينا مِنَ الجهل برجال الحديث، بادَرَ إلى الاحتفال بأسماء الرجال. وهو بحمد الله نتيجةُ هذا العصر، وصاحبُ المقدمة[2]. وبه حصل التغليق، وفزنا بالتوفيق. وهمنا إليه بالتَّشويق، فأكرِم بها مكرمة.

ولقد تميز عندنا بتقريب الغريب، وقلنا: لا ينكر ذلك لِمَن جُبِلَ على تهذيب التهذيب. وتالله إنَّ ثقاة الرِّجال تشهدُ له بالتَّمييز والإعجاب، فإنَّه المقرُرُ للإصابة، وعنده شفاء العِلَل وخاص اللباب. ما جاءه مستفيدٌ إلا وجدَ عنده الإيناس وترتيب الفوائد، ولمَّ تفريقَ ذهْنِه بالمجْمَع، وفرجه بعد نقصه بالزوائد. فإنَّه الشِّهابُ الذي له الأجوبة المشرقة، وصاحبُ الاستدراك الذي التفَّ منه وجهُ كلِّ مصنِّفٍ مِنْ الحيا. وكم لَمَّ أطراف الأحاديث المختارة، فأغنى بنُورِ شهابِه عَنِ الضياء، وهو صاحب النُّكت والتَّخريج والتغليق والترتيب. وكم جاءنا بالمنتخب والتعريف بالنبأ، ونبَّه الأفهام بالتَّقريب. وإن ذكرت المقاصد الحميدة، فهو صاحبُ المقصدِ الأحمد، وقد استدَّ به هذا الباب، لأنَّه صاحب القصدِ المسدد. وهذا الشهابُ بحمد الله صاحبُ الأنوار، والآيات المنيرة على شمس النهار. وقد أقرَّ له أهلُ العلمِ بالاعتراف، لما نبَّه ناسيهم بالتذكرة، وعنده لهم نزهة النَّواظر وتبصير المنتبه وتربية الطَّالب على الخصال التي هي مِنَ الذُّنوب مكفِّرة. ولقد أرانا مفتاحَ كلِّ تلخيص، وأعرب عَنِ المعجم الكبير وحرَّره.

ولمَّا أحكم تصحيح الرَّوضة، أظهر فُروع أفنانها مُزهرة، وشرح مناسك المنهاج، فحجَّ بالمسلمين وهو قاعد، وكلّ ما علَّق الشافعيُّ القول

---

(١) «قضاة» ساقطة من (أ).

(٢) يعني «مقدمة فتح الباري» المسماة «هدي الساري»، وابن حجة يورد هنا أسماء كثير من مصنفات الحافظ ابن حجر مثل تغليق التعليق، وتهذيب التهذيب، والإصابة، وتبصير المنتبه، وغيرها، بأسلوب أدبي بليغ.

به على الصِّحَّة، كانت المنحة عنده على تلك الفوائد.

هذا، ومصنَّفات الغيرِ في بقية العلوم، فقد تكرَّر وقوفُها له بالأوراق، حتى رَفَع عنها مظالم الإشكال، وطوّق أجيادَ طُروسِها مِنْ سطورِ تنكيته بأطواق.

فلينظر فيما فوَّضْنَا إليه، فإنه ـ بحمد الله ـ أهلُ النَّظر والبصيرة. وقد رجَوْنَا أن تكونَ ولايَتُنا له عند الله نعمَ الذَّخيرة. والوصايا كثيرة، ولكن مثل رشيد رأيه لا يدلُّ على صواب. فإنَّه الحاكمُ الذي إذا حكم في كتابه، عُوِّذ المسلمون بـ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ [البقرة؛ ١، ٢] وما أحقه بقول الفاضل: «وقَرَّت به العُيونُ، وأقرَّت الألسنة». وسارت فضائل هذا الشهاب مسيرَ الشَّمس، فملأت النَّواظر والأمكنة. وتعالى المادح في صِفاته، فكانت أكثرَ مِنْ دعواه البيِّنة. ولقد قال العدو فيه ما قاله الوليّ، وأشبهت به صدورُ الكتب صدورَ الغانيات بما فيها مِنَ الحُلِيّ[1]. وقد أعادَ على الإسلام زمانَ السَّلف الصالح، وأشرقَ سعدُ سُعودِ شهابه، فاستعمل للأعداء سعدَ الذَّابح. وتحصَّنت سماءُ الدِّين به فوقَ سماء الدُّنيا، فما استطاعها ذمُّ النَّابح.

والله تعالى يُديمه شهاباً يحرِقُ به المرَدَةَ مِنْ أعداء هذا الدِّين، ويبقيه خاتمة لِمَنْ سلفَ مِنَ الأئمة. وختامُ هذا الدعاء يحسُن بآمين.

[أبو بكر الزبيدي]

ومنهم: الرضي أبو بكر بن أبي المعالي الزَّبيدي، ستأتي في الألغاز[2] أبياتٌ قدَّمه فيها على الفاضل وابن الأثير.

---

(١) في (أ): «الحلة»، تحريف.

(٢) ٢/٨٠٦.

[ابن صدقة]

ومنهم: البدر الحسن بن أحمد بن صَدَقة الحُصوني ثمَّ الحلبي.

فقال لما أجاب صاحبُ الترجمة البدرَ ابن سلامة بما سيأتي في المطارحات مما سمعه منه صاحبُنا النجم بن فهد الهاشمي العلوي:

ألا يا فريدَ الدَّهرِ يا واحدَ العصر ... نظمتَ عقوداً مِنْ جُمانٍ ومِنْ دُرِّ
وأبرزت من أبكارِ[1] فكرك بلْوَرَ ... عرائسَ أبكار تجلت من الخِدْرِ
وحلَّيت هاتيك العُقود فوُشِّيت ... وسبَّلتَها للخاطبين بلا مَهْرِ
فلله ما أغلى[2] معاني بديعِها ... ولله ما أغلى نفائسها الغرِّ
إذا جُلِّيَتْ بين النَّدامى شَمولُها ... تراهم سكارى مِنْ شذاها بلا خَمْرِ
وإن نُشِرَتْ أوصافُ طيِّ جمالِها ... لهم ذهلوا في ذلك الطيِّ والنَّشرِ
فيا خاطبين الحور مِنْ جنةٍ إليّ ... هلمُّوا إلى حُورٍ حسانٍ مِنَ الفكرِ
ولمُّوا[3] إلى روضاتِ جنَّاتِ نُزهة ... أزاهرها تزهو على الأنجُم الزُّهرِ
رياضٌ تجلَّت في غلائلِ سُندسٍ ... مرقَّمة بالوشْيِ مِنْ مُونِقِ الزَّهْرِ
وقد عبَقَت أنفاسُ عطرِ نسيمها ... فعطَّرتِ الأكوانَ مِن نشرها العِطرِ
فنُشِّقتُ منها ريمَ رامةَ والنَّقا ... وأنفاس ليل فاعتراني الهوى العُذري
ونادتنيَ الأشواقُ يا مدَّعي الهوى ... أما هذه ليلى أماطت عَنِ الثَّغرِ
فأين الذي يبغي التقاطَ جواهرٍ ... مِنَ الثَّغر والأفكارِ والنَّحر والبحرِ
تبدَّت لنا مِنْ فكرِ أفضلِ عالمٍ ... وأكملِ مَنْ قد فاق في النَّظم والنَّثرِ

---

(١) قال المصنف في ترجمة ابن صدقة من الضوء اللامع ٣/٩٣: وقد كتب عنه صاحبنا النجم بن فهد قصيدة رائية في شيخنا، أودعتها «الجواهر».

(٢) في (ب): «أفكار»، تحريف.

(٣) في (أ، ط): «أحلى».

(٤) في (ب، ط): «وأمُّو».

إمامِ البرايا شيخ الاسلام حافظِ الـ زَمان يتيمِ الدَّهر في الفضل والفَخْرِ

وقال أيضاً مما سمعه منه النجم المذكور:

مَنْ أودع السِّحرَ في تكسيرِ مُقلتِه وأينعَ الزَّهرَ في جنَّات وجنتِهِ
وألمعَ البرقَ مِنْ أنوار مبسَمِه وأطلعَ البدرَ في ديجور جُنَّتِه[1]
ومَنْ أدار يواقيتَ الشِّفاه على جواهرٍ نُظِّمت في سلك لَبَّتِهِ
ومَنْ لتبريد قلبٍ نارُه اتَّقدت مِنْ نورِ شمسِ مُحيّاهُ وطلعتِهِ
يا عاذلي فيه ما هذا الضَّلالُ وقد نطَقن[2] عن طرفِه آياتُ فترتِهِ
أرشد سواي فلا أصبو إلى عذَلٍ ولم أحُلْ عَنْ معاني حُسْنِ صورتِهِ
غُصْنٌ إذا ماسَ في أغصانِ دَوحٍ نقاً تعلَّمت هيفاءُ مِنْ حُسْنِ خَطْرَتِهِ
فردُ الجمال كما في الفضل سيِّدُنا قاضي القُضاة فريدٌ في سيادتِهِ
قطبُ الزَّمانِ فريدُ العصرِ حافظُهُ بحرُ العلوم فكلٌّ في قَضَايتِهِ
وشيخُ الاسلام هادي الطَّالبين إلى مناهجِ الفضلِ مِنْ يُنبوعِ حكمتِهِ
هو المعوَّلُ في هذا الزمان على عُلومِه، المتعالي في روايتِه
هو الذي انتشرت آياتُ حكمتِه في الخافقين فتِهْنا في محبَّتِهِ
سبحان مَنْ خَصَّه بالفضل أجمعه وخصَّنا بتدانيه ورؤيتِهِ[3]
قد ساقه الله مِنْ مصرَ إلى حلبٍ لِيخُصَّني بسَنَا أنوار مُهْجَتِهِ
ماذا أقولُ مديحاً فيه وهو على أسنى المديحِ تسامى فوقَ رُتبتِهِ
وإنني لو وضعتُ النَّفس موضِعَها لكنتُ دانيت عن مدحي لعزَّتِهِ
وحِلمُه وهو أهل الحِلم يحملني على اجترائي ولسْت[4] أهلَ مِدحتِهِ

---

(١) في (ب): «وجنته».
(٢) في (أ): «قطعن».
(٣) في (أ): «ورتبته».
(٤) في (ط): «ولسنا».

ثمَّ الصَّلاة على المبعوثِ مِنْ مُضرٍ خيرِ النَّبيِّين هادينا بشِرْعتِهِ
ما رنَّح الرِّيحُ بانات اللوى[1] سحراً وأطربَ العِيسَ حاديها بنغمتِهِ

[حسن الصَّفدي]

ومنهم حسن بن عبَّاس بن محمد الصَّفدي، ثم الدمياطي.

فأنشدني حيث[2] لقيته بها قصيدةً أولها:

أقول وقولي جامعُ الحمدِ والثَّنا لمن شرح النَّقل المُشَيَّدَ[3] كالبِنَا
وأتقنَ أحكامَ الجواهرِ كلِّها صحاح رجال الفضل والجود والثَّنا

وهي تسعة عشر بيتاً، حذفتها تخفيفاً.

[ابن العُليف]

ومنهم البدر حسين بن محمد بن حسن العُلَيف المكي الشافعي.

فقال فيما أجازنيه، وسمعه صاحبنا النجم ابن فهد الهاشمي من لفظه بجدَّة سنة خمسين، مما أرسل به لصاحب الترجمة[4].

مِنْ رُبا عِترة المحل الأمين وثرى مَسْقط الرأس الأمينِ
صدرت لي أَلُوكَة مِنْ مديحٍ بالثَّنا والدعا والحنينِ[5]
داعيات[6] باليُمن للباب يمنى حجرٌ للإله خير يمينِ

---

(١) في (ب): «النوى».
(٢) في (ط): «حين».
(٣) في (ب): «المسند»، تحريف.
(٤) قال المصنف في الضوء اللامع ٣/١٥٦: وراسل شيخنا بقصيدة امتدحه بها، وفيها أيضاً من نثره حسبما أودعت ذلك برمته في «الجواهر».
(٥) في (ط): «ثم الحنين».
(٦) في (أ): «داعياً».

لإمـام الـزّمـان مُـسـنـدِ وقـتٍ ... رُحْلَة العصرِ في جميع الفنونِ
وهو قاضي القُضاة في خيرِ مصرٍ ... شيخُ إسلامنا شهاب دينِ[1]
هـو عـتّـاب حـكـمُـهُ وشُـريـحٌ ... وإيـاسٌ فـي فـطـنـةٍ لـفـطـيـنِ
وهـو سـفـيـانُ عـلـمـه ابـنُ سـعـيـد ... وهـو سـفـيـانُ حـفـظـه ابـن عُـيـيـنِ
ومـراسـيـلُـه حـكـت لـسـعـيـد ... فـي مـراسـيـلـه صـحـاحُ الـمـتـونِ
وأسـانـيـده بـلا قـلـت فـيـهـا ... وبـلا عـقـل نـزهـت مِـنْ جـفـونِ
بـغـيـة الـطّـالـبـيـن فـي كـل فـنٍّ ... عـيـنُ أعـيـانِ مـصـر فـي الـتّـعـيـيـنِ
عـسـقـلانـي عـطـا مـكـيٌّ فـقـهٍ ... وهـو فـي حـفـظـه عَـلِـيُّ ابـن الـمـديـنـي
حـجَـريٌّ[2] لـه مـعـيـنُ حـديـثٍ ... ارتـوى مـن زلالـه ابـنُ مـعـيـنِ
وهـو فـي حـفـظـه كـشـعـبـة ورد ... وابـن سـيـريـن قـبـلـه وابـن عـونِ
شـافـعـيُّ الـعـلـومِ فـي كـلِّ عـلـمٍ ... مـزنـيٌّ ولا أقـول مُـزَيـنـي
وعَـلاَ ابـنَ الـعـلاءِ قـراءة حـفـظٍ ... وأبـا عـمـروٍ بـعـده والـرُّعـيـنـي
وهـو طـوسـيُّ حـفـظـه فـي حـديـث ... وأبـو زرعـة لـحـفـظٍ مُـبـيـنِ
وسـمـا فـي كـمـالـه ابـنَ سُـرورٍ ... ثـم مِـزيُّ الـحـفـظ والـبـلـقـيـنـي[3]
وابـن عـبـد الـبـر ثـمَّ الـسـهـيـلـي ... فـاق فـي الـنَّـقـل نـقـلَـهـم عَـن يـقـيـنِ
وهـو أحـيـا فـي الـعـلـم صـاحـبَ «إحـيـا» ... والـجـويـنـي فـي الـفـهـم[4] والـقـزويـنـي
ولـه فـي «الـوجـيـز» لـفـظ عَـزيـز[5] ... عـمَّ بـالـبـحـرِ روضـةَ الـتَّـفـنـيـنِ
ولـه فـي «الـبـيـان» حُـسـن بـيـانٍ ... ولـه فـي «الـمـعـيـن» رأيُ مَـعِـيـنِ

---

(١) في (ب، ط): «شهاباً لدين»، وفي (ح): «شهاب الدين».
(٢) في (أ): «حجر».
(٣) في (أ): «التلقين».
(٤) في (ب): «والعلم».
(٥) في (ب، ط): «عزيز».

رافعيُ العلومِ وابنُ دقيق ... وابن بري يحيى سليلُ حسينِ
وهو أحيا في أرضِ مصر أخيراً ... لسراجِ الأئمة البلقيني
فاق في «فتحه» البخاريَّ شرحاً ... لابن بطال باطلِ التَّبيينِ
يا شهابَ الهُدى ويا خيرَ قاضٍ ... حازَ في علمه جميعَ الفُنون
فاق في فقهه أصولاً وفرعاً ... وخلافاً ومذهباً ذا شُئُون[1]
حازَ في العلم كلَّ معقول علم ... ثمَّ منقولِ حافظٍ وأمينِ
بإجازاتِ مدحنا جُذْ، وجُذْ لي[2] ... بإجازات علمك المكنونِ
قل لنا في سؤالنا منك حرفاً ... لم يكُن فيه حرفُ مدٍّ ولينِ
لم يكن فيه حرف عِلَّةِ منعٍ ... وهو اسمٌ لجمعِ مال ضنينِ
ذاك شيءٌ له عَطِيَّةُ وَعدٍ ... وهو دَين لذي سماحٍ ودينِ
قلبُه إنْ أردتُ معنى فمعنى[3] ... علمه في سماحِ جُودٍ هتُون
فافهم الرَّمزَ يا إمامَ زمانٍ ... هو في فهمه فريدُ القَرينِ
مَنْ رجاهُ فليس يُخْفِقُ مَسْعَا ... هُ ولا ينثني بخُفَّيْ حُنينِ
حاطكَ الله شرَّ مِغْيانِ عينٍ ... مثل صادٍ وحاجبٍ مثل نونِ
وكَلاَكَ الإلهُ مِنْ كلِّ سوءٍ ... بالطَّواسيم ثمَّ صادٍ ونونِ
دُمت فينا إمام سُنَّةِ علم ... منه تحيي المفروض بالمسنونِ
أنت فيه للمؤمنين أمير[4] ... بيقينٍ مِنَ المحال يقيني

يقبل الأرض، ويُنهي أنَّه ما انحسرت بمعاجر الدَّياجي عَنْ فَرْقِهَا الأشيب، ولا ضحكت أوضاحُ الصباح عن ثغرها الأشنب، إلا وأخذ العُبَيدُ

---

(١) في (ب): «شجون».
(٢) في (ط): «ثم جدلي».
(٣) في (أ): «ومعنى».
(٤) في (ب، ط): «أمين».

مبتهلاً بالأدعية المجابة، تُجاه بيتٍ جعله الله للناس أمناً ومثابة، وخصَّ الدُّعاء حوله في خمسة عشر موطناً بالإجابة، لعلمه أنَّ ذلك فرضُ عين، يتعيَّن على ذي بصيرة وعين وأوان وعين، لمولانا وسيدنا ملك العلماء الأعلام، سيد القضاة والحكام، الموفَّق في الأحكام، شيخ مشايخ الإسلام، العالم بالحلال والحرام، الإمام العلامة الهُمام الخضم الكَهام، أمير المؤمنين في حديث سيد الأنام، قاضي القُضاة المجتهدين، واسطة عقد دُرِّها الثَّمين، مولانا شهاب الدنيا والدين، خالصة أمير المؤمنين، أسعده الله في الدَّارَيْن والدَّارين، وأتحفه بسلام أطيبَ مِنْ مِدْرارين، الغنيُّ عَنِ الإطناب في الألقاب، العَنِيُّ بخدمة الأحْباب والأصحاب، إمام أهل السنة الفائق على صاحب الجُنَّة، أثابه الله الجَنَّة، وحرسه الله مِنْ شرِّ الإنس والجِنَّة، بفضله والمِنَّة. آمين.

وبعد، فلما شاع من فضله ما شاع، وذاع مِنْ كرمه ما ذاع، ما أذهلَ الأبصارَ والأسماع، وعصَمَهُ الله تعالى مِنَ الثَّلاثِ المهلكات التي تُروى لها بالسَّماع مِنْ حديث «شُحٌّ مطاع»، أحببنا أن يكون له نصيبٌ مِنَ الأدعية الحَرميَّة، والمدائح المكية، والنفحات الأدوية، والنفثات المعربة[1] اللغوية في الأوصاف الأحمدية، وإمام السَّنة المحمدية، ليشرف بذلك نذير قلمي وبناني، وفهمي وبياني، ويفتخر بذلك نظمُ تصانيفي وديواني، وفرائد قلائد دُرِّ لساني. صدَّرْتُ إلى نظرِ جِهْبذِ الحفَّاظ الكلمة الرائقة، دُرية الألفاظ الحاوية بأوصافه معاني المديح الجائزة، المستحقة منه أسنى جائزة، ومدحنا يُنشد قوافيه قولنا، فيها وفيه:

خَيْراتكُم أرجُو لها خيرَ مهرِ ... مِنْ خيارِ البُعول والأزواجِ
مثل بلقيس زُوجت بسليما ... نَ وقد جُرِّبَتْ بصرحِ الزُّجاجِ
فهي من فوزِها به في سُرورٍ ... وهو مِن حوزِهِ لها في ابْتهاجِ
في لباسٍ مِنْ سُندسٍ لو أرادت ... سَتَرَتْهُ بشعرِها الدَّيَّاجِ

(١) في (أ): «العربية».

حليُّها مِنْ جواهر ونُضارٍ واقدٍ مثل لونها وهَّاجِ
كل جمع يروي به مثل ليلٍ مظلمٍ وهو له مثل السِّراجِ[1]
لا اعتراضاً يرى ابنُ[2] مالك فيها لا ولا للخليل والزَّجَّاجِ

ولعمري، ما حَسُنَ مثقُوبُ تلك الجواهر إلا بالشِّهاب الثاقب، ولا لذَّ ركوبُ تلك البَكرة الأبيَّة، إلا بركوب الراكب. وهو ـ أعزَّه الله ـ كما قيل:

ولم يستفد بالمدح ما ليس عنده وهل ينفع التحْجيلُ ما هو أشهبُ

وقد فتحنا بأوصافه البديعةِ أكرمَ باب، وأبدع جَنَابٍ، وما عليه في ذلك مِنْ عاب، إذ ما على الكُرماء مِنْ حِجاب. ولو أسعدَ الجدُّ وأنجدَ السعدُ، لما ناب في خدمته قلَمي عَن قَدَمي، ولا ورد مشرعة الأُنس به كتابي قبل ركابي، ولا سَعِدَ برؤيته رسولي دُون وصولي، ولكن كيف الطَّيرانُ بلا جَناح، وهل على مَنْ لا يجد مِنْ جُناح. ولله در القائل:

أهِمُّ بشيء والليالي كأنها تُطاردني عَنْ كونه وأطاردُ

وأما غيرُ ذلك مما تحيط[3] به العلوم الكريمة أدام الله علاها، وأعزَّها وأعلاها، أنَّ المملوك ممن يُعزى إلى لُحمةِ أهل الأدب، وله في العلوم بعض طلب، وفي رجائك أقوى سبب، [وأشرف نسب][4]، وهو في البُقعة المكيَّة والعَقوة الحرميَّة.

بلاد بها نِيطَتْ عليَّ تمائمي وأوَّلُ أرضٍ مسَّ جلدي ترابها

[وله بمكة المشرفة كَرِش وعيال، تضيق بكثرتهم الأحوال. وهي كما

---

(١) في (ط): «كالسراج» وكتب المصنف في هامش (ح): «لعله كالسراج».
(٢) في (ب): «أن».
(٣) في (أ): «يحاط».
(٤) ساقطة من (ط).

قال الله تعالى الجليل على لسان نبيه الخليل ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ ﴾[1] [إبراهيم: ٣٧]. ولله دَرُّ القائل:

ومَنْ طلبَ العيالَ بغيرِ زرْعٍ ولا ضَرْعٍ فقد ظلم العِيالاَ

وامتدحْنَا مولانا سيِّدَ القضاة، المجتهد في طاعة[2] الله ورضاه بهذه القصيدة الشريفة، والنُّخبة اللطيفة، مستمدين منه أسنى الجوائز، القائم بأوَدِ الحالِ العاجز، وتقرير صَرَّةٍ جزيلةٍ مِنَ العطايا الجليلة، تكونُ مِنْ حَجَرٍ أشرف الحجرين، ومِنْ شهابٍ فاق[3] القَمَرين. تُضحي لنا سبباً للغنى مِنْ شهابها، ويُحول الحولُ على نصابها.

ولقد كان المملوكُ يرسل إلى أخينا الشَّفيق، الذي هو لنا مِنْ لُحْمَةِ الأدب والعلم شقيق، القاضي شرف الدين إسماعيل المقرئ، رحم الله مثواه، وبُلَّ بوابِلِ الرَّحمة ثراه، قصيدة ومكاتبة فيجمَعُ له مِنْ أعيانِ زبيد قدرَ مائة دينار ذهباً مِنْ يده ومِنْ جاهه، فكأنَّها مِنْ ماله. والمملوكُ يطلبُ مِنَ الصَّدقات القضائية الإمامية[4] الحاكمية الغرضَ المطلوبَ، أو كالحاجة التي في نفس يعقوب، المساعدة مِنْ ماله وجاهه وشفاعته، وحسن رعايته وعنايته:

والفَتَى إن أراد نفعَ صديقٍ هو يَدري في نفعه كيف يَسْعَى

وعلى المملوك دَيْنٌ ناهض، رفعتُه إلى مَنْ له خافض، يرجو إن شاء الله تعالى مِنْ مولانا القاضي قَضاءَه، ومحو ذلك الدين وإمضاءَه، وهو في ذلك كما قيل:

لست مستبطئاً نداك ولكن عاجلتني رِقَاعُ أهلِ الدُّيون
عَلِموا أنني بوعدك أمسيـ ـتُ مليًا فأصبحوا يَطْلُبوني

---

(١) ما بين حاصرتين لم يرد في (ب).

(٢) «طاعة» ساقطة من (أ).

(٣) في (ب): «فأحرق».

(٤) «الإمامية» ساقطة من (أ).

ثم ذكر أنَّه يُدَرِّسُ بالحرم في العربية وغيرها، ويسأل في تقرير شيء أيضاً لولدٍ له بالغٍ بارع يسمَّى محمداً.

ثم قال: والحالُ كما قال إمامنا الشافعي رضي الله عنه:

وإني ليخفَى باطني وهو موجَعٌ ... ويظهر منِّي ظاهري وهو ضاحِكُ
وأُسألُ عَنْ حالي وبي كلُّ فاقةٍ ... فأُظهِرُ أني للعراقين مالكُ

وذكر أنَّه لا يتعرَّضُ لسؤال أحدٍ مِنَ المكيِّين، وأنه كان أمراؤهم ـ كحسن بن عجلان ـ يصله بمائتي دينار فأكثر، وتغير ذلك، وقد ضعُفَتِ الولايات، وقُبِضَتِ الحواصِلُ، وقل العُوَّان، والله المستعان، والأمر كما قيل:

ذهب الذين يُعاشُ في أكنافهم ... وبقيتُ في خَلف كجلد الأجربِ

وقد ذكرنا مِنْ أوصافكم الحميدة، وتراجمكم العديدة، ما عددناه في القصيدة الفريدة، والنُّخبةِ المجيدة، مِنْ تراجم السَّلف الصالح، الذين يُعجزون بأوصافهم[1] كلَّ مادح، مِنَ الصحابة والتابعين [وتابعي التابعين][2]، وعلماء الإسلام والدِّين، أعادَ الله علينا وعليكم مِنْ بركاتهم، ليكونوا عند مولانا سيِّدِ القضاة المجتهدين شفعاء في العطايا العديدة، والمكارمِ المديدة، القريبة غير البعيدة، حتى يقول[3] كقولنا في ذلك:

عزائمكم كالشَّمس تجري ولا تُمسي ... وأقوالنا فُتيا[4] وآمالُنا تُنشي
كأنَّا وقد نِلنَا على البُعد فضلَكم ... أتانا به آتي سليمان[5] بالعرشِ

وإنَّما يعرفُ الفضلَ لأهلِ الفضلِ أهلُ الفضل، وأنتم منهم. ويصِلُنا

---

(١) في (أ): «بأوصافكم».
(٢) ما بين حاصرتين لم يرد في (أ).
(٣) في (ب، ح): «يكون».
(٤) في (ب، ط): «فقهاً».
(٥) في (ب): «في سليمان»، خطأ.

الجوابُ والثَّوابُ مونقاً إن شاء الله تعالى بعد السلام ونوال المشار إليه بالأدعية المباركة.

بالله يا مولانا قاضي قضاة المسلمين، لا تُخْلِفْ عنَّا منكم الصِّلة والعائد مع أولِ وافد وارد، وجوابكم الشريف وخطابكم اللطيف. فللكتاب حقُّ كردُ السلام. أنهى ذلك المملوك والسلام.

[خطَّاب بن عمر الدمشقي]

ومنهم الشيخ خطَّاب بن عمر الدِّمشقي، فأنشدني مِنْ لفظه لنفسه، وكتب ذلك عنه صاحبُ الترجمة [في سنة تسع وثلاثين وثمانمائة][1]، فقال:

ليس المسمى الاسم عندي فكذا ... حقَّقه الحُفَّاظُ مِنْ أهل النَّظَرْ
وشاهدي ظَرفٌ ولطفٌ طُبِعَا ... في شيخ الاسلام الإمامِ ابن حَجرْ

قلت: ولصاحب الترجمة:

الاسم غيرُ المسمَّى ... والحقُّ أبلجُ واضحْ
فإن تشَكَّكْتَ في ذا ... فانظرْ لسيرةِ صالحْ

[ولغيره [في العكس][2]:

قال النحاةُ بأنَّ الاسمَ عندهُمُ ... غيرُ المسمَّى وهذا القولُ مردودُ
الاسمُ غيرُ المسمَّى، والدَّليلُ على ... ما قلتُ أنَّ شهابَ الدِّينِ محمودُ][3]

ومنهم الغَرس خليل بن أحمد بن الغَرس.

---

(١) ما بين حاصرتين لم يرد في (أ، ح).
(٢) ساقطة من (ط).
(٣) هذه الفقرة لم ترد في (ب).

امتدحه بقصائدَ عدَّة طنانة، منها[1]:

لهجتُ بقولي للدليل ألا سِرْ بي ... إلى أن أصابت مُهجتي ظبيةُ السِّربِ
تميسُ قضيباً ثُمَّ ترنُو بلحظها ... فتاة على الحالين تفتِك بالقُضبِ
إذا يَمَّمَ الحادي الحجازَ مُصعِداً ... تراني في أوجِّ الحصاف[2] مع الركبِ
وأعشق جَوْرَ العاذلين لذكرها ... وألقاهم باليُمْنِ والبِشْرِ والرَّحبِ
عُذَيْبُ اللَّمى فيه العقيقُ وبارقٌ ... يسرُّك دُونَ الجَزْعِ باللؤلؤ الرطبِ
وأسبحُ في بحر الدُّموع لحُرقتي ... وتُذكرني حَبْسي أقولُ لها: حسبِي
إذا وصلوا بعدَ انقطاع إلى الحِمَى ... تبيَّنَ خسران المحبِّ مِنَ الكسبِ
فتُكسِبهم نأياً وتسلبُهم نُهىً ... فيمسون في بأس مِنَ السَّلب والكَسبِ
مقدَّمةٌ في الحُسن تفتحُ لي الأسى ... على أنَّ في إيجابها غايةَ السَّلبِ
فكُن لي عذيراً في حلاوة شكلِها ... فمِنْ ردفها المنقوش دمعيَ في سَكْبِ
بخَلْبة خدِّي خيلُ دمعي تسابقت ... مِنَ البيضِ والحُمْرِ السَّوابقِ والشُّهبِ
رجية آرامٍ نمت في كناسها[3] ... محاجِرُها شقت على الضَّيغمِ الصَّعبِ
تقول: وقاك الله مِنْ مبتليكَ بي ... أُرَبِّي لك الأسقامَ قلتُ: لها رَبِّي
ومِنْ عجبِ الإعجازِ مُرسلُ طرفها ... على بُعْدِ مَنْ يهواه يُنْصَرُ بالرُّعْبِ
وأعْجَبُ مِنْ ذا أنَّ بيني وبينَها ... مراحلُ شتَّى وهي في وسطِ القلبِ
أكَفْكِفُ دمعَ العين حتى يَريبُها ... خداعي عسَى أن لا تتيه على الصَّبِّ
وكم قلت: إنَّ البُعدَ يُنجي مِنَ الجوَى ... ويُنسى وما يُنشِي العظام سوى القُربِ
وزوَّرتُ سلواناً لِخِلِّي وقلت: لا ... يغرُّك إن جاوزت أبياتها عُج بي

---

(١) قال المصنف في ترجمته من الضوء اللامع ٣/ ١٩١: ومدح الأعيان، كشيخنا، وأوردت في «الجواهر» من مدحه فيه مع لغز أجابه عنه.

(٢) في «المختصر»: «الحصار».

(٣) في (ب، ط): «لباسها».

وعاذلةٍ هبَّت تلومُ على الصَّبا ... وما سمعت صبّاً يقول ألا صُبِّي
فقلت: لكِ الويْلُ امضِ غير رشيدةٍ ... بذاتِ كُلُومٍ أو تعرَّضتِ للسَّبِّ
فلا تفْتَري ثلباً لأسلو فإنني ... أزيدُ غراماً كلّما زدتِ في الثَّلبِ
فإنَّ لظى النِّيران حالَ وَقُودها ... إذا أطفئت بالماء تزدادُ في اللَّهبِ
بعقلي خيالٌ ليس ينفعه الرُّقَى ... وبالقلب داءٌ لا يُعَالَجُ بالطِّبِّ
ولو لم أكن في حالة الصَّدِّ والقِلَى ... أُؤملُ أن أحيا بها لانقضى نحبي
وإن كنتُ في عشقي ضللت فإنّ لي[1] ... شهاباً سمَا يهْدي الهداية للشُّهب
شهابٌ له بذْرُ الدُّجى قبَّلَ الثَّرى ... ألستَ ترى في وجهه أثرَ التُّربِ
فريدٌ رقى في المجدِ أشرفَ رُتبةٍ ... وليس له غيرُ الفضائل مِنْ تِرْبِ
إمامٌ له أهلُ الحقيقةِ كلُّهم ... يُقِرُّون بالعلم اللَّدُنِّي والكَسْبي
ونجمُ هُدْىً في حندس الخطب[2] مشرقٌ ... وإشراقه كَمْ أنقذَ الرَّكب مِنْ كَرْبِ
بأحمدَ هذا الدِّينُ كان افتتاحه ... وعَنْ فعلِه والقولُ أنت الذي تُنبي
وذا الإسم مخصوصٌ بكلِّ سعادةٍ ... يجِلُّ علاه عَنْ عِدادي وعن حَسبي
سموتَ على كعبِ بن مامةَ في السَّخا ... ورأس الندى أعلى وأشرف مِنْ كَعْبِ
وكم حائمٍ حولَ الرِّوايةِ والرُّوى ... روى وارتوى مِنْ فيض مَنْهَلِكَ العذْبِ
وأنت الذي بالعَزْم والحزم والتُّقى ... وفتواهُ كم قد فلَّ مِنْ عسكرٍ لَجْبِ
ويا مَنْ نشا في ذِرْوَةِ المجدِ يَافِعاً ... له نسبٌ يعلو على شاهقِ السُّحْبِ
بنو حَجَرٍ لا يُدرِكُ الضدُّ شأوَهم ... وليس ذُرى الأعلام في الوضع كالهُضْبِ
تفجَّرَ منهم أبحرُ العلم والعَطَا ... وكم سبقوا مِنْ ذي كمالٍ وذي لُبِّ
وإن أمطرَ العافين نَوْءُ سحابِهم ... يعيشون دهراً بالفواكه[3] والأبِّ

---

(١) في (أ): «قالتي»، خطأ.
(٢) في (أ، ط): «الطيب».
(٣) في (ب): «بالفاكهة».

أناسٌ إلى أَوْجِ الفَخار تسابقوا ... فأحبِبْ بهم مِنْ سادةٍ قادةٍ نُجُبِ

وجوهُهم في ظُلمة المَحْلِ أشرقت ... وهم في المعالي مِنْ صميم ومِنْ صُلْبِ

وأشرق منهم نجمُ علمِك بالهدى ... وعَرْفُ ثناء أذكى مِنَ المنْدَلِ الرَّطبِ

فصرتَ إمام النَّاس رُحْلَةَ عصرنا ... فكم مُقتدٍ آوى إليك وكم رَكْبِ

وما زلتَ يا مولاي قُطبَ رحى العُلا ... مُريدُوك[1] والطُّلاَّبُ دائرةُ القطبِ

إذا لم يكن للمرء ميلٌ إلى العُلا ... ولا يُرتجى في حالة السِّلم والحرب

فكن جاهداً أن لا تراه مهاجراً ... ولا تَقْرَبَنْهُ واخشَ مِنْ عَدوة الجُربِ

ولا ترضَ إلا كلَّ أروعَ ماجدٍ ... يُنيل إذا اسْتُجدِي على البُعد والقُربِ

يُفيدك مالاً أو يفيدُك حكمةً ... فتغدُو غنيًّا أو تروحُ أخا لُبِّ

ولم ترَ عيني في زمانيَ واحداً ... سواهُ حَوى الأوصافَ بل مجدُه يُربي

إذا ذُكِرَتْ أخلاقُه وعلومُهُ ... نسيتُ حديثي شِعْبَ بوَّان والشَّعبي

وإن كان ذَنْبي فرطُ حبِّي لذاته ... فأُقسِمُ أنِّي لا أتوبُ عن الذَّنب

قضيت بما أدى اجتهادك عالِماً ... بما جاء في التَّنزيل مِنْ حِكَم الرَّبِّ

لأنك فينا الآن أعلمُ عصرنا ... وما جاء في التَّشريعِ عَنْ أشرف العُربِ

ورَبُّ القَضَا قد أثبت الحُكمُ أنَّه ... يُساق إليكم ذا الحديثُ مِنَ الصَّحْبِ

فعن بيتك السَّامي وعَلياكَ ازوِ لي ... عن الخمسةِ الأشياخ والسَّبعة الشُّهبِ

وهل أنا إلا غرسُ نِعْمَتِكَ الذي ... لـه ثَـمـرُ الآداب دانيـةُ الـهُـدْبِ

تهنَّ بعام فيه نجمُك طالعٌ ... يضيءُ، ومَنْ يَشْنَاك يَهوِي إلى التُّربِ

ودُم مشرقاً في كلِّ أفق لنهتدي ... وتجري دموعُ الحاسدين مِنَ الغَرْبِ

وتجذِبُهم أيدي الخُمولِ إلى الفَنَا ... فيُمسون[2] في الأموات مِنْ ألمِ الْجَذْبِ

---

(١) في (أ): «مريدك».

(٢) في (ب): «فيمشون».

فقد خصَّكَ الله العظيمُ بما يَشا ... مِنَ العلم والآداب والشَّرف النِّسْبي
فمُرْ وانْهَ واعْطِ ولِّ واعْزِل واحتكم[1] ... تَطَوَّلْ تَفَضَّلْ جُدْ أفِدْ حدِّثْ وانْبي
لتُعرِبَ بالحسنى لِمَنْ نحوك الْتَجا ... وترفَعُه في حالة الخَفضِ والنَّصْبِ
وسامِحْ أخا الإسهاب في هَذَيانِه ... فما زلتَ يا مولايَ تعفو عَنِ الذَّنب
وُقيتَ الرَّدى بحرَ النَّدى مُهْلِكَ العِدَا ... ونحنُ الفِدَا والضِّدُّ يُؤْذَن بالحربِ

وسيأتي في الألغاز[2] مِنْ نظمه أيضاً.

[الأقفهسي]

ومنهم: الصلاح خليل بن محمد الأقفهسي، كما سيأتي في الألغاز[3].

[غرس الدين خليل]

والأمير الأوحد غرس الدين خليل، كما سيأتي في المطارحات[4].

[رضوان العقبي]

ومنهم: مُستمليه شيخنا ومفيدنا الحافظ أبو النَّعيم رضوان بن محمد العقبي.

فقال فيما أخبرنيه مشافهة، وسمعه مِنْ لفظه صاحبنا النجمُ الهاشمي في سنة ست وثلاثين:

أما بعد، فإنِّي أحمدُ الله الذي أدَّبَ عبدَه أحمدَ بأحسنِ الأدب، ورفع

---

(١) في (ب): «اعزل احتكم».
(٢) ٢/٨١٠.
(٣) ٢/٨٠٧.
(٤) ٢/٧٨٨.

رُتبَته بالفضل، فاتَّصلَ إسنادُه في الصَّحيح إلى أعلى الرُّتب، وأعزَّ الدِّين بعد الغرابةِ بتواترِ شُهرته، حمداً كثيراً على جعْلي مستملياً مِنْ حافظ سنته.

وأُصَلِّي على رسوله الذي نسختْ شريعتُه الشرائع، ورسَخَتْ محبَّتُه في قُلوب أهل المغارب والمطالع، وعلى كلِّ نبيٍّ ومرسل، وآله وصحبه، والمقتفين سبيلَه مِنْ بعده مِنْ حِزبِه.

فقد رأيتُ بعضَ مُحِبِّي شيخنا الإمام، شيخِ الحُفَّاظ والإسلام، قاضي القضاة، منقطعِ النَّظير والصِّفات، شهابِ الملَّة والدنيا والدين، أبي الفضل أحمد العسقلانيِ الشافعي، جعله الله مِنَ الفائزين. قد نعتُوه بقصائد في غير بحرٍ كالطَّويل، وعرفتُ أنَّ باعي قصير عَنِ السَّبيل إلى علم الخليل، وكنت من أكثرهم محبَّةً في هذا الحَبْر، لِمَا أسداه إليَّ قديماً وحديثاً مِنَ الخير والجَبْر، فتعلَّقتُ تعلُّق الآمل في حصول الآجل، في الوقت العاجل، ونظمتُ هذا العِقْدَ النَّفيس في الرَّئيس البحر الكامل. فأقول وبالله أعتصمُ مما يَصِمُ[1]:

الـلّـهَ أحـمـدُ دائـمـاً مـع شُـكْـرِه ... مِـنْ بـعـدِ تـسـمـيتي بـأعـظـم ذكـرِهِ
ثـمَّ الـصَّـلاةُ مَعَ الـسَّلامِ على الرَّسو ... ل وآلـه والـمـقـتـفـيـن لإثـرِهِ
فـالـبِـشْـرُ بـشَّـر بـالـهـنَـا مـن قـد دَنَـا ... ودعـا إلـيـه مَـنْ نـأى فـي بـرِّهِ
سِرْ يـا غـريـبُ إلـى الـعـزيـزِ بـمـصـرِه ... وارحَـلْ إلـى الـمـشـهـورِ رُحْـلَـة عـصْـرِهِ
فـلـقـد تـواتـرَ فـضـلُ أحـمـدَ مُـذْ بَـدَا ... نـورُ الـشِّـهـابِ أنـارَ كـوكـبَ بَـدْرِهِ
وعَـلا عـلـى أهـل الـعُـلـوِّ حـديـثُـهِ ... وسـمـا بـعـلـمِ أُولـي الـسُّـمُـوِّ ونَـشْـرِهِ
أصـلٌ تـفـجـرَ نـهـرُهُ مِـنْ عـسـقـلا ... نَ وفـرعُـه روَّى أراضـيَ مِـصْـرِهِ
نـبـتَ الـرَّبـيـعُ لـوقـتـه مـمَّـا روى ... قَـطَـرَ الـنَّـبـاتُ حـلاوةً مِـنْ قَـطْـرِهِ

(١) قال المصنف في الضوء اللامع ٣/٢٢٨ في ترجمة العقبي: ومدحه ـ أي ابن حجر ـ بقصيدة حسنة ذكرتها في «الجواهر».

وبفتح بَارِيه[1] البخاري قد فَتَح ... وتعلَّق التعليق منه بدُرِّهِ

ولسانُه متحرِّرٌ في المشتبهِ ... تقريبه التهذيب مِنْ تحريرهِ

وجْدِي صحيحٌ مُذْ بدا لي حُسنُهِ ... وجدي ضعيفٌ مُدْرَجٌ في هَجْرهِ

لو كنتُ مرفوعاً إليه مُسنداً ... لوصلتُ بعدَ الإنقطاع ببرِّهِ

ما زال دمعي مُرسَلاً ومُسَلسَلاً ... حتى وقفتُ ببابه عَنْ أمرهِ

إن رُمتَ فتحاً في العلوم بشرحها ... حافِظْ على إملاء حافظِ عَصْرهِ

والزمْ مجالِسَ حَبْر الاسلام الَّذي ... ما امتدَّ بحرٌ في العلوم كحبرِهِ[2]

وانحه تَجِدْ تصريفَ كشَّاف[3] الـ ... معالم في القُران ونهره مِنْ بَحْرهِ

واسأل تُجَب فقهاً بأصلٍ زانَه ... جَدَلُ الكلامِ بمنطق مِنْ ثَغْرهِ

وخذ المسلسل أوَّلاً فالأولويَّـ ... ـة سلسلت منه لراوي عُمرهِ

وانقل أصحَّ مقالةٍ عَنْ أحمدَ المـ ... ـختارِ مَنْ حفظ السَّمِي مِنْ صدرهِ

ثمَّ البديع مع المعاني والبيا ... ن لحالِ متنٍ والرُّواة بإثرهِ

ثمَّ المناسب آخراً مِنْ نَثرِ مَنْ ... حاز العُلا والفضلَ أو مِنْ شِعْرهِ

مع الاتِّضاع والانبساط لطالبٍ ... ومكارمٍ منه كحاتِم عصرهِ

ما مِنْ ضعيفِ ردَّه أو سائلٍ ... إلا بضِغْفِ سائلٍ مِنْ برِّهِ

شرُفَتْ مناصبُ دهرِنا بالأشرف ... السلطان ناصبِ خَيْرنا في دَهرهِ

فالله ينصُره ويَعضُدُ شيخَنا ... قاضي القضاة زمانه في مِصرهِ

حسَّادُه نذرُوا بنذْرِ نفوسهم ... لمَّا ولي وفَّى الحسودُ بنذْرهِ

القلبُ صافٍ يقصِدُوا تكديرَه ... والمكرُ لا يُخطي المسيءَ بمكرهِ

---

(١) أشار الزين العقبي في هذه القصيدة إلى العديد من مؤلفات شيخه صاحب الترجمة.

(٢) في (أ): «كبحره».

(٣) في (أ): «كشفات».

هم يعرفون مقامَه إن أنكروا ... شهد المتابع بالمنى في نُكْرِهِ
كم ناسخٍ في عامه مع سُرعةٍ ... أعياه تصنيفٌ له في شهرِهِ
في نحو ضعف اليوم أسمع «مُسلماً» ... لفظاً فقِسْ غيراً بذا مع شطرِهِ
نادى لسانُ الحالِ يُعلِنُ جهرةً ... عَنْ حال مَنْ لام المبيحَ بسرِّه
هذا أميرُ المؤمنين بسنَّةٍ ... هذا مليكُ أولي العُلوم بقَضْرِه
هو أحمدُ الوَرِعُ الفقيه الشافعي ... نعمانُ وقتٍ وهو مالكُ عصرِهِ
هذا بخاريُّ الزَّمانِ ومسلمٌ ... كلُّ الأئمةِ وافَقوا في شكرِهِ
هو عامرٌ بيتَ الجلال بتاجهم ... وابن الصَّلاح كما الوليُّ بصهرِهِ
صِدْقُ المحبة مُسقِطٌ شرطَ الأدب[1] ... وبسيط عُذري أنَّني لم أدْرِهِ
إنّي نظرتُ عَروضه فوجدت ... بحراً كاملاً غَرِقَ الطَّويلُ ببحرِهِ
أهديتُ أبياتاً على قدري لمن ... ضاقت بيوتٌ عن هدايا قدرِهِ
وسألت ربَّ الخلقِ يُبقيه لنا ... في عزَّةٍ مع صحةٍ مُذْ عُمرِهِ
وإجازتي هي لَذَّتي بخطابكم ... فأجزتمونا طيَّه مع نَشْرِهِ
لا تصرفوا رضوان عَنْ أبوابكم ... إنْ تصرفُوه خَفَضْتُموه بكَسْرِهِ
لا زلتَ أنتَ إمامَ طائفةٍ على ... حقٍّ إلى بَعْثِ الإله بأمرِهِ
فاختم بخير صلِّ ربِّ ... على الحبيب وآله والتَّابعين لإثرِهِ
ما قيل: حدّثنا أو أخبرنا ... أو أنشدنا به مِنْ نظمه أو نثرِهِ

[شعبان الآثاري]

ومنهم: شعبان الآثاري، مدحه بقصيدة تائية مطوَّلة ما وقفت عليها. ثم[2] وقفت على مدحه إياه بقصيدة أُخرى يهنئه فيها بشهر رمضان،

---

(١) في (أ): «الأداء».

(٢) من هنا إلى نهاية القصيدة المذكورة، ساقط من (ب).

وافتتحها بقوله: تهنئة شعبان برمضان، وهي[1]:

أتى يُهنِّيك بالإقبال شعبانُ ... يا عالماً زانَه حسنٌ وإحسانُ

يا مَنْ على وجهِه المبرورِ مشتهرٌ ... للقصدِ والبِشْر تيسيرٌ وعُنوانُ

يا مَنْ علامتُه بالذِّكر قَدْ شَرُفت ... عَنْ أن يفسرها شِيبٌ وشُبَّانُ

يا حافظَ الوقت بالإجماع يا علَماً ... له مكانٌ على العليا وإمكانُ

يا مَنْ غدا عُمدَةَ الأحكام ثُمَّ له ... بالعلمِ والحلمِ إلمامٌ وإتقان

يا مَنْ إلى نحوه تسعى الوَرى وله ... في الخير والشَّرِّ تحريكٌ وإسكانُ

أنت الخُلاصَةُ منك الذات كافيةٌ ... فضلاً وشافيةٌ مَنْ فيه أحزانُ

أنت المساعِدُ بالتَّسهيل ثَمَّ على ... مُفَصَّلِ الجُودِ مِنْ جدواك أفنانُ

زان المعاني بيانُ القول منه وفي ... بديعِ لفظٍ له نظمٌ وأوزانُ

ذو منطقٍ جامعٍ وفي مجالسه ... فرائضُ زانه زهدٌ وإيمانُ

كشَّافُ كَرْب ومفتاحُ العلوم وفِي ... ألفاظِه الغُرِّ مصباحٌ وتبيانُ

آدابُه كنجومٍ في السَّما نُشِرت ... فليس يحصُرُها جمعٌ وديوانُ

بحورُ فضلكَ[2] بينَ الخلقِ دائرةٌ ... بالاتفاق وهل للشَّمس كِتمانُ

طويلُ باع مديدُ الكفِّ بَاسِطُه ... ووافرٌ كاملٌ في الوزن رجحانُ

لك الأصولُ التي طابت[3] مغارِسُها ... وفي الفُروع فمنك الغُصن ريَّانُ

يا حَاوِيَ الفضل يا منهاج كلِّ فتى ... لديه في النَّاس تنبيهٌ وعِرفانُ

يا روضةً في رياض الإنس يانعةً ... أنت المهذَّب في العينين إنسانُ

---

(١) وأشار إليها المصنف في ترجمته من الضوء اللامع ٣/ ٣٠٢، فقال: ورأيت له قصيدة نونية هنّأ شيخنا فيها برمضان، كتب بخطه في طرتها. تهنئة شعبان برمضان، أوردتها في «الجواهر».

(٢) في (ط): «فضل».

(٣) في (ط): «طالت».

لفظٌ وجيزٌ بسيطٌ في فوائدِه ... بحرٌ محيطٌ له في الجُود برهانُ
لك المهمَّات والهِمَّات شائعةٌ ... ومِنْ معانيك للفُرسان ميدانُ
يا غايةَ القصدِ يا مَنْ في بدايته ... نهايةٌ ما لها حدٌّ وميزانُ
يا مَنْ به بعلومِ الدِّين قاطبةً ... بين البريَّة إحياءٌ وتيجانُ
أنتَ الوسيطُ مِنَ العقد الفريد ومِنْ ... أوصافِك الغُرُّ للمشتاق[1] بستانُ
يا مَنْ فضائِلُه فينا مدوَّنةٌ ... يا مالكاً دأبُه عفوٌ وغُفرانُ
يا صالحاً صادقاً عزَّت مناقبُه ... وطاب في ذاته سرٌّ وإعلانُ
يا سيداً جيِّداً شاعت مكارِمُه ... قولاً وفعلاً وللمحتاج مِعْوانُ
أنت الشِّهابُ الذي ضاءت بطلعته ... أيامُنا وكذاك العصرُ جذلانُ
وقد تباشرَتِ الدُّنيا بدولته ... لأنَّه بين أهلِ العلمِ سُلطانُ
حَبْرٌ وبحرٌ عن[2] الزّلات في سِنَةٍ ... جوداً وفضلاً وفي المعروف يقظانُ
في كلِّ علمٍ تراه فوقَ سادتِه ... سَلُوه فالشَّيخُ في فتواه مِلْسانُ
فكم له في الورى مِنْ حلِّ مشكلةٍ ... وفي الفصاحة ما قُسٌّ وسَحْبَانُ
مُفْتٍ خطيبٌ إمامٌ مقرئٌ حَكَمٌ ... عدلٌ صدوقٌ وفي الأشعار حسَّانُ
قد اكتسى كلَّ تشريفٍ يليقُ كما ... قِوامُه مِنْ قبيحِ الوصف عُريانُ
والقلبُ منه بفعل الخير في فرحٍ ... والعقلُ منه على الطاغين غضبانُ
قاضٍ عفيفٌ لطيفٌ[3] في القضاء له ... فصلٌ وفضلٌ هما للكسر جُبرانُ
مِنْ أين للنَّاسِ حَبرٌ عالمٌ حَكَمٌ ... بحرٌ زكيٌّ سَخِيُّ النَّفسِ شبعانُ
وفي الفُتوَّة مشهورٌ كحيدرة ... خُلقاً وخَلْقاً وفي التَّدريس سُفيانُ
شيخُ الشُّيوخ ومنه الفضلُ مُغترِفٌ ... لأنَّه بصُنوف العلم ملآنُ

---

(١) في (أ): «للمشراق».
(٢) في (ط): «من».
(٣) «لطيف» ساقطة من (ط).

مَنْ قام يهدي له مِنْ نظمه أدباً ... فذاك مثلي قليلُ العقل غلطانُ
إذ نظمُه الدُّرُّ في نفعٍ وفي قيَمٍ ... ونظمُنا عند ذاك الدُّرِّ مرجانُ
قد فجَّر الله هذا العلمَ مِنْ حَجَرٍ ... وإنَّ منها لَمَا مجراه هتَّانُ
أعزَّه الله في حِلٍّ وفي حرمٍ ... وحَفَّهُ بالرِّضا بيتٌ وأركانُ
فالله يُبقيه نفعاً للأنام ولا ... يسوءُ طلعتَه في الدهر خُذلانُ
مولاي هذا قصيدٌ في مدائحكم ... إن أنشدت فجميعُ الخلقِ آذانُ
تُصغي بفهم معاني عندها فُتِنَت ... وأحسنُ الشِّعرِ للألباب فتانُ
بعضُ الورى شاعرٌ فاسمع مدائِحَه ... وبعضُهم - مثل ما قد قيل - وزَّانُ
فاقبل بفضلِك تَجْبُر قلبَ ناظِمها ... يا مَن به انتفعت صَحْبٌ وغلمانُ
يهنيكَ شهرُ صيامٍ لا يزال به ... لكمْ حديثٌ وأذكارٌ وقُرآنُ
فعش لأمثاله[1] في الدهر يا علماً ... أيامُه الرِّبحُ ما فيهنَّ خُسرانُ
ما زال فضل شُهابِ الدِّين مكتسَباً ... فكم به انْجَبَرْت عُونٌ وإخوانُ
بالله لا تنسني وانظُر بعينك لي ... حاشاك عن[2] خادمٍ يُلهيك نسيانُ
إنَّ الصنائع في عُرْبٍ وفي عجمٍ ... ودائعُ والرَّفيعُ القدر تعبانُ
مَنْ[3] كان رأساً فقد حلَّ الصُّداعُ به ... لكن لك الأجرُ إذ مولاك رحمانُ

[المرشدي]

ومنهم: الإمام أبو الوقت عبد الأول المرشدي.

فأنشدني لنفسه ما كتب به لصاحب الترجمة، وكنتُ حاضراً.

يا سيّدي وإمامَ الناس كلِّهم ... وحافظَ السُّنَّة الغرَّا على الأممِ

---

(١) في (أ، ب): «لأمثالها».
(٢) في (ط): «من».
(٣) في (أ): «ما».

عُبَيْدُكمْ قائمٌ بالباب منتظرٌ ... يرجو زيارتكم يا خيرَ مُغتنمِ
كيما يفوز بوصلٍ أي مستترٍ ... عَنِ العُيون وسرٌ أيَّ مكتتَمِ
فارفع حجَابَك يا سُؤْلِي ويا أملي ... وامنُن عليَّ بوصلٍ أحظَ بالنِّعَمِ

[تاج الدين الأذرعي]

ومنهم: التاج عبد الرحمن ابن العلامة شهاب الدين أحمد بن حمدان الأذرعي، مدحه غير مرَّة.

[زين الدين البكري]

ومنهم: الشيخ زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن أحمد البكري القاضي.

فأنشدني مِنْ لفظه بحضرة الممدَّح عند عوده للقضاء قوله[1]:

رَبَابي حُبُّ زينبَ والرَّباب ... لتركهما جوابي والجَوَى بي
وأجفانٌ تَسُلُّ صِفَاحَ هندٍ ... وقاماتٌ تهزُّ رماح غابِ
وليلُ غدائرٍ تعشى شموساً ... مِنَ الغاداتِ ربَّاتِ النِّقابِ
ظِباءٌ قد سَلَلْنَ ظُبَا لحاظٍ ... شَهرنَاهُنَّ للصَّبِّ المُصَابِ
يهادين الغَداةَ مهاةَ جِفْفٍ ... يخالط ظَلْمَها ذاتَ الحَبابِ
وقد نقلَ المبرَّد مِنْ لماها ... مُسلسلَةَ الشَّهيِّ عَنِ الشَّرابِ
تشعَّبَ حبُّها بالقلب منِّي ... وقد نفرَت بهاتيك الشِّعابِ
ويبسِمُ ثغرُها لدُموع عيني ... كزهرٍ ضاحكٍ لبكَا سَحابِ
لأجمرِ مدمعي سبْقٌ وسحبٌ ... كأدهم شعرها فوق الشُّرابِ

---

(١) أشار المصنف إلى هذه القصيدة في ترجمة البكري من الضوء اللامع ٤/٥٧، حيث قال: ومما كتبته عنه في شيخنا حين عودة للقضاء قصيدة سقتها في «الجواهر»، أولها ـ وأنشد البيت الأول منها.

وشاهدُ قِتلتي في راحتَيْها ... إذا ما أنكرت قاني الخضابِ
أراعي بَرْقَ مبسَمِها إذا ما ... جَلاَ بَرداً به زادَ التِهَابي
وأنشدُها إذا ضنَّت بلَثْمٍ ... عَذابي مِنْ ثنَاياكَ العِذَابِ
تقلَّد جيدُها مِنْ دمع عيني ... عُقودَ الدُّرِّ والذَّهب المذابِ
فيا لكِ جنَّة بعِقَابِ قلبي ... أقامت وهي تسرع[1] في عقابِ
بليلِ الشَّعر منها إنْ أضلت ... محبًّا يَهدِهِ ضَوْءُ الشِّهابِ
أبو الفضل الَّذي عمَّ البرايَا ... بجودٍ فائقٍ جودَ السَّحابِ
إمامُ الخافقين وما استقلَّت ... به الغبراء مِن مُحباً وحابِ
معيدُ العلمِ مِنْ هرمٍ وبُؤسٍ ... كمنصبه إلى شرخِ الشَّباب
مقيمُ شعائرِ التَّوحيدِ مَنْ قَدْ ... حمدنا فيه توحيدَ الرِّكابِ
ولم نرَ مِنْ قديمٍ في حديثٍ ... لعمرُك منه أجدرَ بالصَّوابِ
يفيدُك وصلُ فحواه اختصاراً ... كأن بنُطقهِ فصلُ الخِطَابِ
إذا حدَّثتَ عنه ندًى وعلماً ... فقل ما شئت في البحر العُبابِ
به شمسُ العلا ضاءت وَعَمَّا ... سواه قد توارت بالحِجابِ
أماليه الجسامُ دِقاقُ معنًى ... أُنزهن عَنْ نقصٍ وعابِ[2]
له بالعدل دأبٌ قد أرانا ... خلاصَ البَهْم مِنْ أيدي الذِّئاب
لقاصدِ حِلْمه والبذل طَوْلاً ... رحيبُ الصَّدر متَّسَعُ الرِّحابِ
حِجَاهُ طبَّق الأكوانَ عرْفاً ... وضاعَ بنشره عَرف الملاَبِ[3]
ولَمْ ألُمِ الولاية إذ تولَّت ... ليظهرَ فضلُه قبلَ الإيابِ

---

(١) في (ب، ط): «تشرع».

(٢) في هامش (ط) ما نصُّه: أصله: عيب، أبدل به الياء ألفاً، وسمع من كلام العرب: ما نهى من عاب».

(٣) الملاب: الطيب أو الزعفران، وجاء في (ب، ط): «المطاب».

وحتف الخانقات الضدِّ قسراً ... لعودَكِها على سنَنِ الثواب[1]
وكان العَوْدُ أحمدَ حينَ جاءت ... تُزَفُّ إليكَ كالبِكْرِ الكعَابِ
كبكرٍ زفَّها البكريُّ منه ... تغنَّت بالثَّواب عَنِ الثِّيابِ
تعوّذ جَدُّه السامي المفَدَّى ... بِسِرِّ الآي مِنْ أُمِّ الكتابِ
رعاهُ الله ما غَنَّت حمامٌ ... على عُودٍ بشَجوٍ مُستطابِ
وقلَّدَ حاسديه طوقَ ذُلٍّ ... وصَيَّرهم بقلبٍ في انقلابِ
بجاهِ محمَّد خيرِ البرايا ... وأفضلِ مَنْ مَشَى فوق التُّرابِ
صلاةُ الله يتلوها سلامٌ ... عليه وآلِه ثُمَّ الصِّحابِ

[عبد الرحمن الشاذلي]

ومنهم: أبو الفضل عبد الرحمن بن الشهاب أحمد بن محمد بن وفا الشاذلي، وسماه شيخنا أيضاً محمداً.

مدحه بأبيات قافيَّة، كان صاحبُ الترجمة كتب للبدر البشتكي أبياتاً على وزنها، فكأنه[2] وقف عليها فأعجبته. وقد رأيتُها بخطِّه في ورقة نصُّها.

يا مولى يا واحداً[3]

جواب عن البشتكي عن مدح ابن حجر:

أبدى ابتسام الآفاقْ ... غِبَّ بكاء الآماقْ[4]
مسره عَنْ إشفاقْ ... الورد يُطفي الإحراقْ
والودُّ يُصفي الأخلاقْ ... كلاهما لنا راقْ

---

(١) هذا البيت لم يرد في (أ).
(٢) في (ب): «فكأنها».
(٣) في (ح): «يا مولاي يا واحد».
(٤) في (ح، ط): «الآفاق».

ولـلـنَّـسـيـم الـخـفَّـاقْ ... عـنـد صـلاة الإغـداقْ
مـضـمـضـةٌ واسـتـنـشـاقْ ... أرى الـزُّهـورَ تـشـتـاقْ
قـبـل انـفـتـاق الأرتـاقْ ... فـلـلـقـلـوب إطـبـاقْ
سـحّ جـنـاهـا[1] رَقْـرَاقْ ... زكـا لـهـا[2] فَـرْعٌ فـاق
والأصـلُ طـيِّـبُ الأعـراقْ ... قـد وقَـفَـتْ عـلـى سـاقْ
مُـهـتـزة فـي إطـراقْ ... تـشـكـو الـنَّـوى بـالأوراقْ
فـاغـطِـفْ عـلـى روضٍ لاقْ ... وانـظـر لـزرعٍ مَـلاقْ
فـإنَّـه ذو اسـتِـحـقـاقْ ... والـطِّـيـنُ حـرٌّ مـا تـاقْ
إلا لأخـذ الـمـيـثـاقْ ... عـلـى الـصِّـبـا بـاسـتـرقـاقْ
حـجّ لـمـغـنـى أشـواقْ ... حـجـارة لـلـعُـشَّـاقْ
بـلِّـغْ كـلَّ مـشـتـاقْ ... واشـرب عـلـى نـظـم[3] راقْ
جـانـس عـنـد الـحُـذَّاقْ ... أقـداحُـه لـلأحـداقْ
لـه مـعـانٍ تـنـذاقْ ... وأحـرفٌ فـي اسـتـنـشـاقْ
فـعَّـالـة بـالأوفـاقْ ... أشـرقَ كـلَّ إشـراقْ
وحـاسـد بـالإريـاقْ ... فـلـلـشِّـهـابِ إشـراقْ
فـاقَ الـرِّيـاضَ اسـتِـغـبـاقْ ... والـشـعـراء اسـتِـنـطـاقْ
مِـنْ تـاجـهـا والـورّاقْ ... لـمـمـتـطـى ذي الأذواقْ
غـرُّ الـمـعـانـي تـنـسـاقْ ... فـهـو إلـيـهـا سـبَّـاقْ
سـقـى نـداه الـمِـهـرَاقْ ... قُـضـب يـراعِ الإطـلاقْ

---

(١) في (ب، ط): «حياها».
(٢) في (أ، ط): «له».
(٣) في (أ): «ظم».

حتَّى زهت في الأوراقْ ... غيم مَلثٌ دقاقْ
مِنْ بحر جُودٍ نَفَّاقْ ... فليس يخشى إملاقْ
فادخل بحارَ الأرزاقْ ... واغرق بتلك الأوساقْ
تنجو بهذا الإغراقْ ... إرعاده والإبراقْ
في جِبْرِه والأوراقْ ... فابْشِرْ بغيثٍ غدَّاقْ
طوَّقَ كلَّ الأعناقْ ... قلائِدَ للأرفاقْ
فانجذبت بالأطواقْ

[عُبيد الرِّيمي]

ومنهم: عبد الرحمن بن علي الرّيمي المكي، عرف بعُبيد.

وقد قرأت قصيدته بخط الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقي. وسمعها مِنْ ناظمها صاحبُنا النجم بن فهد، وهي هذه[1]:

يا واحدَ العصر في الدنيا بأجمعِها ... لا زلت ترقى سموًّا منزلَ القمرِ
هذي أشعَّةُ نورِ العلمِ قد برزت ... في الخافِقَيْنِ يراها كلُّ ذي نظرِ
سبحان مَنْ أوجدَ الأشيا بقُدرَتِه ... وجاء بالبحرِ عبَّاباً مِنَ الحَجَرِ
عذباً فُراتاً لنهجِ الدِّين يشرَعُه ... مستخرِجاً منه درًّا أنفسَ الدُّررِ
لا زالتِ السُّنَّةُ الشهبا بطلعته ... محروسةً ولها يحمِي مِنَ الغِيَرِ
يا سيداً سَادَ أفرادَ الورى شرفاً ... وفاقهم[2] رفعةً بالعلمِ والخَفَرِ
يا واحداً قد سما لا زلتَ مُرتَقِياً ... وحافظاً جئتَ بالتَّصحيح للخَبرِ
احكُم بما شئتَ في الإسلام أنتَ لَهُ ... شيخٌ وناهيك فيه صاحب النَّظرِ

---

(١) أشار المصنف إلى هذه القصيدة في الضوء اللامع ٩٦/٤، فقال: وله نظم أثبتُّ منه في ترجمة شيخنا ما امتدحه به.

(٢) في (أ): «وفاتهم».

لا زلتَ في نعمةٍ والسَّعْدُ يشمَلُها ... إنسانُ عين الورى يا واحدَ البَشَرِ

يا كعبةَ الدِّين قد جئنا إلى حرمٍ ... وسَعْيُنَا لصفاه رائقُ الكَدَرِ

نبغي القُدومَ وقد طُفنا به رَمَلاً ... وصدَّنا زَحمة فيه[1] عَنِ الحجرِ

وهاكها مِنْ محبٍّ صاغها غلساً ... فأشرقت بهجةً كالشَّمس والقمرِ

هو العُبيدُ علي الرُّيميُّ والده ... مواظبٌ لدعاء في دُجا السَّحَرِ

لشيخ الاسلام يُبقيه ويكلؤُه ... في كلِّ حالٍ ويحميه مِنَ الضَّرر

لا زلتُم نُصرةً للدين ظاهرةً ... مؤيداً سامياً بالعِزِّ والظَّفَرِ

إنَّ العُبيدَ الذي زانت قريحَتُه ... بمدحكم جاءكم يسعى على قَدرِ

وافى حِماكم وأنتم جلَّ مطلَبِه ... فَنِيلُ مصرَ لها يُغني عَنِ المَطرِ

إن ترفعوا خَفْض حالٍ منه مُنكَسِرٍ ... يصحُّ منتصباً عطفاً على السَّفرِ

أعطاك ربُّك ما ترجوه مِنْ كرمٍ ... ومِنْ دُعائِيَ ما أرجوه مِنْ وَطَرِ

فابسُط ليَ العذرَ في التقصير يا ملكاً ... وتاجَ عزٍّ لأهل العلم والنَّظَرِ

خُذها قريحةَ ذي وُدٍّ لخدمتكم ... إنشاؤها فانسؤوا مِنْ أعظم الصُّررِ

لعبدكم وارسموا إثباتها، فعسى ... تبقى لنا دائماً صفواً بلا كَدَرِ

تكون باسمي وأولادي مُخَلَّدةً ... في كلِّ عامٍ لها وفدٌ على الأثرِ

لا زلتُم كعبةً للقاصدين فمَن ... يَطُف[2] بها راجياً قد فازَ بالظَّفرِ

فيا إلهيَ كُنْ عوناً لسيِّدِنا ... شيخِ الأئمة واحفظه مِنَ الغِيَرِ

وصلِّ ربِّ على المختارِ مِنْ مُضِرٍ ... خير البريَّة مِنْ بَدْوٍ ومِنْ حضَرِ

والآلِ والصَّحبِ والأتباعِ ما قُضيت ... لسائلٍ حاجةً فارتاح للظَّفَرِ

---

(١) في (ب): «فيه رحمة».

(٢) في (أ): «يعطف»، خطأ.

[جلال الدين البلقيني]

ومنهم: عبد الرحمن بن عمر بن رسلان، قاضي القضاة جلال الدين البلقيني.

هنأه لما ولي إفتاء العدل، كما سيأتي مع غيره في المطارحات، وفي الألغاز[1].

[ابن الخراط]

ومنهم: الزين عبد الرحمن بن محمد بن سلمان[2] بن الخرَّاط.

له نثرٌ فيه مدح سيأتي في الألغاز[3].

[ابن الديري]

ومنهم: الزين عبد الرحمن ابن قاضي القضاة شمس الدين ابن الدَّيري الحنفي.

فأنشد لنفسه يوم ختم «فتح الباري» بالتَّاج.

أيا سيداً حازَ العُلومَ بأسرها ... وأبدعَ في شرحِ «البخاري» نظامُهُ
لئن راجَ إبريزُ البيوت بختمها ... فقُل عنبراً حقًّا ومِسْكاً خِتامهُ

[عبد الرحمن الصوفي]

ومنهم: عبد الرحمن بن محمد الحريري الصُّوفي، مدحه بأبيات.

---

(١) انظر ٢/ ٨١٢.

(٢) في (ب): «سليمان»، وقال المصنف في ترجمته من الضوء اللامع ٤/ ١٣٠، وسماه شيخنا سليمان سهواً.

(٣) ٢/ ٨١٥.

ومنهم: عبد الرحيم....[1] له كما سيأتي في المطارحات.

[عبد السلام البغدادي]

ومنهم: العلامة عبد السلام بن أحمد البغدادي الحنفي، [وقد حملت عنه كثيراً][2] فكتب إليه يستبطئه قضيَّةً كان استعان به فيها:

أيا مَنْ بأمرِ الله والحقِّ يَصْدَعُ ... ومَن لجميعِ النَّاس كالغيث يَنْفَعُ
ويا مَنْ لآثار الرسول محمدٍ ... غَدا وحدَه عنها يَذُبُّ ويَدْفَعُ
ويا شافعياً في زمانك أوحداً[3] ... فَتَاواكَ قد شاعت فلا تتقنَّعُ
ويا حاكماً أضحى إمَاماً وقُدوةً ... عفيفاً تقياً زاهداً[4] متورِّعُ
ويا قائماً في الليل يُحييه قانتاً ... بذكر وقرآنٍ يصلي ويخشعُ
شهاباً مضيئاً بل وشمسَاً مُنيرةً ... تضيءُ الدَّياجي حينَ تبدُو وتطْلُعُ
لئن جُدتم أو حِذْتُم أو عدلتُم ... فإنَّ ضميري عندك الدَّهرَ أجمعُ

[وكتب[5] إليه أيضاً عند عودِه للقضاء عقِبَ القاياتي:

الحمدُ لله مُنشِي الخلق إيجادَا ... وباعثِ الرُّسْلِ إشراقاً وأمجادَا
صلَّى الإلهُ عليهم ما بدَا أُفقٌ ... وأشرق الشَّمسُ أغواراً وأنجاداً
ثم الصلاةُ على أزكى الورى نسباً ... محمدٍ سيِّد الكونين مَن سادَا

---

(١) بياض في الأصول، وذكره المصنف في باب المطارحات ٢/؟، فقال: وكتب إليه الزين عبد الرحيم، ومن خطه نقلت، فذكر قصيدة له وقصيدة أخرى للمترجم له أجاب عنها.

(٢) ما بين حاصرتين لم يرد في (ب).

(٣) في (أ، ط): «واحداً».

(٤) في (ب): «تقي زاهد».

(٥) من هنا، إلى قوله «أيعدل عنكم حاشا وكلا» ص ٤٧٠، ألحقه المصنف بخطه في ورقة مفردة من نسخة (ح)، ولم يرد في (ب).

والآلِ والصَّحبِ والأتباعِ أجمعِهم ... نالوا بصُحبته علماً وإرشاداً[1]

وبعدُ فالمَلِكُ المنصورُ ظاهرُنا ... زادَ الإلهُ له نصراً وإسعادَا

ممتَّعاً بحياةٍ لا نغيصَ بها ... قهرَ العدوَ وتنكيلاً وإبعادَا

لقد حبَانَا بمولانا وسيِّدنا ... وشيخِ الاسلام قُطَّانا ووزَّادَا

ووارثٍ مِنْ علوم المصطفى جُملاً ... وحافظِ الدِّين تفصيلاً وإسنادَا

ومُحييَ السُّنَّة الشهباء مُذْ دَرَسَت ... يُقَطِّع الليل تسبيحاً وأورادَا

شهاب دين الهدى ما زال متَّصفاً ... بالصَّبر والبِرِّ أعواماً وأعيادَا

عادَ الزمانُ علينا بعدَ جَفْوَتِه ... فما يبالي بصبٍّ صدَّ أو عادَا

مِنْ بعدِ أن كانتِ الأرواحُ قد بلغت ... حناجرَ القومِ يالله أو كادَا

لما تولَّى علينا فرقةٌ سبقت ... غُليمةٌ فبغَت بَغْياً وأوغَادا

موسوسين حيارى إذ عَتَوْا فمَضَوْا ... فأصبحوا رِمماً في الحيِّ أوبَادَا

فما رأينا رشيداً قطُّ مُذْ حكموا ... ولا سمعنا وفَوْا بِرًّا وميعادَا

وهذه سنَّةُ الله الذي سَلَفَتْ ... بالنَّصر للصَّبْر صُلاَّحاً وعبَّادَا

فكُنْ صبوراً شكوراً حامداً يقظاً ... للخير ما دُمْتَ فيها آخذاً زادَا

وعِشْ سعيداً رغيداً طيباً عَطِراً ... مكرَّماً زادكَ الرَّحمنُ ما زادَا

واحكُم بعذرٍ وتأييدٍ ومعدَلةٍ ... ورغم أنفِ لِمَنْ ناوَاك أو عَادَا

فالله يُبقيك دهراً سالماً أبدا ... مع كَبْتِ شانيك شُمَّاتاً وحسَّادَا

ومُنشدُ النَّظمِ خِلٌّ راغبٌ حَسَنٌ ... منه الدُّعاء بقلبٍ صادقٍ جادَا

وقوله يعرِّضُ بالعز بن عبد السلام، لكونه كان ناب عن القاياتي:

سألتُك شيخَ الإسلام المُعلَّى ... بحقِّك لا تُولِّ الإبن كَلاَّ

وأبِّدْ حَبْسَه بوثيقِ قيدٍ ... وعزِّرْهُ وولِّهْ ما تولَّى

---

(١) هذا البيت ساقط من (ط).

ويَصْلَى بعدَه باليمِ عَزْلٍ بقدرِ زمانه اللَّذْ قد تَولَّى
فذاك جزاءُ مَنْ يبغي علينا أيُعدلُ عنكمُ حاشا وكلاَّ

[عبد الغني الشرجي]

ومنهم: عبد الغني بن أبي بكر اليمني الشرجي.

مدحه في سنة خمس وثلاثين وثمانمائة بما قرأته مِنْ خطه، فقال:

مَنْ لصبٍّ متيَّمٍ مشتاقِ أرَّق العينَ مِنْ أليمِ الفِراقِ
أحرقَ البينُ قلبَه يوم سارُوا عنه بالرُّغمِ أيَّما إحراقِ
وسَقَوْهُ الصُّدُودَ كأساً دِهاقاً بعد كاسٍ مِنَ الوصالِ دِهاقِ
يا لَقومي لا تطلُبون بثاري غير لُعْسِ الشِّفاهِ والأحداقِ
لسعتني عقاربُ الحُبِّ حتى آلمتني ولم أجد فيه راقِ
ورماني بسهمِ قوسٍ مآقيـ ـه غزالٌ قصَدَ منِّي المآقي
ألبَسَ البدرَ في التَّجلِّي ضياءً وكَسَا الشَّمسَ بهجةَ الإشراقِ
وبخدٍّ أذابَ قلبي وقَدٍّ وثنايا مفلَّجاتٍ رِقَاقِ
لا تلُمني في حبِّه يا عذُولي فلقد طال في هواه اشْتياقي
ومن الجهل أن ترى لي فَكاكاً مِنْ وَثاقي وما رَعَى ميثاقي
نَمَّ دمعي على خَفِيِّ غرامِي وكذا الدَّمعُ آيةُ العُشَّاقِ
كيف لا أسكبُ الدُّموعَ وقلبي بين أمواجِ لُجَّةِ الأشواقِ
يا حُداةَ النِّياقِ ما اللَّيلِ باللَّيـ ـلِ مع العزمِ يا حُداةَ النِّياقِ
فدعوها تميسُ عنجاً ووسجاً كي تلاقي مِنَ المُنى ما تُلاقي
وأنيخوا بمصرَ في طلب الرِّزْ قِ فهاتيك مَعْدِنُ الأرزاقِ
إنَّ أقضى القُضاة أحمدَ فيها حسَنُ الخَلْقِ ليِّنُ الأخلاقِ
الشِّهابُ الذي ترقَّى عُلوًّا وسُمُوًّا عَنْ كلِّ سامٍ وراقِ

صائبُ الرأي في الأمور جميعاً ... كاشفُ المُشكلاتِ في الآفاقِ
قد مُلي صدرُهُ جواهرَ علمٍ ... لم يزل نورُها له في ائتِلاقِ
غامضاتُ العلوم في كلِّ فنٍّ ... خاضعاتٌ لديه بالأعناقِ
وهو أذكى بديهةً مِنْ إياسٍ ... وهو أسخى مِنَ الحيا الغيداقِ
عوَّد المعتفين ألاَّ يعودُوا ... لابِسِي منه حُلَّة الإخفاقِ
يطعمُ اللَّحمَ والثَّريدَ إذا المَحْـ ... ـلُ على النَّاسِ دائمُ الإطباقِ
أرتجي مِنْ غمامِ كفَّيه جوداً ... مُستهلاً بالتِّبْرِ والأوْراقِ
يحسُنُ المدحُ فيه دأباً ويحلو ... وهو فيما سواه مرُّ المذَاقِ
أيُها السيِّدُ المرجَّى لكشفِ الضُّـ ... ـرِّ عنا وضيقِه الإملاقِ
أنت تِرْبُ النَّدى وربُّ المعالي ... ونفادُ الأموال[1] بالإنفاقِ
ولك السُّؤدُدُ الذي جلَّ قدراً ... أن يسامى في شامها والعراقِ
أصبح النَّاسُ قائلين جميعاً ... بأقاويل صحَّةٍ واتفاقِ
لو يعود الزَّمانُ جسماً سوياً ... كنتَ عيناً لوجهه وأماقي
كلُّ مَنْ رامَ في مساعيك سعياً ... كان فيها سِكَّيتَ يومَ السِّباقِ
دُمْتَ ما دامَ يذبلٌ وثبيرٌ ... في أمانِ المهيمنِ الخلاقِ

[الإشليمي]

ومنهم: الزين عبد الغني بن محمد الإشليمي.

فأنشدني يمدح صاحب الترجمة قوله:

أيا بَحْرَ عِلْمٍ زانه الحِلْمُ[2] والتُّقى ... لك العِزُّ في الدُّنيا وفي يومِ تُبْعَثُ
أراد بك الأعداءُ سوءاً بجمعهم ... فلا تخشَ منهم، كلُّ جَمْعٍ مؤنَّثُ

(١) في (أ، ط): «الأمور».

(٢) في (ط): «العلم».

وقوله أيام ولاية القاياتي، ولُصِقَا بموضع جلوسه بالمنكوتمرية:

لـن يَـبْـلُـغَ الأعـداء فـيـك مـرادَهـم ... كـلاَّ ولـن يـصِـلُـوا إلـيـك بـمـكـرِهـمْ
فـلـك الـبِـشـارةُ بـالـولاء عـلـيـهـم ... فـالله يـجـعـلُ كـيـدَهـم فـي نـحـرِهـمْ

وقوله عند ولايته عقب السفطي:

لـقـد لـطـفَ الله الـكـريـمُ بـخـلـقـه ... وأضـحـكـهـم مِـنْ بـعـدِ فـيـضِ المـدامِـعِ
فـولَّـى عـلـيـهـم أحـمـداً وكـفَـى بـه ... إماماً وحَبْراً وهو في الخلق شافعي

[عبد القادر النحريري]

[ومنهم: عبد القادر النّحريري الواعظ.

مدحه بعشرة أبياتٍ فيما بلغني، ولم أقف عليها. ويقال: إنَّه أعطاه جائزته عشرة دنانير][1].

[الطَّويلي]

ومنهم: عبد اللطيف بن نصر الله الطَّويلي.

وله فيه مدائح كثيرة، منها ما كتب به إليه [مما سمعته منه][2]:

إذنـاً ـ رعـاك الله ـ فـي إنـشـادِ مـا[3] ... قـد قـلـتُ فـيـكَ مِـنَ المـديحِ مُـنـظَّـمَـا
فـي غـيـرِ هـذا الـوزن وزنـاً سـيِّـدي ... وسـيـنـشـدَنَّ مُـفَـعَّـلاً ومـقـسَّـمَـا
مِـنْ وافـرٍ والـنُّـونُ فـهـي رَوِيُّـهُ ... مـحـروزةٌ والـحَـذْ وفـتـحـةَ أعـلَـمَـا
وخـروجـهـا يـاءٌ وأمـا رِدْفُـهـا ... ألـفٌ وقـد أحـكـمـتُ ذاك فـأحـكَـمـا

---

(١) ما بين حاصرتين لم يرد في (ب): وقد أشير إلى ذلك فيها في نهاية هذا الجزء ص ٥٦٤.

(٢) ما بين حاصرتين لم يرد في (ب).

(٣) في (أ): «إنشادها».

مـولاي إنـي بـعـدَ هـذا مُـبـتـدِ غـزلاً دعـائي فـاستـمـع لـيَ واحـلُـمـا

ثم أنشد لفظاً قوله:

دعـانـي مِـنْ مَـلامِـكُـمـا دعـانـي فـداعـي الـحُـبِّ ويـحَـكُـمـا دَعَـانِـي
ألا لا تـعـذلان، فـإنَّ قـلـبـي أسـيـرٌ فـي بـلادِ الـوجْـدِ عَـانـي

ومنها:

إمـامـاً خُـذْ إلـيـك الـمـدحَ منِّـي فـجِـلْـمُـكَ واسـعٌ رَحْـبُ الأبـانـي
وأنـت أجـلُّ مِـنْ أن نَـمْـدَحَـنْـهُ لأنَّـك ذو الـصَّـنـاعـة والـمـعَـانِـي
ومـا أنـا[1] بـالـذي يُـعـلـيـك قـولـي مـكـانـاً بـل لِـتَـرْفَـعَ لـي مـكـانـي

في أبيات[2]:

[الجوجري]

ومنهم: عبد اللطيف بن محمد الجَوْجَري.

[ابن العديم]

وعبد الله بن عبد الرحمن بن العديم، كما سيأتي في الأسئلة المنظومة من الباب السادس[3].

وقد رأيت للجَوْجَري أبياتاً يلتمس فيها منه «وصية ابن عبد السلام». حذفتُها مع ما افتتحها به مِنَ النثْر تخفيفاً.

---

(١) في (أ): «وأنا».
(٢) «في أبيات» لم ترد في (أ).
(٣) ٢/٨٦٢.

[التاج عبد الوهاب]

ومنهم: التاج عبد الوهاب بن شرف، يأتي في الباب السادس أيضاً.

ومنهم: الإمام الموفق أبو الحسن علي بن الحسن بن أبي بكر الخزرجي، كما سيأتي في المطارحات مِنَ الباب المذكور.

[الدواليبي]

ومنهم: العلاء علي ابن العفيف عبد المحسن بن عبد الدائم[1] الدواليبي.

سمعت من نظمه وفوائده. ورأيت بخطِّ شيخنا أنَّه أنشده قصيدة تائيّة. ثم ظهر أنَّها لغيره مِنَ العصريين. قال: مع كونه غير عاجز عَنِ النَّظم. وأورد له قصيدةً أخرى أنشده إياها في سنة إحدى وأربعين وثمانمائة، وهي:

بكم حديثُ غرامي عاليَ السَّنَدِ ... يا سادةً بابُهم قصدي وهم سَنَدِي

صِلُوا غريباً غدا في الحب منقطعاً ... صحيحَ وُدٍّ ضعيفَ الصَّبر والجلَدِ

تَواتُرُ الشَّوقِ أبلى مُهجتي أسفاً ... ومُرسَلُ الدَّمع يُنبيكم عَنِ الكَمَدِ

يأتي العواذلُ آحاداً وما عَلِمُوا ... مُسَلْسَلَ الدَّمع لا يُصغي إلى أحدِ

يا مَنْ لهم كلُّ معنى في الوَرى حسنٌ ... عَلامَ بالسُّقم قد جرَّحتُمُ جسدي

جرَحتُم بالنَّوى قلبي الكئيبَ وإن ... تَرضَوْا بقتلي فلا تَخشَوْا مِنَ القَوَدِ

يا أهلَ ذاك الحِمى لي فيكمُ قمرٌ ... غزالُ شِعْبٍ ولكن مِنْ بني أَسَدِ

لا تعجبُوا مِنْ جُنُوني في محبَّته ... فطرفُه السَّاحرُ النفَّاث في العُقدِ

لمَّا رأى أعيُن العشَّاق مُحدقةً ... بوَرْدِ خدٍّ وورد المبْسم النَّضِدِ

هزَّتْ معاطفه رمحاً ومقلتُه ... سيفاً ودار العِذار الغضِّ كالزَّرَدِ

---

(١) «عبد الدائم» لم ترد في (ب، ح)، وفي (أ) و (ط): «بن عبد الدواليبي»، والمثبت من ترجمته في الضوء اللامع ٥/ ٢٥٥.

فكم له مِنْ قتيلٍ ماتَ مِنْ شَغَفٍ ... شوقاً لثَغْرٍ غَدَا أنقى مِنَ البَرَدِ
كأنّما ثغرُه في نظمِ لؤلؤه ... مدحي شهابَ العُلا ذُخري ومعتمدِي
قاضي القُضاة إمام الوقتِ سيّدنا ... علاَّمة الوقتِ أعني عالي السَّنَدِ
شيخ الحديثِ له الفضلُ القديم وكم ... له مناقبُ قد جلَّت عن العَددِ
مقلّد الجُودِ أعناقَ الورَى كرماً ... وفي الفضائلِ يَسْعَى سَعْيَ مُجتهدِ
بحر لمغترفٍ خير لمعترف ... دُر لمنتقدٍ نور لمعتقدِ
نظمت درَّ بياني[1] في مدائحه ... لأنّه للمعالي أيُّ منتقدِ
لِبَابِهِ عُلماء العصرِ قارعةٌ ... لما غدا أوحداً كالشَّمس في البَلدِ
تراه في البحث مثلَ البحر يظهر مِنْ ... تَلاطُمِ العلمِ كالأمواج بالزَّبَدِ
يا ابنَ السُّراةِ الكرامِ الغُرِّ بيتُك في ... بيتِ الفضائل والخيراتِ والسَّنَدِ
أتعبتَ بعدكَ مَنْ رام اللَّحاقَ فقد ... أكْدَت مطالبُ مَنْ جارى ولم يَكِدِ
بقِيتَ للدِّين تُعليه وتَنْصُرُه ... وفي المكارم تَسْعَى سعيَ مُجتهدِ
يَهنيك عِيْداً أتى بالسَّعد مقترنٌ ... والعتق يا خيرَ مأمولٍ ومُعْتَمَدِ
يا مَنْ وجدنا نَدَاهُ قبل مطلبه ... وكم طلبنا له نِدًّا فلم نَجِدِ
أَعطِ العُفَاةَ على رغم العداة وإن ... ثَنَّوا فثَنِّ وإن عادوا لها فَعُدِ
فليس يبقى سوى أحدوثةٍ وُصفت[2] ... في النَّاس والأجر عند الواحد الصَّمدِ

[أبو الحسن العراقي]

ومنهم: الإمام أبو الحسن علي بن عثمان بن حسن العراقي.

فأنشدني من لفظه بحضرة الممدح والجماعة قوله:

أشكرُ ربَّ العُلاَ وأحمدْ ... أن خَلَفَ الشَّافعيَّ أحمدْ

---

(١) في (ب، ط): «أبياتي».

(٢) في (أ): «وضعت».

مجتهدُ العصر في زمانٍ ... لم يبق في أهله مُقلِّدْ
قاضي القضاة الذي رَوَيْنَا ... عنه صحيح العفاف مسنَدْ
نادرةُ الدَّهرِ في فنونٍ ... تقضي بتفضيله وتشهدْ
منها الفتاوى التي إليها ... تفِدُ المطايا فَلاً وفَدْفَدْ
وواضحات الشُّروح فيما[1] ... أورده الشافعيُّ أو ردْ

[وما وجدت عندي باقيها][2].

وقوله يستنجز[3] مِنْ صاحب الترجمة وعده بسماع قصيدة امتدحه بها:

بَنَيْنَا في محاسنكم بيوتاً ... يضُوعُ بها الثَّناءُ ولا يُضَاعُ
ومنكم بالسَّماعِ وعدتُموها ... وهذا الوقت قد طَابَ السَّماعُ

[ابن المغلي]

ومنهم: العلامة نادرة الحفاظ العلاء علي بن محمود بن المغلي كما سيأتي في المطارحات[4].

[الأسواني]

ومنهم: السراج عمر بن عبد الله الأسواني.

مدحه بعد أن طارحه قديماً ببيتين، فقال: . . . .[5]

---

(١) في (ط): «فيها».
(٢) ما بين حاصرتين لم يرد في (ب)، وهي بخط السخاوي في هامش (ح).
(٣) في (أ): «يستخرج» وهو تحريف.
(٤) ٢/٧٩١.
(٥) بياض في الأصول.

[الجعبري]

ومنهم: السراج عمر بن محمد بن علي بن محمد ابن العلامة برهان الدين الجعبري، شيخ بلد الخليل.

أنشدني لنفسه بمدح «النخبة»، إذ قرأها على مصنِّفها صاحب الترجمة، فقال:

أبدعتَ يا حبْرُ في كل الفنون بما ... صنَّفتَ في العلم مِنْ بَسْطٍ ومُختصرِ
علمُ الحديث به أصبحتَ منفرداً ... وللأنامِ فكم أبرزْتَ مِنْ غُررِ
لقد جلوتَ عرُوسَ الحُسْنِ مبتكراً ... فيما أتيتَ به من «نخبة الفِكَرِ»
إذا تأمَّلها بالفكرِ ناظرُها ... تَهْمِي فوائدُها للفكرِ كالمَطرِ

[عمر الطرابلسي]

ومنهم: السراج عمر بن محمد الطرابلسي الحنفي.

فقرأت بخطه يمدح صاحب الترجمة، ويهنئه بوظيفة تدريس الشافعية بالشيخونية، وإفتاء دار العدل، وتدريس الحديث بالجمالية، فقال:

مراتبُ أهلِ الفضلِ تسمو بهم قدراً ... وأوصافهم مَنْ ذا يطيق لها حصرا

إلى أن قال:

وإنّ أبا العباس أهلٌ لمنصبٍ ... وأولى بتدريسٍ تولاّه والأجرَا[1]
لِمَا اجتمعَتْ فيه مِنَ المُلَح التي ... تَزينُ معانيها قوافٍ أتتْ شِعْرَا
كعفَّةِ نفسٍ واتضاعٍ ورأفةٍ ... وجودٍ ومعروفٍ يجودُ به برًّا
وعقلٍ وآراءٍ وحُسْنِ سياسةٍ ... وطيبةِ أخلاقٍ وسمت به البُشْرَى

إلى أن قال:

---

(١) في (ط): «والأحرى».

وما نال[1] في علمِ الحديثِ فواضحٌ ... روايته فيه بدارِسها جهرَا
وإسناده الأقوى به كلُّ حاسدٍ ... ضعيفٌ ومِنْ بلواه لم يستطع صبْرَا
مكانتُه المرفوعةُ القدرِ في الدُّنَا ... بها وُضِعَت أقوالُ أضدادها قهرَا

إلى أن قال:

تهنَّ بما أوليتَه[2] ووَلِيتَه ... شهابَ الدُّنَا والدين في أنْعُمٍ تُتْرَى

إلى أن ختمها:

عليه صلاةُ الله ما سار ممتط ... قَلُوصاً إلى نجدٍ وطاب له المسْرَى

عُويس السعدي

ومنهم: العالية الشَّرف عيسى بن حجاج السعدي، الملقب عُويساً، الآتي في الألغاز[3] مِنَ الباب السادس.

رأيت له قصيدةً بخطِّه امتدح بها صاحبَ التَّرجمة، وسمعها هو والصَّلاح خليل الأقفهسي مِنْ لفظه في سنة تسع وتسعين وسبعمائة، فقال:

ما سار مَنْ أهواهُ لكن قد سَرَى ... في ليله مِنْ شَعْره مُتَسَتِّرَا
وأجازَني بالوصل عن غَزَلي الذي ... يحلو بغزل اللَّحظِ منه مكرَّرا
وبضيفِ طيفِ خصَّني تحت الدُّجى ... كرماً فصيرتُ المنام له قِرَى
قَمَرٌ مُحَيَّاهُ وغُصنٌ قَدُّهُ ... بهرَ الغزالةَ وهو يُدعى جُؤذُرَا

منها:

بالحُسْنِ منه جانَس الإحسان مِن ... يُمناك تجنيساً لقد سُرَّ الورى

---

(١) في (أ): «زال».

(٢) في (أ): «أوتيته»، وفي (ط): «أوليت».

(٣) ٢/٨٢٣.

زُمراً لك الشُّعراء مِنْ فُصحائِهم ... أمُّوا وقد جعلوا مديحَك مَتْجَرَا
أغنيتهم وغنيتَ عَنْ أمداحهم ... إذ كان أفصحُهم لديك مقصِّرَا
في فَحمةِ اللَّيل البهيمِ قَريحَتي ... صيّرتُها بجميلِ ذكرك مِجْمَرَا
فاستنشَقَتْ منها المعاطِسُ نفحةً ... ما فاحَ منها فَاق مسكاً أذْفَرَا
يا مَنْ لقد شَفَعَ الجميل بمثله ... ولحاسديه قَوْسَ حزمٍ أوْتَرَا
إنْ فُقْتَ جيلاً أنت منهم لا مِرَا ... فالنَّاسُ في الأحْجَار عدُّوا الجوهرَا
بسُهيلِ بنِ أبي ربيعة ما ارتضى ... أنَّ الثُّريا قارنته في الثَّرى
حاشا الرَّئيسَ شهابَ دين الله أن ... يرضى سِوَى شُهْبِ المجرَّة مَعْشَرَا
قد صغَّرَ الدُّنيا لديه زُهدُهُ ... وعلى الحريص بجمعِها قد كَبَّرَا
لو لم يكُنْ بالجودِ صبًّا ما اقتنى ... منها الدَّنانيرَ الحِسَان ولا الدَّرا[1]
بعد ابن بُرد إنْ تسلْ عَنْ شاعرٍ ... حاك القريضَ المستجادَ مُحرَّرَا
يَمِّمْ أبا الفضل الذي مَن قاسَه ... بابنِ العميد بلاغةً فقدِ افترى
أتقيسُ بالمتقدم المفضولِ مَنْ ... هو فاضلٌ لكن أتى متأخِّرَا
لو حاول القاضي السعيدُ بحلْبة الْـ ... ـآداب إدراكاً له لتعثَّرا
ولو انَّ رَاوي نظمِه وافَى به ... لأبي ذُؤيّبٍ كان منه تَنَمَّرَا
كم لابن مولانا عليٍّ مادحٌ ... مثل الذي مدح الأمينَ وكَوْثَرَا
بلغ النِّهايَة في الحديث المنتقَى ... وروى الصِّحاحَ وفي الرواية حَرَّرَا
والذِّكرَ فسَّرهُ على نحوِ الذي ... قد ألَّف «الكشافَ» في أُمِّ القُرى
وعلى الخليل بنحوِه[2] يسمُو وفي ... لغة يفوقُ أبا عبيدة مَعْمَرَا
معنًى بلفظ الشُّكرِ قد وصفُوه لي ... والفضلُ بالفضلِ الكبير وجعفَرا

---

(١) «الدرا» ترخيم دراهم.

(٢) في (أ): «ونحوه».

فأجبتُهم: مولايَ أحمدُ فاقَهم ... بنَدى يدٍ كالبحرِ فاق الأبحُرَا
قد مَاسَ في الأوراق قَدُّ يراعِه ... كالغُصن لكن بالمكارم أثمرَا
شَرُفَتْ به الأقلامُ جمعاً كونُه ... قلماً أرقَّ مِنَ النَّسيم إذا انْبَرَى
قِرطاسُه المبيضُّ كافوراً حكى ... وبخطِّه المُسْوَدِّ يحكي عَنْبَرَا
أهلُ الزَّمانِ شبيهُه حاشاك هم ... يمشون كالحَبَّال فيه إلى وَرَا
قد خالفوني حين خالفَ مشيُهم ... مَشيي ولاسْمي كلّهم قد صَغَّرا[1]
يا مَنْ أطلتُ مديحَه وأطبتُ في ... إثنائه[2] وسألتُه أن يُعذِرَا
صُن ماء وجهي مثلَ ما صُنْتُ الثَّنا ... عَنْ كلِّ مَنْ عنه النَّدى لن[3] يُؤثَرا
في سُوق فضلك قد عرضتُ بضاعتي ... وهي المديح وأنت نعم مَنِ اشترى
أُوتِيتَ في الدَّارين ما أمَّلتَه ... وبقيتَ في كل الأمور مُخَيَّرَا

ورأيت مما امتدح به أديبُ الدِّيار المصرية عيسى بن الحجاج السعدي العالية، صاحبَ الترجمة قوله:

لو نادم المشتاقُ غيرَ نديمه ... لم تنصرفْ عنه صروفُ هُمومِهِ
فاجعل نديمكَ من بِفيْهِ كريقِه ... وبخدِّه يُغنيك عن مشمومِهِ
قمرٌ حوى شمس[4] الطِّلا وكأنما ... ألقى عليها الليلُ زهرَ نجومِهِ
أفرغتُ للخمَّار أكياسي وقد ... مُلئتْ كُؤُوسي مِنْ عصيرِ كُرومِهِ
وشربتُ في روضٍ أريضٍ نشرَه ... كالمسك فاح لنا بطيِّ نسيمِهِ
قم يا خليعَ الشَّرب نادِمني به ... تحت الدُّجى وانْشَقْ عَبيرَ شَمِيمِهِ
فإذا طربتَ على سماعِ فليكن ... مِنْ شَدْوِ معشوقِ الدَّلال رخيمِهِ

---

(١) في هامش (ط، ح): لأنهم كانوا يلقبونه عويس.
(٢) في (أ، ب): «إيتائه».
(٣) في (أ): «لو».
(٤) في (ب): «شموس»، خطأ.

ريمٌ على مُضْناه يَبخَلُ باللِّقا ... أرأيتَ بين الباخلين كَريمِهِ
في[1] مِيم مَبْسَمِه رحيقٌ[2] حلَّ لي ... مَنْ لي برشفِ رحيقِه مِنْ مِيمِهِ
في نُونِ حاجبه وصَادِ لحاظِه ... نصٌّ لعاشقه على تحريمِهِ
دمعي صديقُ الخدِّ مني حَمَّهُ ... فانظر لفعلِ صديقِه بحميمِهِ
كم حيَّ ليلٌ مِنْ صدودِ معذِّبي ... وكَّلتُ أجفاني برعْي بهيمِهِ
كَلَمَ الحشا مني بصارمِ جفنِه ... وبثغره الخرطومُ طبُّ كليمِهِ
قبَّلتُ قبلَةَ خدِّه مذ زارني ... وبرشفِ[3] فيه سكرتُ مِنْ خُرطومِهِ
فَشَفَيْتُ وجْدِي مِنْ مليحِ زمانه ... وبلغتُ قصدي مِنْ نَوال كريمِهِ
علاَّمةُ الدُّنيا أبو الفضل الذي ... كلُّ الورى اتَّفقت على تعظيمِهِ
أهلاً به مِنْ قادمٍ بمكارم ... قَدِمَ السُّرورُ على الورى بقدومِهِ
كم مِنْ مُجِلٍّ قد تمنَّى طامِعاً ... في أن يُخيِّم ساعةً برسومِهِ
كم سار في طلب الحديث مشرِّقاً ... ومغرِّباً وسَرَى لحِفظِ علومِهِ
إسنادُه العالي أصار[4] حديثَه ... في كلِّ درس ملحقاً بقديمِهِ
ما لحنُ إسحاق وإعرابِ أتى ... في كف إيهامٍ لبيت ظلومِهِ
يوماً بأعجب مِنْ ثَنَايَ على فَتًى ... عمّت مآثرُه بَني إقليمِهِ
رحم الإلهُ أباهُ في بطن الثَّرى ... وأحلَّه بالفضلِ دارَ نعيمِهِ
وحبَا شهابَ الدِّينِ سيدَنا ابنَه ... كلَّ المُنى بخصوصِه وعمومِهِ
بنَدَاهُ علَّمني الثناء فليس لي ... فضلٌ به إذ كان مِنْ تعليمِه
يُعطي لراوي مَدْحِه المختومَ مِنْ ... ذهبٍ عقِيب البِشْرِ من تَبْسِيمِه

---

(١) في (أ): «كم».
(٢) في (ب): «ريق».
(٣) في (أ): «ورشفت».
(٤) في (ب): «اختار»، تحريف.

عُمرُ «ثلاثُ شُخُوصه» تعنو لَدَى ... شخص به لي جاد مِنْ مختُومِهِ
مِنْ جُمَّلٍ باللام لو قد جاد لي ... ما فزتُ مِنْ جود الأنام بجيمِهِ
لا عيب فيه غير كتمِ هباتِه ... يا حبذا الموهوب من مكتومِهِ
..... [1] ... في إيثاره والليث في تضمينِهِ

[الطنوبي]

ومنهم: الشيخ الشرف عيسى بن سليمان[2] الطُّنُوبي.

فمما امتدح به صاحب الترجمة ما أنشد عقب ختم «شرح البخاري» بالبيبرسية. [ثم أنشدنيه إياه بعد][3].

سمحتُم بشرحٍ جاء أغلى من العين ... فحصَّلْتُكم بالله وهو مِنَ العَيْنِ
تَحَلَّى بتاج العِلم فخراً وعندما ... تجلَّى أبان الجهل عنا مِنَ البينِ
وأضحت سطورُ العلمِ فيه جواهراً[4] ... تُعدُّ على الطُّلاب سِمْطين سِمْطينِ
ومَاسَ بقُرْطٍ مِنْ وجوه نُقولِكُم ... فمن تاجها والقرطِ فُزنا بفَلوين[5]
تُنقِّح شرحاً للبخاري بلا مَيْنِ ... به[6] فتح الباري عَنِ الكاف والنُّونِ
وأخذل جيم الجُورِ إذ باء بالمنى ... وأظهرَ عَيْنَ العدلِ من سرِّ يُسنِ
غدا جَنَّةً للعلم فيه حدائقٌ ... تنزَّهَ فيها ناظرُ العَيْنِ في العَيْنِ
فطبتُ بلَمْيا حوره متمسكاً ... وأقلعَ غينٌ كان في الفكر يُلهيني

---

(١) بياض في الأصول، وفي هامش (ب، ح) ما نصه: انمحى النصف الأول.
(٢) في (ب): «سلمان»، تحريف.
(٣) ما بين حاصرتين لم يرد في (ب) وأضافها المصنف بخطه في هامش (ح).
(٤) في (أ): «جوهراً».
(٥) في (أ): «بفكوين» تحريف، وفي (ط): «بقولين»، وفي (ب): «بقلوين»، والمثبت من (ح) و«المختصر» للسفيري.
(٦) في (أ): «فيه».

فأعظِم به شرحاً مفيداً منقحاً ... إذا صدَّ جهلي عنه، بالعلم يُغريني
وإن صرتُ منه في[1] ضلال أضاء لي ... شهابُ سَناً منه إلى الحق يهْدِيني
فدونَك تأليفاً أتى عَنْ مؤلِّفٍ ... تحرَّى صحيح النقل لم يرضَ بالدُّونِ
أقول وما زال التَفاتي لمدحِه ... وتنزيهه فرضي وتعظيمه ديني
إليك انتهت يا حافظ العصر رحلةُ الـ ... ـحديثِ مع الإملاء حقًّا بلا مَيْنِ
وأنت الذي أحييت سنَّة أحمدٍ ... وأبرزتَ مِنْ أسرارِها كلَّ مكنُونِ
وأنت الذي صنَّفت كهلاً ويافعاً ... وأفْتَيتَ في فَرْضٍ علينا ومَسْنُونِ
وأنت الذي في الشِّعر مالِكُ رقِّه ... وفُقْتَ على حسَّانه وابن زيدونِ
وأنت الذي دوَّنت شرحاً سَمَا به ... إمامُ بُخارى فانْثَنَى خيرَ ميمونِ
وألبستَه تاجَ العُلومِ مكلَّلاً ... فها هو في قُرطٍ يميسُ ببُرْدَينِ
ولم يأت شرح للبخاريِّ مثلُه ... وهيهات ما البَشنين فضلا كنِسرينِ
فذُق عِلْمَه واهجُر مقالَة غيره ... ففي الشَّهدِ معنى ليس يُوجَدُ في التِّينِ
يزيدُك علماً إن تَزده تأمُّلاً ... ويُشكِلُ تارات ويأتي بتَبْيينِ
حوى كلَّ ما قال الأولى في مؤلَّفٍ ... بأبدعِ تقريرٍ وأبرع تدوينِ
وزادَ مِنَ التَّنقيح ما فضلُه به ... تأكَّد عند الخصم بالنَّفس والعَينِ
له فضلاء العصر صلَّوا وسلَّموا ... لما قلتَ طوعاً ليس ذلك بالهُونِ
ولو كان في عصر البخاري مؤلَّفاً ... لكان له إلفاً وقبَّل إلفينِ
وخرَّ إلى الأذقان لله ساجداً ... وقال: نعم، هذا الذي كان يُرضيني
أو ابن معين قال: في الحفظ زادني ... وزال به عنِّي الذي كان يُنسِيني
له الله مِنْ شرحٍ أزال شهابُه ... عَنِ السُّنَّة الغرّا جُموعَ الشَّياطينِ
قررتُ به عيناً وصرتُ به زَيناً ... وأحيا به حيناً إلى مُنتهى حَيْني

---

(١) «في» ساقطة من (ب).

ولِـمْ لاَ بـه أحـيـا وفـيـه فـوائـدٌ ... مِنَ العلم تكفيني إلى يوم تكفيني

وحُجَّةُ دعوى الخصم مخصومةٌ بما ... به[1] سجَّل القاضي بنصٍّ وتعيينِ

عن ابن عليٍّ صرتُ أروي العُلا فإن ... عطِشتُ فمِنْ علمٍ هَمَى مِنْهُ يُرْويني

ويُملي على أُذْني فأكتبُ جوهراً ... وأمدحُه مِنْ بعض ما هو يُمليني

هو الحَبْرُ بحرُ العلمِ عينُ زمانِه ... فما جعفرٌ في فضله وابنُ هارونِ

وأثْنَوَا بالصِّدِّيق آلوا بأنه ... هو الفردُ في التَّحقيق لا ثَانِي اثنَيْنِ

نقلتَ به الأصلين والفخرُ شاهدٌ ... له وابن برهان بتلك البراهينِ

وبيَّنت في التفسير حكم[2] مسائل الخـ ... ـلاف بما أظهرتَ مِنْ كَنزِ مدفُونِ

كرأي ابن عباس ورأي مُجاهدٍ ... ورأي عطاءٍ ثمَّ رأي ابنِ سيرينِ

وقرَّرتَ للقُرَّاءِ ما كان نافعاً ... أتى عن أبي عمرٍو وورشٍ وقالُونِ

وحقَّقْتَ حكمَ الرَّوْمِ فيه وغُنَّةٍ ... ومدٍّ معَ الإشمام والوصل واللِّينِ

وأعربته عَنْ سيبويه وشيخِه ... وأبديتَ فرقاً بين نُونٍ وتنوينِ

وأسندت فيه عَنْ شيوخٍ كثيرةٍ ... لهم طرقٌ تعلو ففزت بأجرَيْنِ

نتيجةُ علمِ النَّقلِ والعقلِ فاعجبوا ... له وهو طفلٌ جاز[3] فيه ابنَ سبعينِ

وما مسلَّمٌ إلا وقال كجوهرٍ ... فمَنْ ليس يحويه غداً بئسَ مغبونِ

ولا عجبٌ فاليمُّ مِنْ حجَرٍ بدَا ... عيوناً لموسى حين خرَّ على الطينِ

فعشرُ عيونٍ منه عشرُ أصابعٍ ... تفيضُ وثنتا جُودِها ستّ كفَّينِ

سما في تآليفٍ غَلَت في حياته ... نعم وعَلَتْ فوق السَّمَاكِ وتِنِّينِ

تُناهز عُشْر الألف عدًّا وكم سعى ... لِبَابِ عُلاها وافدٌ مِنْ سلاطينِ

وزادوا اشتياقاً بالسَّماع وربما ... تعشَّق قبلَ العين سمعُك في الحِينِ

---

(١) «به» ساقطة من (ب).

(٢) في (أ، ط): «كل».

(٣) في (أ): «حار».

فجهَّزَها سلطانُ مصرَ هديةً ... إليهم فأنبتَ عَنْ خيولٍ ونَقْدينِ
إلى الغرب سارت ثم للتُّبْكِ[1] سافرت ... وفي يَمَنٍ حلَّت وصارت إلى الصِّينِ
فعش آمنا يا حافظَ العصرِ وابتَهِجْ ... بفتحٍ له ختم على عَيْنِ ذي رَيْنِ
وباكِرْ لبكرٍ في حماكَ تنزَّهَت ... بمدحك عَنْ إيطاء مدحٍ وتضمينِ
ودع أيِّماً أضحت لها فيك ضَرَّةً ... فبالفرقِ بان الصُّبحُ منها لذي عَيْنِ
فلا زلت ذا جاهٍ وجُودٍ وسُؤدَدٍ ... وحُكمٍ وتأليفٍ وعزٍّ وتمكينِ
وأختمُ مدحي بالصَّلاة مسلِّماً ... على خيرِ مبعوثٍ مِنَ الحَوْضِ يسقيني
صلاةً تريني بُعد جسميَ من لظًى ... ومِنْ جنَّةِ الفردوس في الحشر تُدنيني

وله في «الفتح» أيضاً [مما أرويه عنه][2]:

يا طالبَ العلمِ إن أنهيتَه نظراً ... فعُد إليه ولا تَجْنَح[3] إلى الضَّجرِ
فالنَّاسُ للبحرِ وافوا بَعْد بُعدِهم ... والبحرُ في مصرَ قد وافاك مِنْ حَجَر

وقوله فيه أيضاً:

إذا تأمَّلت معناه مُطالعةً ... تجده بحراً صفا في العلم أوْ رَاقَا
وإنْ تأمَّلتَه لفظاً وجدت به ... ثمارَ روضٍ فزانت فيه أوراقا

[مجد الدين ابن مكانس]

ومنهم: المجد فضل الله بن مكانس، كما سيأتي في الألغاز[4].

---

(١) في (ب، ط): «للّنك».
(٢) ما بين حاصرتين لم يرد في (ب).
(٣) في (أ): «تحتج».
(٤) هو فضل الله بن عبد الرحمن بن عبد الرزاق، ويعرف بابن مكانس (الضوء اللامع ٦/ ١٧٢) وانظر ما يأتي ٢/ ٨٢٤ ـ ٨٣٠ من ألغازه لصاحب الترجمة وجواب الأخير عليها.

[قاسم بن قطلوبغا]

ومنهم: العلامة الزين قاسم الحنفي.

فكتب إليه بديهةً وقد تجدَّدت له ابنةٌ سماها فاطمة[1]:

يا مالكاً نعماؤهُ تَعُمُّ دهراً خَادِمَهْ
قد جدد الله لستقديم النِّعال خادِمَهْ
بديعةٌ في شأنها مرضعة وفاطمَهْ
يدعو لسانُ حالِها بأنعمٍ ملازمَهْ
لمن غدت نَغْمَاؤُه على أبيها دائمَهْ
أعني إمامَ عصرنا وحبْرَه وحاكِمَهْ
وحافظَ السُّنَّةِ مَن عمَّ الورى مكارمَهْ
أنالَهُ الله العُلَى بَدْءاً وحُسْنَ الخَاتِمَهْ

[البدر البشتكي]

ومنهم: العلامة البدر محمد بن إبراهيم بن محمد البشتكي.

فكتب إليه وقد وعَكَ صاحب الترجمة:

سلمتَ وكلُّ العالمين لك الفِدى وعافَاكَ مَنْ عَافَى بك الفضلَ والنَّدَى
فثِقْ بمديدِ العُمر وافرَ نعمةٍ بسيطَ مجالِ الذِّكرِ مُنْسرِحَ المدَى
فما كان يُخلي اللّهُ جلَّ جلاله سماءَ المعالي مِنْ شهابٍ به الهُدَى
أعاذك ربُّ العالمين مِنَ الضَّنَى وأمّا الذي تخشى فعاد إلى العِدَا
ولو لَمْ توافي يا أبا الفضلِ للوَرى لما عرفُوا والله مجداً وسُؤدَدَا
وكم قد رأينا مِنْ عُلاكَ فواضلاً وكم قد رَوَيْنا عَنْ كمالِك مُسنَدا

(١) أنشد الأبيات الأربعة الأول السيوطي في «المنجم في المعجم» ص ١٦٧ بتحقيقي.

فدُمْت سعيدَ الجَدِّ في ألفِ نعمةٍ ... ولا زلتَ محروسَ الجنابِ مؤيَّدَا

وقرأت في «ديوان نَظْمِه»، جمع العلامة الشهاب الحجازي، مدحاً في صاحب الترجمة:

أعاطلٌ خدُّهُ بالدمعِ أم خالي ... فيومُ هجرٍ عليه عامُ إمْحالِ
متَيَّمٌ بأمالي الوجْد يدرُسُها ... لأنَّه راح يرويها عَنِ القالي
أحبابَنا وكنوزُ الصَّبر قد فرغتْ ... وبعد ذلك والَهْفِي على المالِ
أشكو إلى الله أفعالاً لُسِعْتُ بها ... في الحبِّ فهي على الحالين أفعالي
وكم شكوتُ ولو لم أشتكي لغَدتْ ... حالي أمضَّ على صحبي وأشكالي
أرخصتُم مهجتي في أسر عشقكُم ... والحبُّ كان على الحالين أغْلَى لي
حَمَيْتُ سَمْعِيَ عَنْ لومٍ فإن ضَعُفَت ... منِّي القُوى فحبالُ الحُبِّ أحْمالي
تسمو إلى وصلكُم رُوحي وقد قَنَعَتْ ... بثوبِ صبرٍ على الحالين أسْمَالي
عَمِلتُ في الحب أو عُمِّيت عنه[1]، فلا ... تعجب فعشقي في الحالين أعْمَالي
بالحُسْنِ أوصى لكم ربُّ الجمالِ فَمَنْ ... يا قاطعين بهذا الهجرِ أوصَالي
أطَلْتُم وَجَلي مِنْ ريحِ هجركُم ... فأقصروا بسيوف[2] اللَّحظِ أوجَالي
أغْواني القلبُ فيكم حين أفزَعني ... فعُذِّلِي في كلا الحالين أغْوَى لي
أغزى أبو الفضل جيشَ الجُود فيَّ وقد ... أحببتُه فله مدحي وأغزالي
أنكرتُ قوَّةَ أقوالٍ مَدحتُ بها ... سِواهُ لو كُنَّ فيه كنَّ أقوالي
أقفو مدائِحَ مَنْ جَدْوَاهُ أينعُ[3] لي ... لو أنَّني تحتَ أغلاقٍ وأقفالِ
كالأهلِ صرنا وأهلُ العصرِ قد غَدرُوا ... فأنت والنَّاسُ في الحالين كالآلِ

---

(١) «عنه» ساقطة من (ب، ط).

(٢) في (ب، ط): «فسيوف».

(٣) في (ط): «أنفع» وكتب في هامش (ح): خ أنفع.

لِمْ لَمْ أحكِ مدحَ مَنْ بالجود ألجم لي ... وإن أكُنْ خلفَ أسْتَارٍ وأسْدَالِ
يُجْبَى المديحُ إليكم يا بني حجر ... وحَاجُكُم نتلقَّاه بأجبالي
بيوتُكم في هُبوطِ الحظِّ أسكُنُها ... فهي الشِّفاء لأسقامي وأعلالي
فاهنأ بعشرٍ وحولٍ حالُه بك قد ... عَلَتْ على أشهُرٍ مَرَّت وأحوالِ
والله لا خَابَ حَدسِي بعد ما عَلِقت ... يَدِي ومدحُ شهابِ الدِّين أوفَى لي[1]
لا زال مستقبلاً حلى المدائح ما ... حلَّت على السَّمع مِنْ ماضٍ ومِنْ حالِ
جلَّى عليَّ مقاطيعاً[2] جَلا صدَئي ... بها فأكرِمْ على الحالين بالجالي
عن جَنتي رفعتَ الحسنَ في كِلَلٍ ... لهفي على غُرَرٍ منه وأحجالِ
بدائعٌ إن طَوَتْ نظمَ الأولَى فلها ... نشرٌ أغارَ مقاطيعي وأطوالي
عن حسنها قد كبا فكري وقيَّدني ... إحسانُكم وكلا الحالين أكْبَالي[3]

وقوله أيضاً:

لولا المحيَّا وداجي الشَّعر كالغَسَقِ ... ما طاب مُصْطَبَحي حُبًّا ومُغْتَبَقي
مِنْ أهيفِ القَدِّ إن مَاستْ معاطِفُه ... هفَتْ إليه قلوبُ الخَلْقِ كالورقِ
تحجُّ أبصارُنا شوقاً لطلعتِه ... كأن ذاك المُحَيَّا كعبةُ الحَدَقِ
سمَّى عِنَاقِيَ إثماً ثم حرَّمَه ... يا ليت لو كان ذاك الإثمُ في عُنقي
هذا وما عِفْتُ طيفاً كالسَّعيد ولا ... غَفَتْ عُيوني طريقَ الطَّيف مَعْ أرَقِي
لكن جُفُونِيَ عَنْ نومي مباينةٌ ... فالطَّيفُ عَنْ مُقْلَتي بالفتح في غَلَقِ
إني أرى ابنَ سناء الملك مبتدعاً ... لولا السَّماح لقد كانَ السَّعيدُ شَقِي
كم يهزل اسمَ الذي يهوى فصيَّره ... إذ زاره البدرُ مَرْميًّا على الطرقِ

---

(١) في (ط): «أصفى لي».

(٢) في (أ): «مقاطيعها»، تحريف.

(٣) لم يرد هذا البيت في (ب).

وما كفاه يُسمِّي حِبَّهُ صنماً ... حتى يَصُوغ سَمِيَّ الحب مِنْ بَهَق

وساكنٍ قلبَ مَنْ يهوى وأضلعُه ... تُكْوى، فسبحان مُنْجيه مِنَ الحرَقِ

رويتُ عَنْ خصره والجفنُ عن جسدي ... فصحَّ عندي حديثَ السُّقمِ مِنْ طرقِ

خدعتُه بنسيبي والدموع فلم ... يَرْحَمْ قيامي على الحالين بالْمَلَقِ

بالله ما ضرَّ حُسَّادي لو أنك يا[1] ... ليلَ الحمى بات بدري فيك مُغْتَبِقي[2]

ها مهجتي مِنْ طباق الدَّمع في تعبٍ ... فارْحَم مقيَّدةً في إثْرِ مُنْطَلِقِ

بدري الذي كنتُ طول اللَّيل أرقبُه ... واحَيْرَةَ القلب لمَّا غابَ عَنْ أفقي

فالشُّهْبُ والجمرُ[3] مِنْ دمعي لفرقته ... في حَلْبة الخَدِّ معدودان[4] للسَّبَقِ

إن فَاضَ دمعي دماً مِنْ بعدِ طلعتهِ ... فالشَّمسُ إنْ غربَت لا بدَّ مِنْ شَفَقِ

فما تمنَّيتُ نومي بعده ملَلاً ... إلا عسى طيفه يمشي على حَدَقِ

ولا تأنَّس قلبي في تواصُله ... إلا غدوتُ مِنَ التَّفريق في فَرَقِ

ورُبَّ ليلٍ دَجَا بالهمِّ فاقتدحت ... نارٌ مِنَ الرَّاحِ فيه برَّدت حُرَقي

لولا الحبابُ وكاساتُ المُدامِ به ... لم أحتفِل بنجومِ الأُفق والشَّفق

ولستُ أدري أمِنْ سَكْرِ المُدامة أم ... مِنْ سكرِ فضلِ شهابِ الدِّين لم أفِقِ

لولا أبو الفضلِ ما ازدانتْ سماءُ علاً ... ولا بدت في الدَّياجي حِلْيةُ الأفقِ

جارَى أباه إلى فضلٍ فأحرزه ... وزاد بِرًّا وفازَ النُّور بالسَّبقِ

لو لم يكن جدُّه الأعلى دُعي حجراً ... ما كان يُعْبَدُ هذا الإسمُ في الفِرَقِ

نَزْرُ الكلام إذا ما الحلم[5] أولعَهُ ... بالصَّمتِ أفصحَ عنه المدحُ في الورقِ

---

(١) في (أ، ب، ح): «لو»، والمثبت من (ط).

(٢) في (ب، ط): «معتنقي».

(٣) في (أ): «والخمر».

(٤) في (ط): «معدودات».

(٥) في (ط): «الحكم».

فإنْ تكلَّم خلَّى النَّاطقون له ... عَنْ غايةٍ ما بها شأوٌ لِمُسْتَبِقِ
ما فاضَ علماً وبذلاً يومَ مسألةٍ ... إلا خشيتُ على نفسي مِنَ الغَرقِ
إنْ قيس بالبدرِ قال البدرُ معترفاً ... لقد رَقَى طبقاً في المجدِ عَنْ طبقِ
ما هزَّةُ النِّيل إلا خجلةٌ عرفت ... لما جرى مع ذاك النيل في طلقِ
أغرُّ تنهبُ جنحَ الليل بهجتُه ... فوجهُه لبياضِ الصُّبحِ كالفَلَقِ
مولًى لرقة حالي رقَّ خاطرهُ ... فكان لي بذلُه عطفاً على النَّسَقِ
فكيف لا أُطرِبُ الأسماعَ فيه ثَنًا ... وجودُه قد غدا كالطَّوق في عُنقي
وخلَّصتني مِنَ الأيام هِمَّتُه ... كما يُخلَّصُ صفوُ الماء مِنْ رَنَقِ
فخلِّ لي وُدَّهُ يا دَهْرُ متَّصلاً ... وخُذْ بقيَّةَ ما أبقيتَ مِنْ رَمَقِ
مَنْ لم يذُقْ حُسْنَ أشعارٍ يفُوه بها ... ما ذاق لذَّةَ دنياه ولم يَذُقِ
تصبو العيونُ إلى خطٍّ يُنمِّقُه ... كأنَّها منه في مُسْتَنْزَهٍ أنِقِ
كأنَّه وهو بالتَّاريخ مشتغلٌ ... مطالعٌ كلَّ مجموعٍ ومفتَرِقِ
على الملائكِ مستوفٍ يساوقهم ... ما حلَّ بالكون مِنْ ماضٍ ومُلْتَحَقِ
فيا شهاباً هدى لمَّا أضاء وقد ... حَمَى سماء العُلا عَنْ كلِّ مُسْتَرِقِ
وكاملَ العقلِ مرآةُ الزَّمانِ له ... فكرٌ يُريه لعَمْري ما مضَى وبَقِي
إقبلْ هديةَ عبدٍ لو تكلَّف أن ... يُثني على بعضِ ما أوليتَ لَمْ يُطقِ
جردتَ مَنْ قال في غرناطةٍ أدباً ... ومَنْ أتى بَرَّها في أبحُرٍ عُمُقِ
وجُلْتَ بالعزم أسفار «الإحاطة» أو ... فتَّحت بالفضل منها كلَّ منغَلِقِ
فاسرح بفكرك في تحرير مركزِها ... فالنَّارُ تُظهِرُ طِيبَ المندَلِ العَبِقِ
لو رمتُ تجديدَ علمٍ ليس عندكُمُ ... لكنتُ في ذاك منسوباً إلى الحُمُقِ
وإنَّما القصدُ أن يَجْرِي بحضرتِكُم ... ذكري وأن تُنْعِمُوا بالبشر في السَّبقِ
لا زال مِنْ جودك الوكَّافِ طوقُ ندًى ... مِنْ كلِّ ذي أملٍ يرجوك في الضِّيَقِ
ودمتَ بالحُسنِ والإحسانِ منفرداً ... ما دامَ يَشفع حسنُ الخَلْقِ بالخُلُقِ

فمن يكن ببَني الدُّنيا له عَلَقٌ ... فإنني مِنْ سواكم قاطعٌ عُلَقي

وقوله مجيباً:

برُوحي شهابٌ بالفصاحة والذَّكا ... رقَى في سماء الفضل فاستخدمَ الشِّعرى
ونوَّه مِنْ قدرِي وقد كان كالسُّها ... فلولاه أمسى النَّاسُ لم يعرفوا البذْرا
وعَاتَب أشعاري على أنْ تأخَّرت ... حياءَ ولم يقبل لعلَّ لها عُذرا
وأهْدَى إليَّ السبعة الشُّهب أزهرت ... ومَنْ يستطع أن يهدي السَّبعةَ الزُّهرا
بخط[1] به قرَّت عيونُ ابن مقلةٍ ... وفيه فتى البوَّاب قد هتَّكَ السِّتْرا
فوالله ما أدري معانيه أسْكرت ... أمِ اللَّفظُ أم لحظٌ أحاق به[2] السِّحرا
فلا زلتَ تُجري بَحْرَيِ الجود والثَّنا ... ومِنْ مجمعِ البحرين[3] تبدي لنا الدُّرَّا

وقوله:

لحبيب وخاتم في نظام ... وندًى فُتَّ عند لفٍّ ونشرِ
يا شهاباً صفا فؤاداً ولكن ... مِنْ ودادي فعاد جبرك[4] كَسْرِي
إنَّ حبِّي لأحمدٍ وعليٍّ ... هو طبعٌ ولا أقول بجَبْرِ
يا أبا الفضل ذي بدايةُ فضلٍ ... ما ترقَّت لها مشايخُ عصْري
كم تهكَّمتُ بي وذو اللب مُسْتَغـ ... ـن بما نالَ عَنْ مُصحّف نشرِ
وإذا كنت قد هتكت الدّراري ... بنظامٍ فكيف حالُ الدُّرِي
ليت شعري لو جَادَ لي أمتدِخْكُم ... وبعجزي ناديتُ: يا ليتَ شعري

وقوله في «شرح البخاري»، وأنشدهما لصاحبِ الترجمة في مجلس الإملاء:

---

(١) في (ب): «بخطه».
(٢) في (ب، ط): «بي».
(٣) في (ب): «البحر».
(٤) في (ب): «جبري».

أَبَنْتَ الفضل أجمعَ يا أباهُ[1] بما أمْلَيْتَ مِنْ «شرح البخاري»
فتى كِزمانَ أقسم لو رآه لأضحى الشَّمسُ مهتوكَ الذَّراري

[قلت: قال شيخنا: إن أراد بالذراري: الذريَّة، فهي بالمعجمة، وإن أراد الدراية، فاتته نكتة التَّورية، إلا إن أراد إبهام التورية فيُتأمَّلُ][2].

[القباقبي]

ومنهم: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن حسن الأموي المغربي، عرف بالقبَاقبي.

فأنشدني من لفظه قوله:

لي مالك مهما استغثتُ به سَمَحْ وإذا توجَّه في مناجذة نَجَحْ
أُنبِئتُ عنه أنَّ فيه سيادةً فاعلم بقلبِكَ أنه نبأ رَجَحْ

يعني بقوله: (نبأ رجح): ابن حجر. وهذا سبقه إليه الشيخ شمس الدين السعودي فقيهي، فإنه قال مما لا يستحيل بالانعكاس (رجح نبأ)، [وهو أحسنُ مِنَ الأول، لكون ذاك لا يتم فيه الانعكاس][3].

[ابن خطيب داريّا]

ومنهم: العلامة شاعر الشام أبو المعالي محمد بن أحمد بن سُليمان[4] ابن خطيب داريا كما سيأتي في الألغاز[5]، ففي جوابه مدحُ المُلغَزِ له، وهو صاحب الترجمة، ووصفه بأنَّه إمام السُنَّة وغير ذلك.

---

(١) كذا في الأصول، ويعني به: «أبا الفضل»، وفي «المختصر» للسفيري: «يا إمام».
(٢) ما بين حاصرتين لم يرد في (ب).
(٣) ما بين حاصرتين لم يرد في (ب).
(٤) في (ب، ح): «سلمان»، تحريف.
(٥) ٢/ ٨٣٠.

[شمس الدين البساطي]

ومنهم: محقق العصر العلامة القاضي شمس الدين محمد بن أحمد بن عُثمان البساطي، الماضي فيمن أثنى عليه مِنْ هذا الباب[1].

مدحه لما وَلِيَ تدريسَ الحديث بالشَّيخونية. وكان البساطي قد ولي مِنْ قبله مشيخة المالكية، فهنأه بمرافقته، لكن ما وقفت الآن على الأبيات.

[شمس الدين الأسيوطي]

ومنهم: الشمس محمد بن أحمد بن علي بن عبد الخالق الأسيوطي المنهاجي.

فأنشدني مِنْ لفظه بمكة في سنة ست وخمسين قصيدة امتدح بها صاحبَ الترجمة، ثم لقيتُه بالقاهرة في سنة ثلاث وسبعين، فأنشدني منها قوله[2]:

يا كعبةً قبل الوقوف دخلتُها ... مِنْ بابِ شَيبةِ حمدِكَ المتأكِّدِ
وطفِقْتُ أدعو عندما أبصرتُها ... موضوعةً في ركن هذا المسجدِ
يا رَبِّ هذا البيت زِدْهُ مهابةً ... يا رَبِّ في تشريفه أبداً زِدِ
هذا طوافي للقدُوم لأنني ... قبلَ الوقوف دخلتُ مكة سيدي
وجعلت بيتَك عَنْ يساري ثم لَمْ ... أبدأ بغيرِك والوجوبُ مقيِّدي
وخرجتُ مِنْ باب الصَّفا أسعى إلى ... أنْ طابَ في المسعى إليك تردُّدي
ووقفت في عرفاتِ بابِكَ خاضعاً ... ومددتُ في طلب القَبُولِ لكُم يدي
وإذا النِّدا: بِت في منًى، نلتَ المُنى ... وازمِ الجمارَ على أعادي أحمدِ
هو آيةُ الله الذي انطحنَتْ به ... فِرَقُ الضَّلال وشُجَّ رأسُ المعتدِي

---

(١) ص/ ٣٠.

(٢) قال المصنف في ترجمة الأسيوطي من الضوء اللامع ٧/ ١٣: وامتدح شيخنا بقصيدة دالية، سمعتها منه في مكة والقاهرة، وكتبتها - أو جلّها - في «الجواهر».

هـذا شـهـابٌ ثـاقـبٌ واسْـتَـفْـتِـهـمْ ... يُـفـتُـوك أنَّ مـداهُ فـوقَ الـفَـرقـدِ
لا يـلـتـجـي أحـدٌ إلـيـه ويـرتـجـي ... جـدواهُ إلا قـال لـلـجـدوى: جُـدِ
أقـلامُـه مـخـضَّـرةٌ بِـيـضُ الـنَّـدى ... قـامـت لأرزاقِ الـورى لـم تَـقْـعُـدِ

في أبيات.

وامتدحه بغير ذلك مِنْ القصائد.

[شمس الدين الدجوي]

ومنهم: الشيخ شمس الدين محمد بن أحمد بن كمال الدجوي[1] الشاعر.

وله فيه عدة مدائح، منها ما أنشده بنفسه يوم ختم «فتح الباري» بالتاج، فقال:

بـحـمـد الله نـبـدأ مـادحـيـنَـا ... حـديثَ الـمـصـطـفى والـشَّـارحـيـنَـا
فـإنَّ الـمـصـطـفى ـ صـلُّـوا عـلـيـه ـ ... بـطـيـبِ حـديـثـه تـتـمـسـكـونَـا
وأعـلامُ الـنُّـبُـوَّةِ خـافـقـاتٌ ... بـهـا فـي الـخـافِـقَـيْـنِ يـحـدِّثـونَـا
وشـمـسُ عـلـومـه مـنـحـتـكَ نـوراً ... تـبِـعْـتَ بـهـا[2] سـبـيـلَ الـمـؤمـنـيـنَـا
بـه تـسـمُـو عـلـى دَرَجِ الـمـعـالـي ... سـيـادتُـك الـلـيـالـي والـسِّـنـيـنَـا
أدِرْهُ عـلـى الـمـسـامـع فـهـو يُـنـشـي ... قـلـوبَ الأولـيـا والـسَّـامـعـيـنَـا
وحـضـرَتُـهُ الـغـنـيـمـةُ فـاغـنـمـوهـا ... وعـنـهـا لا تـكـونـوا غـائـبـيـنَـا
بـه الـعـلـمـاء حـلُّـوا واسـتـدَلُّـوا ... عـلـى طُـرُقِ الـهُـدى مُـسـتـبـصـريـنَـا
بـمـعـتَـرَكِ[3] الـدُّروسِ لـنـصـرِ فـقـهٍ ... بـه فـرسـانُـه يـسـتـنـجِـدُونَـا

---

(١) قال المصنف في «الضوء اللامع» ٣٨/٧: ومدح الأكابر كشيخنا، وله في ختم «فتح الباري» قصيدة نونية، أثبتها في «الجواهر».

(٢) في (ب)، به.

(٣) في (أ، ط): «بمعركة».

على الخُصما سطوا بالرّدّ[1] منه ... على غيظ الخلاف مؤيّدينَا

يذُبُّون الليالي عَنْ حِمَاهُ ... وفيه على الليالي يسهرونَا

تجافَوْا عَنْ مضاجعهم وقاموا ... إليه بما دَرَوْه يخدمُونَا

فمِنْ أدبٍ إذا تُلِيَتْ عليهم ... أحاديثُ النُّبُوَّة يسمعونا

وهم قومٌ تراهم في عُلوٍّ ... على تحصيله يتنافسُونَا

وفي سربال فضلِهِمُ تسامَوا ... على الأيام فخراً يرفُلونَا

عَلَوْا شرفاً وقدراً واتِّضاعاً ... وأضحَوْا بالوَقارِ مُتوَّجِينَا

سماعاً يا لبيبُ فهم رجالٌ ... بخدمته الشَّريفة يشرُفُونَا

فهم في الحشر لا خوفٌ عليهم ... ولا هم في القيامة يحزَنُونَا

وهم بالشُّكرِ أولى والتَّهاني ... وهم لله أولى يحمدونَا

فخُذ في حفظه واصْرِفْ عليه ... زمانَك يا رفيقَ المفلحينَا

فتقوى حُجةً وتجِلُّ قَدراً ... وتعظُمُ في عُيونِ النَّاظرينَا

ويكفي مسلماً علمُ البخاري ... يَردُّ به اعتقادَ[2] الكافرينَا

إذا ما جئتَه تلقاه بحراً ... جواهرُه تفوقُ الحاضرينَا

وفيه مِنَ العوالم فاتحاتٌ ... على طلاَّبه نوراً مُبينَا

فكم فرضٍ علمتَ به ونَفْلٍ ... وكم حُكْمٍ أعزَّ الحاكمينَا

وذِرْوَةُ فقهه يَرقَونَ فيها ... على حسبِ الأدلَّةِ ينظُرونَا

مصابيحُ الهدى أثْنَتْ عليه ... فأصبحَ وهو كهفُ المهتدينَا

فحصِّل ما قَدَرْتَ عليه منه ... يكونُ ذخيرةً دُنيا ودينَا

وكيف لا وخادمُه إمامٌ ... شهابُ الدِّين قاضي المسلمينَا

---

(١) في (أ): «بالدر».

(٢) في (أ): «أعناق».

بفتح البارىء اتَّضحت وبانت ... مناهِلُ علمه للواردينَا
صحيحٌ سدَّ بابَ الطَّعنِ فيه ... وفتَّح مِنْ مسائله العُيُونَا
جَلَى صورَ المسائل فاستبانتْ ... عرائسُها بلفظِهِ[1] يُمهرونَا
فمن قولٍ يقولُ به فلانٌ ... تراه عنده للقالينا
وفيه الواضحاتُ وغامضاتٌ ... فلا تَبْعُد به يتفقَّهونَا
وأحكامٌ بسعدِكَ قد أضاءت ... شوارعُها طريقَ السَّالكينَا
سعدتُ بناظريه الدهرَ[2] منه ... فإنَّ به كنوزَ الطَّالبينَا
معانيه يحرِّرُها احترازاً ... بميزانِ البيانِ لِتَسْتَبِينَا
فأصبح روضُه تُسْبيك علماً ... وآثاراً رياضَ الصالحينَا
وتصبحُ إن عرفتَ السِّر منه ... ـ كما قد قيل ـ تاجَ العارفينَا
وحسبُك عالمٌ قطبُ الأمالي ... وحسبُك قدوةٌ للمقتدينَا
تسائلُه الصَّحيحَ وعنه يُنْبي ... فتلقى عنده الخبرَ اليقينَا
فكم[3] داعٍ أتى[4] وله سؤالٌ ... أجاب سؤاله في السائلينَا
وعند لُقيِّه تلقى مليئاً ... يُفيدُ المبتدي والمنتهينَا
يُفَهِّمُكَ الذي قد تهتَ فيه[5] ... ببرهانِ الذين يُرَجِّعونَا
وكم قُطرٍ بعيدٍ منه جاؤوا ... إلى أسماعه متوجِّهينَا
وكم شيئاً يكونُ عليك صعباً ... فيجعلُه يكونُ عليكَ لِينَا
إذا السَّنَدُ اكتسى ثوبَ اضطرابٍ ... أتَوْا عَنْ حالِه يتَنَسَّمونَا

---

(١) في (ب): «لفاه»، وفي (ط): «بألفاظ».
(٢) في (ط): «مناظراً للدهر».
(٣) في (أ): «فدَع».
(٤) «أتى» ساقطة من (أ).
(٥) في (ب): «عنه».

وكم مِنْ سُنَّةٍ أنباكَ عنها ... بإسنادٍ علا في المسنِدينَا
وكم[1] أرماز وَخْيٍ حيث يُومي ... بها أحلامُهم يتنبَّهونَا
ومن يدري الحديثَ ومسنديه ... ويُمليه الكِرَامَ الكاتِبينَا
سماءُ سماعه سطحُ الثُّريَّا ... إليه بوصله يتوصَّلُونَا
وكم صادَ الشَّريدَ مِنَ المعاني ... وذَلَّلَهُ على مَنْ يألفونَا
وكم مَجْدٍ علا فيه مناراً ... له بالفاضلات يُؤَذِّنونَا
وحسبُك والمحابرُ حين تُملاَ ... ترى أقلامها في الساجدينَا
ومهَّد في الحديث مصنَّفاتٍ ... شريفاتٍ فنِعْمَ الماهِدونَا[2]
علا سَنَداً ترى الأشياخَ فيه ... إلى علمائِه يترجَّلُونَا
وما في العسقلاني مِنْ كلام ... كفاهُ الله شرَّ الحاسدينَا
سوى حفظٍ سرى شرقاً وغرباً ... وأعلى ذِكرَه في الحافظينَا
ومجلسُه المهابَةُ فيه تزهُو ... بأخبارِ الثِّقاةِ المُصلِحينَا
على ما لا سؤال لهم عليه ... يُنَبِّئُهم وعمَّا يسألونَا
وكم علاَّمةٍ يَقرا عليه ... وأستاذٍ ومثلِ البارعينَا
له في محضر الفُصَحا فنونٌ ... بتمليكِ البلاغةِ يشهدُونَا
بدوحةِ مدحه ثمراتُ نظمٍ ... به أحبابُه يتفكَّهونَا
نشدتُ له القوافي بادَرَتْني ... بوافرها وفيما يُنشدونَا
تُرى كالشَّافعي يكونُ علماً ... وأحمدَ في الرِّواية أنْ يكونَا
وتقصيرُ امتداحي فيه يرجو ... يُزاحِمُ في غمارِ المادحينَا
ونختُم بالصَّلاةِ على نبيٍّ ... ختامِ الأنبيا والمرسلينَا

---

(١) في (ب): «ومن أرماز».

(٢) في (ط): «الماهدينا».

وعِترتِه الكرامِ وصاحِبَيْه وأرضاهم وأرضى التَّابعينَا
إلى يومٍ يقومُ النَّاسُ فيه على ساقٍ لربِّ العالمينَا

وأنشد الدجوي بعدَ ذلك أيضاً حين فرّق صاحبُ الترجمة على كُتَّاب «الشرح» صُرَر فضَّة، ومجامع حَلْوى، ما نصُّه:

بفتح الباريء انشرح البخاري وأحمدُ ختمه بالفضلِ جامعْ
أدار دراهماً صُرراً فأنشا وحَلْوى فيه تأخُذُ بالمجامعْ

ومن قصائده التي امتدح بها صاحب الترجمة: قصيدة سمعناها مِنْ لفظه عَقِبَ مجلس الإملاء، ختمها بقوله على سبيل المماجنة مع الشهاب الكوم الرِّيشي، وكان بجانب المُمْلي:

وذاك الكومُ يرقص في الخيال

وأشار بيده إليه، فكانت مضحكة.

[المراغي]

ومنهم: الإمام أبو اليمن محمد بن أبي بكر بن الحسين المراغي.

قرأتُ بخطِّه يمدحُ صاحبَ الترجمةِ لمَّا وَلِيَ مشيخة البَيْبَرسية:

تهنَّ بالتشريف نِلْتَ المُنَا مقَارِنَ العزِّ المديد الطويلْ
وليهنك الإقبالُ يا مَنْ غدا في الجُودِ فرداً ما لَهُ مِنْ مَثِيلْ
يا حافظَ الوقتِ ويا مَنْ سما بالعلم والحلمِ وفعلِ الجميلْ
ومَنْ هو الكهفُ بمجدٍ نَمَا على بني العصر بظلٍّ ظليلْ
ومن هو الغيثُ إذا ما هَمى يراعُه بالجود يشفي العَليلْ
ومن هو الحَبْرُ وبحرُ النَّدى ففيضُه الوافرُ يروي الغليلْ
شهابُ دين الله يا مَنْ لَهُ كَسْبُ العلا دأبٌ وبَذْلُ الجليلْ
أيا أبا الفضلِ ويا ذا الوفا يا مَنْ له في النَّاسِ صيتٌ جميلْ

يـا طـيِّـبَ الأعـراق يـا مـاجـداً ... ذكـراهُ قـد طـابـت لَـدَى كـلِّ جـيـلْ
يـا شـيـخَ أشـيـاخِ الـتُّـقـى والـنُّـهـى ... يـا نـاظـرَ الـعـيـن وعـيـنَ الـخـلـيـلْ
يـا حـاكـمـاً فـاز بـحُـسْـنِ الـثَّـنـا ... فـي عـصـره والـمـدح فـي كـلِّ قِـيـلْ
وافـيـتُ هـذا الـبـابَ أشـكـرُ سـوى ... والـبـيـنَ والـدَّيْـنَ فـنـومـي قـلـيـلْ
وقـد نـزلـتُ الـيـومَ فـي سـاحـةٍ ... مـعـروفـةٍ حـقـاً بـرعـي الـنـزيـلْ
فَـأشْـكِـنـي الـيـومَ وكُـنْ نـاصـري ... واغْـنَـم دعـائـي فـي الـضُّـحـى والأصـيـلْ
ومُـنَّ إحـسـانـاً فـأنـت الـذي ... تُـولـي الـنـدى فـضـلاً وتُـؤتـي الـجـزيـلْ
لا زِلْـتَ تُـرْجَـى فـي الـورى سـامِـيـاً ... عـلـى ذُرَى الـمـجـدِ الـرَّفـيـع الأثـيـلْ
والله يُـبـقـيـك لـنـا سـالـمـاً ... وحـسـبُـنـا الله ونـعـم الـوكـيـلْ

[البدر المارديني]

ومنهم: العلامة الفريد البدر محمد بن أبي بكر بن محمد بن سلامة المارديني، نزيل حلب.

مدحه بقصيدة رائيَّة أجابه شيخُنا صاحبُ الترجمة عنها، فلذلك أخَّرتُها للمطارحات مِنَ الباب السادس[1].

[بدر الدين الدماميني]

ومنهم: العلامة البدر محمد بن أبي بكر الدَّماميني.

كما سيأتي في المطارحات والألغاز مِنَ الباب السادس أيضاً[2].

وكذا النجم محمد بن أبي بكر المرجاني[3].

---

(١) ٢/ ٧٩٦ ـ ٧٩٨.

(٢) ٢/ ٧٩٣ و٨٣٩.

(٣) انظر ٢/ ٨٣٨ فيما يأتي.

[الشريف الأسيوطي]

والشريف الصلاح محمد بن أبي بكر بن علي بن حسن الأسيوطي[1]، على ما سيأتي مدحهما في الألغاز أيضاً.

وللشريف في الأسئلة أيضاً.

وله:

قُل لقاضي قُضاتِنا ... حُزْتَ في العلم ما كَفَاكْ
وبنظمٍ فَفُقْتَ من ... فاهَ بالشِّعْرِ واقتفاكْ

وقد اقتفى الشريفُ أثرَ الهيثمي، فعمل لمَّا تزوَّجَ المحبُّ ابنُ الأشقر بابنة صاحب الترجمة رابعة، بعد وفاة زوجها ابن مكنون، الصَّداق أرجوزة أحببتُ إثباتها أيضاً هنا.

أنبأني الشَّريفُ الفاضل صلاح الدين محمد بن أبي بكر الأسيوطي، فيما شافهني به مراراً، قال:

الحمدُ لله الذي أباحَا ... عقدَ النِّكاح ومنعَ السِّفاحَا
وأحكمَ الأمورَ بالنُّقودِ ... وزيَّن الأجيادَ بالعقودِ
وجل ربُّنَا إلهُنا الأحدْ ... عَنِ الشَّريكِ والقرينِ والولدْ
ثمَّ صلاةٌ وسلامٌ دائما ... على الذي للرُّسل جاء خاتَما
محمَّدٍ خير بني عدنانِ ... نبيِّنا المبعوثِ بالإيمانِ
وآله وصحبِه والأزواجْ ... ما لاح نجمٌ في السَّما وهاجْ
وبعد، فالنِّكاحُ مِنْ أشهى السُّننْ ... وحبَّذا شرعٌ على هذا السَّننْ
ففعلُهُ للأنبيَا عبادهْ ... وهو لنا في الشَّرع خيرُ عادهْ
وكلُّ مَنْ في الذِّكر قد تحلَّى ... منهم بعقده وما تَجلَّى

---

(١) انظر ٢/ ٨٣٣.

وحين كان هكذا يقررُ[1] انتظم الأمرُ بما يُحرّرُ
مِنْ رغبةِ الأنجبِ فيما أمَّهْ النخبة الرئيس عالي الهِمَّهْ
رَبيب مهدِ السَّعدِ والسَّعادهْ والأصلِ والحشمةِ والسِّيادهْ
صدرُ الصُّدورِ الكاملين الرؤسَا وعينُ أعيانِ الكرامِ الجُلسَا
القدوةُ المحقِّقُ الإمامُ العالمُ العامِلُ والهمامُ
شيخُ شيوخِ السَّادة الصُّوفيهْ السَّالكين الطُّرَقَ المرضيَّهْ
بخانقاه النَّاصرِ السُّلطان هي[2] بسَرْياقُوسَ ذي الأمانِ
نائب حكم الحنفيّ المذهبِ الصَّادق اللهجة ثمَّ اللَّقبِ
وهو محبُّ الدين ذي العقل السَّديدْ فكم له مِنْ قاصِدٍ ومن مريدْ
يسعَى إليه الأُمرا والكُبَرا للأغنياء ملجأ والفقرا
باطنُه بالخير ذاك مذكوزْ وحبُّه النزيل غير منكوزْ
مقدمةُ الخيار[3] والعبَّادِ وصاحبُ العُكَّاز والسَّجادِ
شيخُ شيوخ العُجم والأعاربِ محمَّدُ المحمود في المآربِ
نِعْمَ الفتى لباسُه الفُتُوّهْ وطبعُه النَّخوَةُ والمُرُوَّهْ
بِحَظوَةٍ عندَ الملوك وافرهْ وطلعةٍ مُشرِقَةٍ وزاهرهْ
ابنُ الإمام الشَّيخ نجلِ الصُّلحَا العارف الزَّكيُّ فيما رَجَحَا
لدى السلاطين مهابٌ محترمْ معظَّمٌ متَّصِفٌ بذي الهِمَمْ
شرَّف دينَ الله عثمَّانُ اسمُه معروفة عادتُه ورسمُه
السَّابقُ الجوادُ ما فيه مِرَا لأجل هذا لقَّبُوه الأشْقَرَا

---

(١) في (ط): «تقرر».

(٢) في (ط): «وهي».

(٣) في (ب، ط): «الأخيار»، وكتب المصنف في هامش (ح): خ الأخيار.

أحبَّه الله وبالسَّعْدِ حباهْ ... ومِنْ كلا الخيرين أعطاه مُنَاهْ

فإنَّه رُكِّن مِنْ بعد اختيار ... منه وعرفانٍ ونقدٍ واختبارْ

إلى كرام الأصل والأحسابِ ... بيتِ العفافِ الطَّاهرِ الأنسابِ

بيت فخارٍ وعُلاً وعلمِ ... وسُؤددٍ وقوَّة وحلمِ

وقصد الوصلة[1] بعدَ الذَّاهبه ... منتهزاً وراغباً وذا هِبَهْ

بالجِهَة الجوهرة المكنونهْ ... ذاتِ الحجاب الأرفع المصونهْ

باقية فاعجب لها قرينهْ ... إثر اخْتِها سعيدةٌ ميمونهْ

تالية لبعلها وثانيهْ ... عَنْ غيرها يا حُسْنَها مِنْ غانيهْ

غريبةُ الأوصاف ستٌّ بارعهْ ... صالحةٌ وهي تُسَمَّى رابعهْ

الأيِّمُ المرضِيَّةُ الحَصِينه ... الدُّرَّةُ النَّفيسةُ الثَّمينهْ

بنتُ الإمامِ العالمِ العلاَّمهْ ... العاملِ الحبرِ الدَّرِي الفَهَّامَهْ

عمدةِ أهل الحفظ والدِّرايهْ ... أعلاهم في النَّقلِ والرِّوايهْ

إمامِ وقته بليغِ الخُطَبا ... نسيجِ وحده أديب الأدبَا

فديتُه ما قُس في الفصاحهْ ... والنَّوَوِيْ في العلم والرَّجاجهْ

علامةٌ للعلما الأعلامِ ... المتقن الأوحد شيخ الإسلامِ

قاضي القُضاة الشافعي المجتهدْ ... أستاذ كلِّ جهبذٍ ومنتقدْ

شهاب دينِ الله جاز الشُّهُبا ... وحاز في السَّبْقِ علاءً رُتَبا

من غيرُه نشكرُه ونحمَدُ ... ولو ولو فهو حقيقاً أحمدُ

ربُّ النُّهى والفضلِ والفضائلِ ... بُغْيَةُ كلِّ طالبٍ وسائلِ

نجل المحدِّث الإمام المتقنِ ... شيخ الأنام العالم[2] المفنِّنِ

---

(١) في (ب): «الواصلة».

(٢) في (ط): «العامل».

العالمِ الصّالح نُورِ الدّينِ ... عليِّ المكْنِي أبا الحُسينِ
العسقلانيّ الذي قد اشتهرْ ... بما يُميّزه فَسِمْ بابنِ حجرْ
ذا حجرٌ مُكَرَّمٌ مُستلَمُ ... وحول ركنه تطوف الأممُ
ذا حجرٌ ياقوتُه عزيزُ ... قد حصَلَتْ منه لنا كنوزُ
ذا حجرٌ تفجَّرت منه بحارْ ... ذا حجرٌ في سرّه العقلُ يَحارْ
فإنَّه ـ كما علمت ـ أحمدُ ... ومالكٌ بالفضل ليس يُجحَدُ
وعسقلانيٌّ غدا كالشافعي ... رواية النعمان خير تابعي
فاذْعُ معي يا سامعاً لنَغْتِه ... بأن يُطيلَ الله في مُدَّتِه
بنعمةٍ سابغَةٍ عَلَيْهِ ... وأخْسِئَنْ يا ربَّنا إليهِ
والطُف به ألطافك الخَفِيّهْ ... وامنحه مِنْ هباتِك الحفيَّهْ
فحمَدُوا للخاطب الخِطابَا ... وجعلوا قَبُولَه جوابَا
وطائر اليُمن السَّعيد الميمونِ ... قام خطيباً قائماً[1] بالموزونِ
هذا صداقُ عصمةٍ شرعيهْ ... محمودةٍ واضحةٍ جليهْ
مسعودةٍ كريمةٍ سعيدهْ ... ببدرِها المشرِقِ والفريدهْ
أصدَقه الشيخُ محبُّ الدّينِ ... ذو العقل والفطنة والتَّمكينِ
وهو الذي بنَغْتِه تقدمْ ... في صدر هذا الرَّجَزِ المُنَظّمْ
أعني الفتى «ابنَ الأشقرِ» المسمَّى ... أعزَّه الله به وأسمَى
منه لمخطوبته المترجمهْ ... «رابعة» المذكورة المُنْتَظِمهْ
أصدقها مِنَ الدَّنانير الذهبْ ... هِرْجةً بصكةٍ قَدِ انْضَرَبْ
مِنْ النُّقودِ بديار مصرِ ... ما حُكْمُها بين الأنام يجري
مِنْ ضرب سلطان الزَّمانِ الأشرفِ ... بالعدّ مائتين شُخُوصاً فاعرفِ

---

(١) في (ب، ط): «قائلاً».

الحالُ منها ربعُها خمسونَا ... اعترفت بقبضِه لدينَا
وما بقي مؤجلٌ وهو مائهْ ... ونِصْفُها فكلُّها منجَّمهْ
إلى ثلاثين مِنَ الأعوامِ ... مع سبعة ونصفٍ حول تامِ
في كلِّ عامٍ أربعٌ معدودهْ ... كما أتت أوصافُها مسرودهْ
بقِسْطِها مِنْ يومِ هذا العقدِ ... حسْبَ تراضيهم بلا تعدِّ
زوَّجها منه بذا بإذنها ... مع الرضا وَلِيُّهَا والدُهَا
سيدُنا قاضي القُضاة الحبْرُ ... ومَنْ له في ذا النِّظام ذكرُ
العسقلانيُّ شهابُ الدِّينِ ... فهو أبو الفضل على اليقينِ
يا ربَّنا أدِمْ لنا أيامَهْ ... واسبِغْ علينا دائماً إنعامَهُ
وقَبِلَ التَّزويجَ بالوكالهْ ... أقضى القضاة صاحبُ الأصالَهْ
في العلما أوحدَهم والفُضَلا ... والأذكيا والفُطَنَا والنُّبَلا
المولويُّ محمّد السفطيُّ ... أسعده إلهُنا المِليُّ
وثبتَ التوكيلُ بالقبولِ ... عن صدور العقد بالمقولِ[1]
وبان أمرُ الزَّوجة المذكورهْ ... واتَّضحت أحوالُها المشهورهْ
بعد وفاة بعلِها أقضى القُضاهْ ... بأمرِ ربِّنا القديرِ وقضاهْ
فبعلُها هو الإمام الفاضلُ ... العالم المفتيُّ وهو العاملُ
بثغرِ دمياط شهاباً كانَا ... خليفة الحكم بها وبانَا
كان يكنَّى بأبي العباسِ ... وهو ابن مكنون بلا إلباسِ
عبد مناف على رسم النَّسبْ ... بُوِّأ في جِنَانِه أعلى الرُّتبْ
ثم انقضاءُ عدةِ الوفاةِ ... محسوبةٌ عدّاً بلا فَواتِ
تزوُّجاً معتبراً شرعيًّا ... مستوفياً شروطه مرضيًّا

(١) هذا البيت لم يرد في (ب)، وورد في (أ) قبل البيت السابق.

في ثامن ذي الحجة[1] الحرامِ ... عام ثلاثين مِنَ الأعوامِ
تلي ثمانمائةٍ سِنينَا ... ماضية معدودة يقينَا
مِنْ هجرة نبوية معلومهْ ... فاعرف فهذا آخر المنظومهْ
والحمد لله على هذا النظامْ ... فذكره الشَّريفُ كالمسك ختامْ

وعمل غيره قبل ذلك صداق «فرحة» البِكر حين تزوَّجها المحبُّ المذكور قبلَ أختها، وافتتحه بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ [المائدة: ١].

بنو حجر أكرمُكم مقاماً ... لكم بيتٌ يُحجُّ له وسبحه
أتاكم خاطبٌ فرحاً مُحِبّاً ... فجاء بفرحةٍ وغدا بفرحه

الحمد لله على التَّحصينِ ... وجعلَنا في حِصْنه الحصينِ
فوقَ ذرى عقودِه المشرَّفه ... ولَمْ تزل جليلةً مشرِّفَهْ
أشهد أن الله واحدٌ صمدْ ... وأنه سبحانه[2] قد انفردْ
ليس له مِنْ زوجةٍ ولا ولدْ ... ولم يكن لربِّنا كفواً أحدْ
أشهدُ بالبعث وبالرِّسالهْ ... لأحمد الهادي مِنَ الضَّلالهْ
صلَّى عليه باريءُ العبادِ ... ما فرِحَ الآباءُ بالأولادِ
هذا صداقُ عصمةٍ سعيدهْ ... ونسبةٍ قصورُها مَشيدهْ
يحفظ في الغَيْبَةِ والحُضُورِ ... وافرة النَّصيبِ في الأجورِ
شيخيَّة علميَّة أصْلِيَّهْ ... فرعيَّة يانعة زكيَّهْ
أورق منها غصنُها وأثمرا ... ولاح فيها بدرُها فأقمرَا
بنت العُلا والعلمِ أهلِ الصُّفَّهْ ... وكم لهم مِنْ مجلسٍ بعِفَّهْ
وبعدُ، فالنِّكاح سنَّة النَّبي ... الأبطحيِّ الهاشميِّ العربي

---

(١) في (ب): «من ذي الحجة»، خطأ.

(٢) في (ب): «ولم يزل سبحانه».

قد قال في حديثه: «تَنَاكَحُوا تناسُلوا»، والسرُّ فيه واضحُ
وكان أولى باستماعِ الخبرِ أهلُ الحديثِ لاقتفاء الأثرِ
العالمونَ العاملونَ الصَّفوةُ الساكنون الناسكون القُدوةُ
الخاشعون العابدُون الصُّوَّمُ الراكعون الساجدون القوَّمُ
اللابسون خرقَةَ التَّصَوُّفِ ومَنْ مَشَوْا على طريق السَّلفِ
فهم أُولو الرأي على الحقيقهْ ومرشدو الطُلاّب[1] للطريقهْ
وقد أراد الله جمعَ الشَّملِ بين أُولي العلمِ وأهلِ الفضلِ
فنظر الشيخُ الإمامُ العالمُ العاملُ الكفءُ المثيلُ الحاكمُ
خليفة الحكم العزيز الحنفي فَفُهْ بطيبِ نشرِهِ وعرِّفِ
شيخ شيوخ خانقاةِ الناصرِ وهو لسِرياقوس خيرُ ناصرِ
شيخ شيوخ عُرْبِها والعجمِ ومَنْ غدا مرتفعاً كالعَلَمِ
وهو محبُّ الدِّين والعبادَهْ وصاحبُ العُكَّاز والسَّجادَهْ
رأسُ المعالي ولسانُ الجُلَسَا وعينُ أعيانِ الزَّمان الرُّؤسَا
شيخُ الطَّريقِ رأيهُ سديدُ وكم وكم فينا له مزيدُ
هو اسمه محمَّدٌ[2] وفعلُهُ محمَّدٌ ومثل ذاك أصلُهُ
عُلُوُّهُ بين الورى لا يختفي عَنْ أحدٍ لأنَّه ابنُ الشَّرفِ
والده الشيخُ العظيمُ الشَّانِ وصدرُ أقصى مجلسِ السُّلطان
أي شرف الدين اسمه عثمانُ وهو أبو عمرو له استنانُ[3]
بالسبق في الجود[4] ولا يستنكرُ من سبقِه فهو الجوادُ الأشْقَرُ

---

(١) في (أ): «الطالب».
(٢) في (أ): «حمد»، تحريف.
(٣) في (ب، ط): «وله أسنان».
(٤) في (ب): «يسبق الجود»، وفي (ط): «يستبق الجود».

أسعده الله وحيًّا سلفَهْ ... برحمة منه وأبقى خَلَفَهْ
على مدى الدهر[1] وأحيا ذكرهْ ... وأنه استعمل بنتَ الفِكْرَهْ
ودقَّق الفِكْرَ وحقَّقَ النَّظرْ ... فلم يَجِدْ مثلَ الرَّئيس ابنِ حَجَرْ
سيِّدِنا الشيخِ الإمام العالِمِ ... ذي الفضلِ والإحسان والمكارِمِ
الحافظِ المحدِّث الأصولي ... الطيِّبِ الفُروعِ والأصولِ
القدوةِ المسلَّكِ الرَّبَّاني ... المطلَقِ اللِّسانِ والعنانِ
فهو شهابُ الدين ربُّ المنقبَهْ ... رامي[2] شياطين الرُّواة الكَذَبَهْ
وهو أبو العباس وهو أحمدُ ... وهو لنا مُسْتَنَدٌ[3] ومُسْنِدُ
العسقلانيُّ عظيم[4] الشانِ ... وبيتُه يدعى بعسقلانِ
له في الفضل ركنٌ وحجرْ ... حَجَّ إليه الطَّالِبُون للخبرْ
ذا حجرٌ مكرمٌ بالعِظمِ ... لكيمياء العلمِ مثل العلمِ[5]
خليفةُ الحكمِ العزيزِ الشافعي ... حديثُه كرّرَ لكلِّ سامعِ
حديثُه سارت به الرُّكبانُ ... وسعدُه ساعدَهُ الزَّمانُ
وأنه المفتي بدارِ العدلِ ... شيخُ الشُّيوخِ العارفين الكُلِّ
شيخ شيوخ خانقاة المَلِكِ[6] ... بيبرسَ رُكن الدين ذي التَّنَسُّكِ[7]
ابن الإمام الشيخ نور الدينِ ... ذاك الذي بنوره يهديني
كنيتُه بين الكُنى أبو الحسنْ ... ونعتُه مثل أبيه نعتٌ حسنْ

---

(١) في (أ): «الذكر».
(٢) في (أ): «راوي»، تحريف.
(٣) في (ب): «سيد».
(٤) في (ب، ط): «العظيم».
(٥) في (ط): «القلم».
(٦) في (ب): «المليك».
(٧) في (ب): «التنسيك».

وهو عليٌّ وعليٌّ كاسمِهِ ... لكن له كنانةٌ بسهمِهِ

وهي له وقايةٌ مِنَ العَرضْ ... سلَّمهُ الله وآتاه الغَرضْ

فجاءه الزَّوجُ الكريمُ خاطبا ... وطالباً لقُربِه وراغبا

في ابنته السَّيدة المصونهْ ... والدُّرَّةِ الفريدة المكنونهْ

يا سعده قد ظفرت يمينُه ... يا حبذاك دينُها وديْنُهْ

جوهرةٌ خَوْدٌ عروسٌ كاعبُ ... وكم لها مِنْ حُسنِها مناقبُ

وإنها قد عظُمَتْ وجلَّتْ ... تُخجِلُ الشَّمسَ إن تجلَّتْ

وإنها تحفةُ أهلِ الأدبِ ... وإنَّها دارُ حديثٍ طيِّبِ

وجاءها على السَّماعِ المطربِ ... نقط فيه «فرحةً» بالذَّهبِ

فيالها مِنْ زوجةٍ وفرحه ... تُفرِحُ قلب الزوج وهي «فَرْحه»

المعصرُ البكرُ وصان الله ... حجابَها وارتفعت ذُراهُ

وبذلَ الزَّوجُ لها صَدَاقاً ... على رضا والدها اتفاقَا

أصدقَها بذمَّةٍ وفيَّهْ ... وقدرةٍ أموالها مليَّهْ

وقد حباها ذهباً مختوما ... هِزجة عينا له[1] معلومَا

جملته بالصَّجْنَةِ[2] المصريّهْ ... وقدره في الوزن والكميّه

مائةُ مثقالٍ وأربعونَا ... النِّصفُ مِنْ جُملته سبعونَا

فمنه خمسون على الحُلولِ ... والقبض أربعون بالتَّعجيلِ

لكن مِنَ الخمسين تبقى عَشْرهْ ... وهي[3] على حلولها مُقَدَّرَهْ

وذلك القبضُ تولاَّه الأبُ ... بحجره فهو الوليُّ الأقربُ

---

(١) في (ب، ط): «هذا».

(٢) في (أ): «بالصَّبحة».

(٣) «وهي» ساقطة من (ب، ط).

منجمٌ تسعون مثقالاً ذَهبْ ... يدفعُها المُصْدِق كلَّما وجبْ
ثلاثةٌ في سلخ كلِّ عامِ ... مِنْ يومنا هذا إلى الإتمامِ
هُما هُما تناسَبا تصاهرَا ... حازا مِنَ العليا نصيباً وافرا
تخَاطبا إذ ذاك بالإجابة ... ورأيَا رأياً له إصابهْ
أكرِمْ به عقداً جرى[1] توافيا ... سعى إليه السعد بشراً حافياً
فأذِن الوالدُ باختيارِ ... في العقد بالصَّداقِ باختيارِ[2]
ورُفِعَ الأمرُ إلى سيدنا ... وشيخنا شيخِ الأنام معلنَا
أعظِمْ به سيِّدنا مولانا ... وكم له مِنْ مِنَنٍ أولانَا
وإنه عالمُ أهلِ العصرِ ... وحيدُه وهو فريدُ الدَّهرِ
علامةُ الوقتِ خطيبِ الخطبا ... رئيس أهل[3] الفضل قُسُّ الأدبَا
بليغُ غايات النُّهى والأدبِ ... فصيحُ إعجام لسانِ العربِ
وحجَّةُ الفتوى وكنزُ الطلبِ ... والغاية القصوى لأهل الطلبِ
أعني جلالَ الدينِ أبقى اللّهُ ... أيامه وزاد في عُلاهُ
وهو أبو الفضل سَما إفضالاً ... وزاده ربُّ السَّما جلالا
وشيخ الاسلام مليكُ العُلَمَا ... قاضي قُضاة المسلمين العُظَمَا
وهو الكنانيُّ النَّسيبُ الشافعي ... ومعدنُ العلمِ الشَّريفِ النافِع
وسيدٌ ومالكٌ وأحمدُ ... حتى إلى النُّعمان أضحى يُسنِدُ
وهو الذي يُفدَى بكلِّ عينِ ... وهو الإمامُ الأعظمُ البُلقيني
أفديه مِنْ محقِّقٍ[4] مدقِقِ ... مجتهدِ حبرٍ ومفتي الفِرَقِ

---

(١) في (ب): «حوى».
(٢) في (ب): «بلا اختيار».
(٣) في (ب): «رئيس الفضل».
(٤) «محقق» ساقطة من (أ).

أعانه الله على مرضاتِه ... وبارَكَ الرَّحمنُ في حياتِه
وعاشَ في أخلافه مُعينا ... كما غدا جِزْزاً لنا أمينَا
ووكَّل الخاطبُ بدراً عظُمَا ... أخاه في قَبُولِ عقدٍ نُظِما
مخدومُنا السيدُ بدرُ الدِّينِ ... حُسَيْنُنا المحسنُ باليقينِ
وكَّلَه يقبلُ عَقْدها عَلَى ... صَدَاقِها هذا كما قد فُصِّلا
فأوجبَ العقدَ على المُسَمَّى ... قاضي قُضاة الشَّرعِ زاد عِلمَا
بعد ثبوت الإذنِ والتَّوكيلِ ... لديه والخطابِ للوكيلِ
ووضح الأمرُ بغير[1] دافعِ ... وأنَّها خلت مِنَ الموانِعِ
موانع عَنْ عقدها مرتفعهْ ... وكنَّه شروطها مجتمعهْ
وقَبِلَ العقدَ الوكيلُ فيهِ ... على الصَّدَاقِ وهو عَنْ أخيهِ
في الجمعة الغراء وحصنها عندهْ ... شهادة في الثاني مِنْ ذي القعدهْ
مِنْ سَنَةٍ وهي ثمان عشره ... مقرونةٍ باليُمْنِ والمسرَّهْ
بعد ثمانمائة سِنينَا ... سالفةٍ وقد خَلَتْ مُبينَا
مِنْ هجرةِ المختار صلَّى اللّهُ ... عليه فالله قد اصطفاهُ
وأنه نهى عَنِ السِّفاحِ ... وحثَّ في الدِّين على النِّكاح
ورغَّب الأمَّةَ في التَّزويجِ ... لأنه أحفظ للفروجِ
والحمدِ لله على التَّأليفِ ... بينهما والنَّظمِ والتأليفِ
أصدقنا في حُبِّه تعطُّفا ... وحسبُنا الله تعالى وكفى
به وبالإذن وبالتَّوكيلِ ... وقبضه المشروح في التَّفصيل[2]

---

(١) في (أ): «بكفر».

(٢) ورد هذا البيت والذي يليه في (أ). بعد قوله: «له في الفضل ركن وحجر...» ص ٥٠٧.

فكل ذا بشرطِهِ المعتبرِ قد كتبه محمد الإسكندري

ورسم جامعه شهادته، فقال:

حضرتُ ذا العقدِ السعيدِ حامدا مصلّياً مسلّماً وشاهِدَا

[شمس الدين القادري]

ومنهم:[1] الشمس أبو الفضل محمد بن أبي بكر بن عمر القادري.

فقال[2]:

رمته غداةَ البين الركب منجدُ بسهمِ لحاظٍ ما له مِنْهُ مُنجدُ

مهاة إذا استنَّت بعُودِ أراكةٍ على متنِ سِمْطَيْ لؤلؤٍ تتردَّدُ

تُريكَ ثُنيَّاتِ العَقيقِ ببارقٍ حلالي النَّقا منه العذِيبُ المبرَّدُ

خفيفةُ أعطافٍ نَشَاوى مِنَ الصّبا ثقيلةُ أردافٍ تُقيمُ وتقعُدُ

مِنَ النَّافثات السِّحر في عُقَدِ النُّهى بنجلاء عنها السِّحر هاروتُ يُسْنِدُ

وأعجب مِنْ جسمٍ حكى الماء رقَّةً يُقل بلطفٍ قلبها وهو جَلْمَدُ

مُحَيّا كبدرِ التَّمِّ في جُنْحِ طُرَّةٍ يظلُّ به غصنُ النَّقا يتأوَّدُ

وجنات وجناتٍ بماء نعيمها على النُّورِ نارٌ أصبحت تتوقَّدُ

ومنها:

تلاحظُ مِنْ طرفٍ خفيٍّ متيَّماً لَدَى الحيِّ مَيْتاً في الهوى ليس يُلحدُ

إذا ما أظلَّته بليل غدائرٍ[3] هداهُ الشِّهابُ الألمعيُّ المسوَّدُ

---

(١) من هنا، إلى قوله: ومنهم الحافظ شمس الدين أبو عبد الله، ص ٥١٣، لم يرد في (ب) وقد أضافها المصنف بخطه في حواشي (ح).

(٢) أشار المصنف إلى هذه القصيدة في الضوء اللامع ٧/ ١٨٨ بقوله في ترجمة ناظمها: امتدح شيخنا بقصيدة أثبتُّ غالبها في «الجواهر».

(٣) في (أ، ب): «غدائر شعرها».

أبو الفضل عمّ البذل مَنْ بِنَوالِه ... أخو الفقر خالي الفكر عما نُسهِّدُ
ومَنْ سَنَّ للعافي بجامعِ فضلِه ... لعمرُك وهو النَّاسك المتهَجِّدُ
صلاةُ صِلاَتٍ فالأنامل رُكَّعٌ ... وأقلامُه بالبذلِ لله سُجَّدُ

ومنها:

أسيِّدَنا قاضي القضاة ومَنْ له ... شهابُ ذكاءٍ قد غدا يتوقَّدُ
ومَنْ بُنيت جُرْثُومَةُ المجدِ منه في ... ذُرى حجَرٍ مِنْ كعبةِ الفضل تُقْصَدُ
قدا انْبَجَست مِنْهُ بحارٌ زواخرٌ ... مِنَ العلمِ والجدْوى تفيضُ وتُزْبِدُ
فعنها لداني المحْل بالبذل مصدرٌ ... وفيها بنادي الحلم للفضل موردُ

ومنها:

وبُلِّغتَ مجداً بالسِّماكِ مُحجَّلا ... توقَّفَتِ الأفهامُ عمَّا يقلِّدُ

ومنها:

وكم معشرٍ أغْيَثْهُمُ منك غايةٌ ... تَنَكَّبُ عنها النَّجمُ مرقَى وسُؤْدَدُ
بهم أطبقتْ عينُ الزَّمانِ على قذًى ... وأنت لِعَيْنِ الدَّهر نومٌ وإثْمدُ
فإنْ يحمدوا فالدَّهرُ أحرى بذمِّهم ... فأنت أبا العباس لا شكَّ أحمدُ

ومنها:

ولمَّا روى والفضل فيك مجمَّع ... جميلُ الثَّنا مِنْ حيثُ يروي مُسدَّدُ
حديثَ عطاءٍ عَنْ أياديك مرسلاً ... وأخبارَ بشرٍ عن مُحَيَّاك تُسنَدُ
حلفتُ يميناً أنَّها منك لم تزل ... تُفيدُ يساراً خالداً ليس ينفَدُ

ومنها:

وبُلِّغْتَ بالعلمِ الشَّريفِ ولايةً ... عليها لواءُ النَّصر بالسَّعد يُعقَدُ

عَدَتْ للسُّوا قصداً لتظهر فضلكم وعادت إلى عَلياك والعَوْدُ أحمدُ

[ابن ناصر الدين الدمشقي]

ومنهم: الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر عبد الله[1] بن محمد بن ناصر الدين الدمشقي.

فكتب عنه صاحبنا[2] النجم بن فهد الهاشمي مما أنشده لنفسه لفظاً:

إن قيلَ من ترتجي جوداً ويفعلُه قُلِ المفيدُ بفضلٍ كلَّ مَنْ وفَدا
قاضي القضاة إمامُ العصر حافظُه فردُ الزمان الذي في فضلِه انفردَا
وإن أردت نظيراً في تبحُّره علماً وفضلاً وجوداً لم تجد أحدَا
لا تنكروا جُودَه كالماء منسحباً فالماءُ مِنْ حَجَرٍ يحيى به أبدا

[شمس الدين النَّواجي]

ومنهم: العلامة فخر الأدباء شمس الدين محمد بن حسن النَّواجي غفر الله له.

وله فيه المدائحُ الكثيرة[3]، فمنه ما قرأته بخطه:

نفسٌ على هام الكواكب تُشْرُفُ وحُلا أرقُّ مِنَ النَّسيم وألْطَفُ
يا واحدَ الدُّنيا الذي عزماتُه حلفَ الزَّمانُ بمثلها لا يُخلِفُ
كم رامَ بدرُ التَّمِّ يحكي وجهَك الوضَّـ ـاحَ حُسناً فاعتراه تكلُّفُ
لا شك فيه مِنَ الإله سريرةٌ بالبِشْرِ مِنْ صَفَحاتِ وجهك تُعرَفُ

---

(١) في (أ): «أبي بكر بن عبد الله»، خطأ، وانظر الضوء اللامع ٨/١٠٣.

(٢) أضيفت في (ح) كلمة «الحافظ»، فأصبحت: «الحافظ صاحبنا...» ثم علق أحدهم بعد ذلك في الهامش ما نصه: ينظر هذه اللفظة ما هي، فإنها من إصلاح الجاهل الكاذب الحمار (!) صاحب النسخة، المجترئ على الله وعلى المصنفين في تغيير عباراتهم، وهو معلوم من بيت المذكور.

(٣) ذكر المصنف في ترجمته من الضوء اللامع ٧/٢٣٢: أنه مدح صاحب الترجمة، وقال: وله في غرر المدائح، أودعت الكثير منها في الجواهر.
قلت: وقد أورد المصنف مجموعة من القصائد للنواجي، تنتهي بصفحة ٥٣٨.

حمَّلتَ أعناقَ الكرامِ صنائعاً ... عَنْ بعضِ أيسرِها تكِلُّ وتَضعُفُ

ومنحتَ أربابَ البُيوت بدائعاً ... بحُلَى معانيك الحسان[1] تُزَخْرَفُ

لله دَرُّك مِنْ سليلِ مآثرٍ ... بأثيلِ محتَدِهِ العُلا يتشرَّفُ

شهمٌ أبيٌّ جائدٌ متفضِّلٌ ... نَدْبٌ وفيٌّ زاهدٌ متعفِّفُ

ورِثَ السيادةَ لا أقول كَلالَةً ... بل ذاك مجدٌ عَنْ أبيه مخلفُ

رحبُ الحظيرة في العُلوم مَبصَّرٌ ... في الحكم لا أنِفٌ ولا مُستنكِفُ

يبدي التَّرفُّع حيث شامَ من امرىء ... شَمماً ويَرفُق بالضَّعيف ويرأفُ

أبداً يُنزِّه طَرْفَه في[2] روضة ... أطيارُ فكرته عليها عُكَّفُ[3]

ويكاد صدر الطِّرس يخبره بما ... فيه وتنطِقُ في يديه الأحرفُ

وإذا الفقير شكا إليه ظُلامَةً ... رقمتْ[4] أناملُه الكريمةُ تكشِفُ

هو سيبويه زمانِه وعلُومه ... عين الخليلِ لنحوها تَتَشَوَّفُ[5]

فأبو عُبيدٍ لو تأخَّر عنه لم ... يُنْسَبْ إليه في الغريب «مُصَنَّفُ»

ولو ابن عصفورٍ رآه لطَارَ مِنْ ... فرحٍ وعادَ إليه وهو يُرفرِفُ

بأداة الاستقبالِ لم يَكُ ناطقاً ... وبأحرفِ التَّنْفِيس ليس يُسَوِّفُ

بل أمرُه في الحالِ يرجعُ ماضياً ... حتماً وفعلُ نوالِه مُتَصَرِّفُ

قد حازَ معرفةً ووزناً مِنْ ندى ... كفٌّ فعن رُتَبِ العُلا لا يُصرفُ[6]

وإذا وجوهُ المكْرُماتِ تنكَّرت ... بأداة نشرِ عطائِه تتعرَّفُ

---

(١) في (ط): الكرام.

(٢) في (أ): «عن».

(٣) في (ب): «عطف».

(٤) في (أ): «رمقت»، تحريف.

(٥) في (ب) و«المختصر»: «تتشرف».

(٦) هذا البيت ساقط من (ط).

لا عيبَ في علياهُ إلا أنه ... يحبُو بما ملكت يداهُ ويُتْحِفُ

وإذا تعزَّزَ مالُه عَن طالبٍ ... رِفْداً تراه لذا وهذا يُضْعِفُ

لا يُخلِفُ الميعادَ أصلاً بل يرى ... أن الإله عليه حقاً يُخلِفُ

كَلِفٌ بأمرِ الدِّين لا يَلْوِي على ... ما فاتَ مِنْ دنيا ولا يتأسَّفُ

وله إذا سَدَلَ الظَّلامُ رُواقَه[1] ... عينٌ مُسَهَّدةٌ ودمعٌ يَذرِفُ

فألذُّ ما يُتْلَى عليه كلامُ خا ... لِقه وأشْهى ما إليه المُصْحَفُ

يا كعبَةَ الجُودِ الذي لِمَقَامِه ... تسعَى الوفودُ نَدًى ولا تتوقَّفُ

وتطُوفُ حولَ البيتِ منه كأنَّه ... للفضل ما بين الخلائقِ موْقفُ

بمنَى المُنَى وقفُوا، وفي حرَم الهَنَا ... عكَفُوا، وبالحَجَرِ المكرَّم أُتحِفُوا

بالعلْمِ والحلْمِ اشتهرتَ فقُل لنا ... هل أنتَ أحمدُ عصرِنا أم أحنَفُ

وبحُسْنِ خُلقك حيثُ راح مُوطَّأ ... أصبحت فينا مالِكاً يتصرَّفُ

أم نفسُ حاتِم نَقْشُ خاتَمِ كفِّكم ... بهما الجناس يروقُ وهو مصحَّفُ[2]

يا حافظَ الإسلام مِن لَددٍ ومِنْ ... نزعاتِ خصمٍ كيدُه مستضعفُ

لك منطقٌ جزلٌ رصينُ اللَّفظ لا ... متكلِّفٌ لَسَناً ولا مُتعسِّفُ

مُرْدٍ لسَفْسافِ الكلام إذا انتضى ... حدًّا لِنخْلَة حَائِدٍ يَتَفَلْسَفُ

ما زِلْتَ تحمي شرعَ سنَّةِ أحمدٍ ... وبه تَذُبُّ عَنِ الحديث وتَصرِفُ

حتى أعدت الحقَّ أبيضَ أبلجاً ... بسَناً يكادُ البرقُ منه يَخطَفُ

وقَفَوْتَ آثارَ الرِّجالِ فلم تَدَع ... لهُم طريقاً فيه ما يُتَخوَّفُ

وبمجلسِ الإملاء تملأ سمعَنا ... دُرراً بها أُذُنُ الرُّواة تُشنَّفُ

وإذا أتيتَ بطُرْفَةٍ شهِدَ الورى ... حقاً بأنك يا إمامُ مُطرِّفُ

---

(١) في (أ): «وراقه»، تحريف.

(٢) هذا البيت لم يرد في (أ).

وبنخبة الفكر» انتهجتَ طريقةً ... غرَّاءَ يعرفُ فضلَها مَنْ يعرفُ
وبفتح باريك اغتنيت فكلُّهم ... مِنْ فيضِ فضلِ علومِكم يتلقفُ
وعُنيتَ بالذَّهبي في «ميزانه» ... بالنَّقد فيما بَهْرجُوه وزيَّفُوا
حركتَ فيه له[1] «لساناً» مُسْلَطاً ... كالسَّيف يرهبُه الحُسامُ المرهَفُ
لا غَرْوَ أنْ يُقضى بقطع نزاعهم ... فاللَّفظُ عضْبٌ واليَراع مثقَّفُ
يا شيخَ الاسلامِ الذي أفكارُه ... أبداً بها شملُ العلوم مؤلَّفُ
مِنْ بحرِ جُودك قد نظمتُ قصيدةً ... زَهرُ البلاغة مِنْ حُلاها يَقْطِفُ
حاكت بصنعاء القَريض برودَها ... وأتت تجرُّ المِرْط وهو مفوَّفُ[2]
لطُفت معانيها فأعينُ عَينِها ... لك مِنْ كُوى فاءاتها تَتَشَوَّفُ
وتمايلت مَرحاً فلولا نِسْبَةٌ ... لكُم لقيل ثَنَى المليحةَ قَرْقَفُ
هي بهجةٌ للشمس إلا أنَّها ... تسمو بعلياء الشِّهاب وتَشْرُفُ
طوَّقْتَنِي بالجودِ منك فلم أزلْ ... بعُلاك في فُنَنِ البلاغة أهتِفُ
وكسوتني حُلَل الجمالِ فها أنا ... لكمُ مُريدٌ في الورى متصوِّفُ
لي فيك حسنُ تخضُّعٍ وتذلُّلٍ ... ولكم عليَّ تحنُّنٌ وتعطُّفُ
ووحقِّ فيضِ نَدَاكَ وهو أليَّتِي ... ويَحِقُّ لي أنِّي بذلك أحلفُ
ما لي إلى أحدٍ سواكَ تَلَفُّتٌ ... كلاَّ ولا لي عَنْ جنابك مصرِفُ
وعلى محبتك الخلائقُ أجمعوا ... كُلاًّ فما أحدٌ عليك يعنِّفُ
لا زلتَ في أمرِ الممالكِ قاضياً ... وشهابُ علمِك بالفضائلِ يُسعِفُ
ويَحُفُّكَ البدرُ المنيرُ بطلعةٍ ... شمسُ الظهيرة مِنْ سناها تكسَفُ
والله يكلؤُكم بعين عِنَايةٍ ... منه ويحفظُكم لديه ويُزلِفُ

---

(١) «له» ساقطة من (ط).

(٢) في هامش (ط): «البرد المفوَّف: ما فيه خطوط بيض».

يـا ربِّ واحـشـرنـي بـزُمـرتـه إذا ... هاجت سعيرُ لظًى وهال الموقفُ
فـبـجـاه أحـمـدَ لـم أزل مُـتَـشَـفِّـعـاً ... مِـنْ مـالـكٍ وبـديـنـه أتـحـنَّـفُ
صـلَّـى عـلـيـه الله مـا ذُكِـرَ اسـمُـه ... لـشـجٍ فَـهَـامَ إلـيـه صـبٌّ مُـدْنَـفُ

ومنه ما أنشد عقب ختم «فتح الباري» بالمنكوتمرية، فقال:

خُـذوا حـديـث الـغـرام مُـسـنَـدْ ... عَـنْ مُـسـتـهـامِ الـفُـؤادِ مُـبـعَـدْ
وسَـلْـسِـلُـوه بِـدُرِّ دمـعـي ... فـابـنُ مَـعـيـنٍ بـه تَـفَـرَّدْ
يـا خـدُّه الـواقـديُّ[1] رفـقـاً ... بـخـاطـرٍ مـنـك قَـدْ تـوقَّـدْ
وثـغـرُه الـجـوهـريُّ كـم ذا ... يـمـنـعـنـي ريـقَـك الـمـبـرَّدْ
بـالله يـا راحـلاً بـقـلـبـي ... هـل[2] لـفـؤاد الـمـشُـوقِ مِـن رَدْ
الـلَّـهَ الـلَّـهَ فـي مـحـبٍّ ... بـنـظـرةٍ مـنـك مـا تـزوَّدْ
يُـكَـفـكِـفُ الـدَّمـع فـي جـيـوبٍ ... خـوفَ وُشَـاةٍ لـه وحُـسَّـدْ
لـو سُـمْـتُـه قُـبْـلَـةً ولـو فـي الـمـنـ ... ـامِ بـالـرُّوح مـا تـردَّدْ
لله سـاجـي الـلَّـحـاظِ ألـمـى ... أغـنُّ لَـدْنُ الـقَـوامِ أغـيَـدْ
ألـثـغُ حُـلْـوُ الـكـلامِ كـادَت ... حـلاوةُ الـثَّـغْـرِ مـنـه تُـعْـقَـدْ
الـبـدرُ[3] قـد لاح مِـنْ سـنـاه ... والـغُـصْـنُ مِـنْ عِـطـفِـه تـأوَّدْ
رقَّ أديـمـاً فـكـاد يـجـري ... عـلـى فـؤادٍ لـه كـجـلـمَـدْ
لـو هـفـواتُ الـنَّـسـيـمِ مَـرَّتْ ... عـلـيـه مِـنْ لُـطـفـه[4] تـجَـعَّـدْ
جـامـعُ حـسْـنٍ إذا تـبـدَّى ... خـرَّت عـيـونُ الأنـامِ سُـجَّـدْ

---

(١) في (أ): «الواقد».
(٢) في (أ): «قل».
(٣) في (أ): «الثغر».
(٤) في (ط): «لفظه»، تحريف.

وقُبلةُ العِشْقِ إن تُغنِّي ... أبصرتَ في الحالتين مَعبَدْ
صيرتُ دمعي عليه وقفاً ... مُسبَّلاً جارياً مؤبَّدْ
وعاذلٍ كان قبلَ هذا ... يطعنُ في حُسنِه ويَجْحَدْ
ومُذْ بدا وجهُه هلالاً ... يفوقُ بدرَ السَّما تَشَهَّدْ
وزان خدَّيه حُسْنُ خالٍ ... بكعبة الحُسْنِ قَدْ تعبَّدْ
حَمَاهُ ربي فكيف أضحى ... في وسط نيرانها مخلَّدْ
لم أنْسَ إذ زارني بليلٍ ... كأنَّه كوكبٌ توقَّدْ
وابتسم الثغر عن لآلٍ[1] ... فَهِمْتُ في عِقدها المُنضَّدْ
واستعبَرَ الجَفْنُ مِنْ دموعٍ ... لمَّا رأى صدْرَهُ تنهَّدْ
أرشَفَنِي مِنْ رحيقِ ثغرٍ ... كاساً وحيَّا بوردِه الْخَدْ
شمِمت منه عبيرَ خالٍ ... يعبَقُ مِنْ نشره شَذَا النَّدْ
فَيَا له عنبرٌ ذكيٌّ ... وعاذِلي فيه قد تَبَلَّدْ
يا مالك[2] الحسن جُد بنعما ... ن وَجْنَتَيْ خدِّكَ المُوَرَّدْ
وإن تكن شافعي فإني ... أشكرُ ربَّ السَّما وأحمدْ
قاضي قُضاةِ الأنامِ كنزُ الـ ... ـغنى حليف النَّدى المؤبَّدْ[3]
حامي ذُرى المجد والعُلاَ مَنْ ... فاقَ الورى في حُلاً وسُؤْدُدْ
بنى له الفضلُ بيتَ عَلْيا[4] ... له بساطُ النُّجوم مَقْعَدْ
وأعربَتْ عن عُلاه خِيمٌ[5] ... بالعطف معروفُها تأكَّدْ

---

(١) في (أ): «هلال».
(٢) في (أ): «يا مالكي».
(٣) في (ب) والمختصر: «المؤيّد».
(٤) في (أ): «عالي».
(٥) في «المختصر»: «وأعرب الفعل عن صفات». وفي هامش (ط، ح). «الخِيم ـ بالكسر ـ السجية والطبيعة».

مولى به الله في الورى قد ... أعزَّ أحكامَه وأيَّدْ
أعفُّ في الحكم مَنْ مَشَيْنَا ... تحتَ لواء عَدْلِه وأزْهَدْ
له مع الله حُسْنُ حالٍ ... بظهرِ غيبٍ له ومَشْهَدْ
ما مثلُه في وفاً وحلْمٍ ... إنْ وعَدَ المرءَ أو توعَّدْ
ولم يقُل في نَدًى وعِلمٍ ... لمَنْ أتى سائلاً: إلى غَدْ
ذُو راحة أتْعَبتْ حسوداً ... قصَّرَ عَنْ نَيْلها وفَنَّدْ
أصابع النِّيل قاصِراتٌ ... عنها وكفُّ الغمام مُمتَدْ
كم قلتُ لمَّا سَمَا فحاذى ... رأسَ سِمَاكٍ وفَرقَ فَرْقَدْ
يا هل تُرى غاية لعليا ... متفردٌ في الأنام أوحدْ
وليت شعري أنَال ذا عن ... أبٍ[1] عليٍّ المقامِ أم[2] جَدْ
في مصره كم أغاث حيًّا ... أتْهَمَ في غوره وأنْجَدْ[3]
وكم وكم قد أمات خصماً ... عانَد في شَرعِهِ وألْحدْ
يا عَمرَك اللّهُ أمَّ حَبراً ... عنه حديثُ الكرام يُسنَدْ
وازوِ ندَى راحتيه بحراً ... مِنَ الطَّريقين عنه يُوردْ
فبابُه للوفود مَلْجَا ... ومالُه للعُفاةِ مُرصَدْ
وأعجب لذي باطلٍ وحقٍّ ... كلاهُما في حِماه يُعضَدْ
هذاك بالقطع ليس يَرْقَى ... وذا بكلتا اليدين يُرْفَدْ

---

(١) في (ب): «أمجد»، خطأ.

(٢) في (أ): «أو جد».

(٣) في هامش (ط، ح) ما نصه: أتهم وأنجد أتى تهامة ونجداً، ونظرهما كثيراً، كأغْمَنَ وأعرق. أتى عُمان والعراق. قال الممزّق العبدي:

فإن تُتهمُوا أنجد خلافاً عليكم ... وإن تُعمِنُوا مستحقبي الحرب أُغرِقُ

وكذلك غار، أتى الغوْرَ، ولا يُقال: أغار. وعُمان ـ بضم المهملة والتخفيف ـ بلد، وأما عمّان ـ بالفتح والتشديد ـ فموضع بالشام.

لا عيبَ في جُوده[1] سوى أنَّ شملَ أموالِه مُبَدَّدْ
يَسْبِيك في كفِّه يراعٌ أسمرُ لَدْنِ القَوامِ أمْلَدْ
أحوى غَضِيضُ الجفون ألمى مُكَحَّلُ الطَّرْفِ لا بِمِرْوَدْ
مواظبُ الخمس وِرْده في وقت صلاة الصَّلاتِ يشهد[2]
إذا هوى للرُّكوع خرَّتْ له وجوهُ الطُّروس سُجَّدْ
سبحان مَنْ قد براهُ غُصناً ثمارُه فِضَّةٌ وعَسْجَدْ
مُحبَّرٌ في العلوم زاكي الـ أُصولِ سامي الذُّرى مُسَوَّدْ
في قصَب السَّبق ما رأينا مثالَه في الجياد جَوَّدْ
تهزُّ أصواتُ سائليه أعطافَه للنَّدى فَتَمْتَدْ
وتَنْبَري للعطَا فيُزري بالبحر في جَزْرِه وفي المَدْ
يسعى على رأسه لأمٌ طِرافُها للحِبا مُمَدَّدْ
تُرضعه[3] يومها وعند الـ ـمغيبِ في بطنها يمهَّدْ
واسْتَجْلِ ما شئتَ مِنْ معاني مِزمَلَةٍ طرفُها مُسهَّدْ
يحكي سنا وجهها الثُّريا حسناً إذا سعدُها تَجدَّدْ
في بيت أفراحها اجتماعٌ بالرَّمل مِنْ سِلكها[4] تولَّدْ
تنظمُ الدُّر فوقَ طِرْسٍ نَظْماً فتظمَى لمَّا تنضَّدْ
وتنثر التِّبْرَ في لُجَيْنٍ نثراً فتُثرِى به ونَسْعَدْ
تُذيب قلبَ النُّضار لا ما حصَّله باخِلٌ وجَمَّدْ

---

(١) في (أ): «وجوده»، خطأ.

(٢) هذا البيت لم يرد في (ب).

(٣) في (ب): «ترضعها».

(٤) في (ط): «شكلها».

إن أنكرتْ قتلَ حاسديها ... ها دمُهُم في الطروسِ يَشْهَدْ
وشمُ حُلا مُديةٍ عليها ... خناصرٌ للعلوم تُعقَدْ
تَقْطعُ وصلَ الجَفا وتبري ... قلبَ عِداةٍ بَغَوْا وحُسَّدْ
وتُثبت الجُرحَ في وجُوهٍ ... تجاوزُوا في لقائها الْحَدْ
ما طالَ مِنها اللسانُ إلا ... قصَّر مَنْ كلَّمْت عن[1] الرَّدْ
قوامُها اللَّدنُ سَمهرِيٌّ ... وإنَّما طرفُها مهنَّدْ
تملك الحُسْنَ في نصابٍ ... ما مثلُه في القُرون يُعهدْ
قتيلُها المَخْلُ ليس يُودَى ... شرعاً وإن كان بالمحدَّدْ
يا شيخَ الاسلام يا إماماً ... دَعَا لطُرْقِ الهُدى وأرشَدْ
يا ذا التَّصانيف ليس يُلْقَى ... نظيرُها في الورى ويُوجَدْ
لو رام تعدادَها حسودٌ ... بكى على نفسه وعدَّدْ
شرحَتَ صدرَ الحديث لمَّا ... قصدتَ للشرحِ أيَّ مقصِدْ
ورحتَ تُمليه في نُجومٍ ... شهابُها في العلا توقَّدْ
أخجلَ في أُفقه الدَّراري ... أما تَرى الجوَّ أحْمرَ الْخَدْ
واستخدمَ الكُنَّسَ الجواري ... تدأبُ في بابه وتَجهَدْ
أفعم أذواقَ طالبيه ... بمشتهَى لفظِه الْمُسَرْهَدْ
وسار في شرقها وغرَّب ... تُتلى أحاديثُه وتُسْرَدْ
وكم طوى نشرُه كتاباً ... على ممرِّ الدُّهور سَرمَدْ
ومَنْ يَكُنْ علمهُ عطاءً ... مِنْ فتح باريه كيف ينفَدْ
خذها ابنةَ الفكر ذاتَ شجوٍ ... بلُطْف معناك قد تَجَسَّدْ

---

(١) في (أ): «من»، تحريف.

تغنيك أوصافُ حسنها عن ... وصْلِ حسانٍ ووصف[1] خُرَّدْ[2]

تختال مِنْ طرسِها ومَعْنَى ... عُلاك في صَرْحِها المُمَرَّدْ

جمالُها مطلقٌ وحرفُ الـ ... رَوِيِّ في حُبِّكم مُقَيَّدْ

وبحرُها مِنْ بَسيط كفِّيْ ... نَداكُمُ بالوفا تعوَّدْ

مَنْ رامَ يَقفُو سَنَا عُلاهَا ... لمطلع الشَّمس كيف يَصْعدْ

رقيقةُ النَّظم ذاتُ لفظٍ ... حُرٍّ ومعنًى بكم مُولَّدْ

حَرَّرَها في عُلاك مَولىً ... عِتَاقُه بالوَلاَ تَعَبَّدْ

أمسكَ فضلَ العِنَانِ لمَّا ... زادتْ معانيكم على العَدْ

ولو أطالَ المديحَ جاءت ... - وحقِّ عليك - في مُجَلَّدْ

طوَّقتَه بالنَّدى فَقَلَّمَا ... مطوَّق في الرِّياض غَرَّدْ

ورِشْتَ منه الجناحَ حتى ... حلَّق نحو العُلا وصَعَّدْ

وحقِّ ربِّ السَّما ومولًى ... يُخْشى لكلِّ الورى ويُعبَدْ

ما لي إلى غيرك التفاتٌ ... كلاَّ ولا عَنْ حِمَاك مَقْصدْ

قَيَّدْتني بالنَّدى فَتَمِّمْ ... واكتب على قَيْدِيَ المخلَّدْ

وكم يدٍ[3] قد أنلتَ حتَّى ... سَلَبْتَ منِّي الفؤادَ باليَدْ

هذا هو الفضلُ بل أبوهُ ... أنتَ وهذا لَعَمْرُكَ الْجَدْ

لا زلتَ مستعصماً أميناً ... مستنصراً هادياً لمُهْتَدْ

مُسْتَظْهِراً واثِقاً رشيداً ... على العِدى ظاهراً مُؤيَّدْ

يَحُفُّكَ البدرُ في كمالٍ ... بخيرِ ما طالعٍ وأسْعَدْ

---

(١) في (ط): «ووصل».

(٢) هذا البيت لم يرد في (ب).

(٣) في (ب): «به».

ومنه، ممَّا نقلتُه مِنْ خط ناظمه النواجي رحمه الله:

تـذكَّـرَ عـهـداً بـالـغُـويْـرِ ومَـعْـهَـدَا ... ومـعـنًـى يـروق الـنـاظـرَ الـمـتَـردِّدَا
وشـاهـدَ ربـعـاً بـالـعـقـيـق ومَـرْبَـعـاً ... فـسـاقـط دُرَّ الـدَّمـعِ مـثـنًـى ومـوحِـدَا
حـلـيـفُ جـوى هـيـمـان ظـمـآن كـلَّـمـا ... شـكـى عـلـةً لـلـربـع جـاوبـه الـصَّـدَى
مَـلـيٌّ مِـنَ الـتَّـسـهـيـد والـدمـعُ مـمـلـقٌ ... مِنَ الصَّبر لا يلقى على البَيْنِ مُسعِدَا
عـلـى حـيـن زُمَّـت بـالـحـبـيـبِ رواحـلٌ ... لـنَـجْـدٍ فـلـم تـتـرك لـقـلـبـيَ مُـنـجِـدَا
هُـمُ أودعـوا دُرَّ الـحـديـث بـمَـسْـمَـعـي ... فـسـال عـقـيـقاً مِـنْ جـفـونـي وعَـسْـجَـدَا
وفـي الـرَّكـب حـوراءُ الـعُـيـون إذا رَنَـت ... لـرِيـمِ الـفَـلا فـي الـتِّـيـه راح مـشـرِّدَا
مـهـفـهـفـةٌ لـولا جـوارحُ لـحـظِـهـا ... عـلـى عـطـفـهـا غـنَّـى الـحـمـام وغَـرَّدَا
تـرعـرعَ مِـنْ مـاء الـشَّـبـيـبَـةِ خَـدُّهَـا ... فـأيـنـعَ وَرْداً كـلَّـلـتـه يـدُ الـنَّـدَى
فـيـا ظـمـأ الـمـضـنـيِّ إلـى عـذْب ورده ... إذا مـا رأى الـخـدَّ الأسـيـلَ مـورَّدَا
وشـاهـدَ[1] بـدراً لـو يـلُـوح هـلالُـه ... لـغـادرَ طـرفُ الـشَّـمـس فـي الـحـال أرمَـدَا
وشَـعـراً وثـغـراً إنْ تـأمـلـتَ فـيـهـمـا ... تـرى الـفـرقَ مـا بـيـن الـضَّـلالةِ والـهُـدَى
أكـرِّرُ طـرفـي فـي بـديـع حُـلاهُ كَـيْ ... أُشاهِدَ معنى الحُسن منها[2] وأشهدَا
وأحـذرُ إن هـبَّـت مِـنَ الـثَّـغـرِ نـسـمـةٌ ... عـلـى لُـطْـفِ ذاك الـجـسـمِ أن يَـتَـجَـعَّـدَا
تـزخـرف بـالأصـداغِ قِـبـلـة وجـهـهـا ... فـتـونـاً فـتُـسـبـي الـزَّاهـدَ الـمـتـعـبِّـدَا
وتـتـلـو عـلـى الأسـمـاع آيـاتِ حُـسـنـهـا ... فـيـصـبـحُ كـلٌّ لـلإلـه مـوحِّـدَا
فـسـبـحـان مَـنْ أهـدى لـنـور جـبـيـنـهـا ... بـمـشـكـاة فـيـهـا كـوكـبـاً قـد تـوقَّـدَا
وأطـلـع[3] نـجـم الـسَّـعـد بـالـثـغـر لـلـورى ... نـهـاراً ولـم يَـخْـلُـق مـحـاسـنَـهـا سُـدَى

---

(١) في (أ): «وشاهدت».

(٢) في (ط): «فيها».

(٣) في (أ): «وأطلق».

قرأت «صحاحَ الجوهريّ» بثغرها ... ومِنْ ريقها ذُقتُ الزُّلالَ المبَرَّدَا

مُجاهدُ ذاك اللَّفظ[1] أضحى مقاتلاً ... يُفَوِّقُ سهماً نحو قتلي مسدَّدَا

ومنزلُ قلبي كان بالحُبِّ عامراً ... فخرَّبه لمَّا أخاف وهَدَّدَا

تمالت بجيدٍ مالَ فيها مَع الهوى ... فأجرى عيوناً مِنْ دَمِي وتقلَّدَا[2]

وقالت: تجلَّد، قلتُ: قدصرت[3] أعظُماً ... هبينيَ جِسْماً واسأليني التَّجلُّدا

محبُّكِ في ذا اليوم يا ميُّ ميِّتٌ ... فأوليه خيراً ترتجي أجرَه غَدا

عجبتُ لسيفٍ مِنْ جفونك مُرْهَفٌ ... تصدَّى لقتلي وهْوَ ما زال مُغْمَدَا

وعهدي بسهمِ اللَّحظ يُنْسَبُ للخَطا ... فما باله في قِتْلَتي قد تعمَّدَا

وأعجب مِنْ ذا أنَّ ريقَك سَلْسلٌ ... فُراتٌ وفيه الدُّرُّ يُلْفَى منضَّدَا

ليَ الله قلباً قد قضى نحبَه أسىً ... عليها ومِنْها نظرة ما تزوَّدَا

وعقد دموعٍ[4] كلَّما رُمْتُ صونَه ... بعينيَ أضحى مثل شملي مُبَدَّدَا

فأرْوِي «حديث القُلَّتين» مُسلسلاً ... إلى ابن معينٍ مِنْ أماليه مُسنَدا

وأحمِلُ منه مطلقاً كلَّ ما جرى ... على القلب إذ أمسى بشجوي مقيَّدا

تفقَّهتُ في شرع الغرام مُيَمِّماً ... طريقاً بها في مذهب القومِ يُهتدَى

فبي يَقْتَدِي العُشَّاقُ في الحُبِّ مثلما ... بقاضي قُضاة العصر في العلم يُقتدَى

إمامُ الفتاوى قِبلَةُ الفقهِ جامع الـ ... أُصول خطيبُ الوقت للدِّين قد هدَى

أقامَ منارَ الشَّرع إذ أذَّنوا له ... بفضلٍ وبالتسليم أعلن في النَّدا

فصلَّت له الأقلام[5] في الطرس وانْبَرَتْ ... على رأسها في العلم تسعى[6] لتسعدا

---

(١) في (أ): «اللطف».

(٢) هذا البيت ساقط من (ط).

(٣) في (أ): «حرت»، تحريف.

(٤) في (ط): «دموعي».

(٥) في (أ): «الأقدام»، تحريف.

(٦) في (أ): «تسقي».

وفي خدمة الباري تراهُنَّ ركَّعاً ... قياماً بمحراب المهارق سُجَّدَا
له الله حبراً كم أتمَّت صلاتُه ... صلاةً وكم أحيا بمحياه مسجدَا
بعلم قضى فينا وأدَّى حقُوقَنَا ... فأحسنَ فعلاً في القضاء وفي الأدَا
وما إن رأينا أو سمعنا بعصرِنا ... أعفَّ وأزكى منه نفساً وأزهَدَا
إذا قام في المحراب لله قانتاً ... بترجيع صوتٍ خِلْتَ في القوم معبَدَا
فكم قد وفى وغداً وأنجز مَوعِداً ... وكم قد رعى عهداً وجَدَّد معهدَا
وكم قد رأى درسَ المدارس دارساً ... فصيَّر فيه مَعْلَمَ العلمِ مشهدَا
حليفُ الهدى مُولي الندى سامعُ النَّدا ... بعيدُ المدى واقي الرَّدى كابتُ العِدَا
شهابُ علومٍ ثاقبُ الفكرِ مُحرِقٌ ... لشيطانِ إنسٍ قد طغى وتمرَّدَا
فمَنْ يسترِقْ بالسَّمع نقلَ حديثِه ... يُذَدْ عَنْ سما علياهُ حقاً ويُطْرَدَا
له مفرِق الجَوْزَا بساطٌ وإنَّنا ... لنرجو له في حضرة[1] القدس مقعدَا
أبى الفضلُ إلا أن يكُونَ له أباً ... فنال به أصلاً عريقاً وسؤدُدَا
محطُّ رحال الطَّالبين فجلُّهم ... لبيتِ النَّدى والعلمِ وافى مجرَّدَا
وللحَرَمِ الميمون مِنْ كلِّ وُجْهَةٍ ... مشارقها والغرب يسعون وُفَّدَا
إلى حجر يُنْمَى[2] عليٌّ مقامِه ... فأكرِمْ به للبيت ركناً مشيدَا
غدا شافعيَّ الوقتِ إذ كان وارثاً ... لعلمٍ به خصَّ المهيمنُ أحمدَا
ومالكه أهدى لنعمان روضِه ... أبا يوسف مِنْ فضله ومحمَّدَا
تكوَّن مِنْ نُورٍ وأشرقَ بدرُه ... فللَّهِ ذو النُّورين فرعاً ومحتدَا
وحاز جمالاً في رُبا العلم قد نشَا ... عزيزاً بعليا مصرَ أصبحَ سيِّدَا
تَسَرْبَلَ بالتَّقوى وتُوِّج بالعُلا ... وصارَ شعارُ الأشعريِّ له رِدَا

---

(١) في (أ ،ط): «مقعد».

(٢) في (أ): «ينمو».

ومِنْ «فتح باريه» استمدَّ يراعُه ... فحاشاه أن يفنى عطاءً وينفدَا
إذا ماس فوقَ الطُّرس كالغُصنِ خلتَه ... مهفهفَ عطفٍ أكحلَ الطَّرف أغيدَا
بخمسِ بحُورٍ مِنْ أكفٍّ يمدُّه ... فتُثمر في الأوراق دُرّاً وعسجدَا
فقل في سجايا العسقلانيِّ إنها ... تقرّب للخيرات مَنْ كان مُبْعَدَا
وسلْسِل حديثَ الجُودِ عنه فإنَّه ... أصحُّ وأغلى ما سمعناه في النَّدى
بدور نوالٍ في المكارم كلَّما ... نقول انتهى في الحالِ عاد لِمَا بدَا
فكم فرّحتْ قلباً وكم أظهرتْ نبأة ... وكم فرَّجَتْ كرباً وكم كشفت رَدَى
وكم مِنْ يدٍ أولَتْكَ في القبض[1] راحةً ... ببسطِ الندى لمَّا مَدَدْتَ له اليدَا
يميناً لقد أبدت يساراً[2] وأطلقَتْ ... أناملَ مِنْ كفِّ الغمامة أجودَا
يُشار إليها بالأصابع عندما ... تزيدُ فيجلُو بالوفا غُلَّةَ الصَّدَى
فمِنْ لُطف خَلْقِ النِّيل جاء مخلقاً ... ومِنْ عُظم غيْظِ البحر أرغى وأزبَدَا
وما يستوى البحران، هذاك مالحٌ ... أُجاجٌ وهذا للورى طاب مَوردَا
شهِدْتُ بما شاهَدْتُ منه، فإن تَلُح ... لعينك مثلُ الشَّمس بالحق فاشهدَا
فمَنْ رامَ تعداداً لأوصافها بكى ... على نفسه طولَ الزَّمان وعدَّدَا
أسيدَنا قاضي القضاة ومَنْ هدَى ... إلى الحقِّ مِنْ غيِّ الضَّلال وأرشَدَا
ويا حافظ الإسلام مِنْ زَيْغ مُبطلٍ ... أماتَ علومَ الشَّرع جهلاً وألْحَدَا
جَمَعْتَ أحاديثاً تفرَّد حُسْنُها ... فللَّهِ مجموعٌ غدا متفرِّدَا
وقَلَّدْتَ جيدَ الفقه دُرَّ حُلًى، فيا ... لمجتهدٍ في العصر أضحى مقلِّدَا
وفي صنعة الإعراب كم مِنْ قواعدٍ ... أقمت وفي الأنساب أظهرتَ قُعْدُدَا
وأعْرَبْتَ عَنْ مجدٍ رفعتَ بِنَاءه ... فحُزْتَ به نعتاً وعطفاً مؤكَّدَا

(١) في (أ، ب): «الفيض».
(٢) في (ط): «لساناً».

وكم لك مِنْ نقدٍ على الذَّهبيّ في ... ضعيفٍ يرى في بَهْرَج القولِ جيّدَا
أقمتَ له بالقسط وزناً فأصبحت ... صيارفةُ الأذهان نحوَك نُقَّدَا
وحرَّكْتَ إذ حرَّرت «ميزان» عَدْلِه ... بعضْبِ «لسان» يترُكُ السَّيف مِبردَا
فيا جابراً قلبَ العُفاةِ وواصلاً ... بفيض عطا والرأيُ أضحى مسدَّدَا
ويا متحفي في كلِّ عامٍ بكِسْوَةٍ ... بها قبل يومِ العيدِ أغدو معيِّدَا
وأروي عَنِ الفَرَّا أحاديثَ جُلة ... يَروقُ الكسائيَّ حسنُها والمبرّدا
بجودك جيد[1] النَّظمِ راح مطوَّقاً ... فأضحى بأفنانِ الثَّناء مغرِّدَا
وأبياتُ شعري في حياتي جعلتُها ... على مدحكم وقفاً صحيحاً مؤبدَا
تود[2] النجومُ الزُّهْرُ لو لَمَّ شملَها ... بديعُ نظامٍ جاء فيك منضَّدَا
وتهوى حروفُ الخطِّ لو كان كلُّها ... حروفَ نداءٍ إذ خَصَصْتُكَ بالنِّدَا
يموت الفتى دهراً ويفنى ادِّكارُه ... وذكرُكَ يبقى في الطُّروس مخَلَّدَا
وما رفعُوا في الكُتب أخبارَ عالمٍ ... بمأثرة إلا وذكرُك مُبتدَا
فعشْ وابْقَ واسْلَمْ واغْنَ واغْنَمْ وجُدْ وسُدْ ... ودُمْ وارْقَ واكْمُلْ نافذَ الحُكْمِ مرشِدَا
نرى كل يوم منك[3] عيداً مباركاً ... وسعداً على طُولِ الزَّمان مجدّدَا[4]

ومنه، ونقلته مِنْ خطِّه أيضاً:

أما والهوى لو ذاق طعم وِصَالِكِ ... محبُّك ما استهواه طيفُ خيالِكِ
سلبتِ الكرى عَنْ مُقلتي وأحَلْتِني ... على الطَّيف واهاً مِنْ عظيمِ مِحَالِكِ
ووطَّأتِ هجري إذ ملكتِ فأشهبُ الـ ... ـمدامع يُملي عَنْ موطأ مالِكِ

---

(١) في (أ): «جود»، تحريف.
(٢) في (أ): «تؤم».
(٣) «منك» ساقطة من (أ).
(٤) في (أ): «مخلداً».

بثغركِ والألحاظِ والخصرِ في الهوى ... لعَمْري لقد ضاقت عليَّ مسالِكي
فيا ربَّةَ الخلخالِ والخالِ عَلِّلي ... فؤادَ مَشُوقٍ هائمٍ بجمالِكِ
صَبورٍ على حَرِّ الغرامِ ولَيْتَهُ ... يذُوقُ برَبْعِ الأُنسِ بردَ ظلالِكِ
أقلُّ هواه أنه عنكِ مُبعَدٌ ... وأقصى مناه لو يمرُّ ببالِكِ
ملكتِ فؤادَ الصَّبِّ تِيْهاً فأسْجِحي ... وكُفِّي عَنِ الأحشاء سيفَ قتالِكِ
فكم فوقَّتْ عيناكِ سهماً فغادرت ... ليوثَ الشَّرى صرعى برَشْقِ نِبَالِكِ
وكم غرَّني مِنْ درِّ ثَغْرِكِ مطلبٌ ... فشمت مِنَ الألحاظِ أيّ مهالِكِ
بَنَيْتِ على كسرِ فؤاديَ والحشا ... وأعربتِ عَنْ هجرٍ بطولِ ملالِكِ
فبالخدِّ تسهيلٌ وفي الطَّرفِ لمحَةٌ ... تُعرِّف يا أسماءُ بعضَ فَعالِكِ
وشاعرُ درِّ الثَّغر نظمُ مليحةٍ ... بها القلبُ صادٍ لارتشافِ زُلالِكِ
قفي زوِّدي المُشتاقَ منكِ بنظرةٍ ... فقد حال حالي قبلَ يومِ ارتحالِكِ
وكان نهاري مِنْ مُحيَّاكِ مُشرقاً ... فأظلَمَ يا شمسَ الضُّحى بزوالِكِ
تنقَّلتِ مِنْ طرفٍ لقلبٍ[1] فأشرقت ... كواكبُ سَعْدِي في بُروجِ انتقالِكِ
وسِرْتِ بليلٍ مِنْ شُعورك مُسْبَلٍ ... فنَمَّ[2] بنشرِ المِسْكِ عنبرُ خالِكِ
ورقَّ هلالُ الأفق في الجوِ[3] وانحنى ... خضوعاً إلى تقبيلِ تُرْبِ نِعَالِكِ
ولاحت لبدرِ التَّمِّ منكِ التفاتَةٌ ... فأضحت عليه لَمعةٌ مِنْ جلالِكِ
كأن مُحَيَّاه البديعُ سنا جَبِيـ ... ـنِ قاضي قُضاة العصرِ حَبْرِ الممالِكِ
شهابُ علومٍ إن تسامى فأصلُه ... عليٌّ به يا نفسُ عِزُّ مَنالِكِ
لطلعته تعنو[4] البدورُ وتقتدي ... بهدْي سناه في اللَّيالي الحوالِكِ

---

(١) في (ب): «القلب».
(٢) في (ط): «فتمَّ»، تحريف.
(٣) في (ب، ط): «الجود في الأفق».
(٤) في (أ): «تعفو»، تحريف.

إلى حجر يُنْمَى وفي حرمِ المُنى ... رواحلُ وفْدِ العلمِ حطَّ رحالِكِ
تحجُّ بنو الآدابِ كعبةَ فضلِه ... وتقصِدُه الطُّلاَّبُ قَصْدَ المناسِكِ
إمامٌ وفي فقه الإمام فحُجَّةٌ ... قديمُ مَعَالٍ واضحاتِ المسالِكِ
مشارقُ أنوارِ الحديث له شِفَا ... وعمدتُه عند اختلافِ المدارِكِ
بحضرته نعمانُ روضٍ وأحمدٌ ... غدا شافعي إذ كان في الأصل مالكي
له قدمٌ أندَى مِنَ الغيث إن هَمَى ... وأزهَرُ مِنْ زهر الرُّبا المتضاحِكِ
يُطيلُ لباريه القيامَ نهارَه ... ويسجُدُ في ليلٍ مِنَ النِّقس حالِكِ
فقُلْ لسيوف الهندِ إن تتنصّلي ... إليه فكم جاوزتِ حدَّ نصالكِ
وأنتِ رماحَ الخَطِّ لا تتطاولي ... فقد قَدَّ قِدْماً مُشْرَعاتِ طوالِكِ
وإن زوَّرَتْ عطفاك عدلَ قِوَامِه ... ومِلْتِ قضى قاضي العُلا باعتقالِكِ
أسيدَنا قاضي القُضاة ومَنْ له ... مجالسُ حُفَّت في الملا بالملائكِ
ويا حافظَ الإسلام مِنْ كيدِ فاتكٍ ... بسُنَّتِه الغرَّا ومِنْ زيغ آفِكِ
رفعتَ منارَ العلمِ بالجامع الذي ... شرحتَ لتَهْدِي مِنْ ضلالِ المهَالِكِ
وأيّدكَ الباري بفتحٍ فلم تَدَعْ ... طريقاً لأبواب الهُدى غيرَ سالِكِ
وفي مُحْكَم التَّنزيل أوتيتَ آيةً ... فأنتَ بها كشافُ ليلِ المعارِكِ
ورُضْتَ جِمَاحَ النَّحوِ حتَّى ملكته ... وأصبحتَ فيه مالكاً وابنَ مالكِ
وشاركتَ كلَّ النَّاس في جُلِّ فنِّهم ... وليس لكم في فنِّكُم مِنْ مشارِكِ
وأنتَ لسانُ الدَّهرِ حقاً، فلا سوى ... حديثِك يُروى في ثُغور الممالكِ
لكَ الله مِنْ قاضٍ سريٍّ مهذَّبٍ ... مُهِيبٍ وَهُوبٍ زائدِ البِشْرِ ضاحكِ
حيِيٍّ أبيٍّ زاهدٍ متعفِّفٍ ... بهيٍّ وضيءٍ لازمِ الصَّمتِ ناسكِ
إلى العدل والإحسان والخيرِ جَانِح ... وللظُّلم والعُدوان والشرِّ تاركِ
يَزِين الحُلَى بالحِلْمِ فضلاً ورأفةً ... ويفتِكُ بالخصمِ الألدِّ المُماحِكِ
وكم هزَّ أعوادَ المنابرِ وعظُه ... فأحيا فؤادَ الهالِكِ المتهالِكِ

به الفضلُ يحيى والرَّبيع وجعفرٌ ... فخذ عنه أخبارَ الكرامِ البَرَامِكِ

فيا للسَّجايا الغُرِّ دعوةُ وامقٍ ... محبٍّ صدوقٍ مخلصٍ في ولائكِ

لبيتِك قد وافَى مريداً فأسعفي ... نزيلَكِ يا خيم الكرام ودارِكِ

ويا دولةً في باطن الأمر أخلصت ... لظاهرِها يهنيكِ نيلُ مرامِكِ

كسرتِ الأعادي وانتصبتِ لخفضِهم ... بفتحٍ مُبينٍ فيه رفعُ لوائكِ

وحافظُ هَدْي[1] المصطفى لك حافظٌ ... وشيخُ شيوخِ العصرِ شيخُ رجالِكِ

أدام إلٰهُ العرش عزَّك للورى ... وأسبغ في الأكوان سِتْرَ ظلالكِ[2]

ولا زال في علياء أفقِ سُعودِهِ ... شهابُكِ مقروناً ببدرِ كمالكِ

ومنه، ونقلته مِنْ خطِّه أيضاً:

رُدِّي المنامَ لطرفِ المدنَف الباكِي ... لعلَّه في الكرى يحظى برُؤياكِ

يا كعبةَ الحُسْنِ يا ذاتَ المنازل يا ... ربيبةَ الحِجْرِ ما أبهى مُحَيَّاكِ

سُبحان مَنْ قد أماطَ الحُجْبَ عنك لنا ... وجلّ مَنْ بجميل السّتر غطَّاك

إن كنتِ فتنة ألْبابٍ وأفئدةٍ ... فأنتِ قِبْلَةُ عُبَّادٍ ونُسَّاكِ

يودُّ شوقاً كليمُ الوَجْدِ بعدَك لو ... يكونُ مِنْ فوق طُولِ الوصلِ ناجَاكِ

ولو دعوتِ مشوقاً ماتَ فيك أسىً ... مِنْ تحت تُرْب أديمِ الصَّخر لبَّاكِ

يا مالكيَّة[3] عُذري في محبَّتِها ... موطَّأ، فعلامَ الغيرُ يَلْحاكِ

وشافِعيَّةَ حُسن قُلِّدت بِدِمَا ... عُشاقِها مَنْ بقتلِ الصَّبِّ أفتاكِ

سَرى خيالُكِ في جَفْنٍ يفيض بُكا ... سبحان مَنْ مِنْ[4] بحارِ الْيَمِّ نجَّاكِ

---

(١) في (أ): «هذا»، تحريف.

(٢) هذا البيت ساقط من (ط).

(٣) في (أ): «يا مالك»، خطأ.

(٤) «من» ساقطة من (ب).

وترجَمَ الوَجْدُ ذَرى الدَّمع منه فما ... أذراكَ يا سُحْبَ أجفاني وأدراكي

يَحْكِيْنيَ الخصرُ أو أحكيه في عدمٍ ... سُقماً فيا ليتَ شعري أيُّنا الحاكي

وأجتلي في صَفَا خدَّيْكِ دُرَّ مدًا ... معِي فيحسب طرفي طرفَك الباكي

واحرَّ قلباهُ مِنْ نارِ الخُدود ويا ... شوقاً لبرد رُضَابٍ مِنْ ثناياكِ

في فِيْك ماءُ حياةٍ لو بُعثْتِ به ... صِرفاً لأحييتِ يومَ البعثِ موتاكِ

وفي الشِّفاهِ شِفَاءٌ كم وَعَدْتِ به ... صبًّا وأخلفتِ حتَّى ملَّ ضُعفاكِ

فهات خدَّكِ كي نقضي وُعُودَ فتى ... إن رمتِ حُسْن وفاء منه أوفَاكِ

لا رمتُ عنكِ سُلوًّا يا مراشِفَها ... وكيفَ أنساكِ يا درِّي وأسْلاكِ

وإنْ تركتُ هوى دنيا وجنَّتِهَا ... عدمتُ دنياك يا روحي وأُخراكِ

ويا مليكةَ عصرِ الحُسْنِ لحظُك لي ... سَبَا وبالسَّيف في العُشَّاق ولاَّكِ

لك «النجاشيُّ» خالٌ والجفون حمتْ ... نُعمانَ خدٌّ بأزْرِ المُلْكِ حيَّاكِ

حُزتِ الخلافةَ لمَّا أن نَشَرْتِ لِوَا ... ءَ شَعرٍ ومنشورها بالسَّعد وافاكِ

وسرتُ في جيشك المنصور معتضداً ... مِنْ ناظَرَيْكِ بسفَّاحٍ وسفَّاكِ

ومُذْ سَريتُ بليلِ الشَّعر في غَسَق ... حمدتُ عند صباحِ الثَّغر مَسْراكِ

وجُلتُ بالطَّرف في بذْوٍ وفي حَضَرٍ ... فأكثرَ الله في الأحياء قتلاكِ

وكم شرطتِ بسيفِ اللَّحظِ قلبَ شجٍ ... بالحبِّ بعد أداة الشَّرط جازاكِ

فراقبي[1] اللّهَ في قتلِ العِبادِ ولا ... تُضْمِي الفُؤادَ فإنَّا مِنْ رعاياكِ

يا ليتَ سيفَ لحاظٍ منك قابَلَنا ... بالصَّفحِ أو قَلَّ عن أحشاء مُضناكِ

أو ليتَ عدلَ قوامٍ لم[2] يُمِلْهُ هوى ... للطَّعن بالشَّك في تجريحِ مرضاكِ

أو ليتَ أشراكَ صُدغٍ لم يَصِدْ كلفاً ... بحبَّة الخالِ أضحى بعضَ أشراك

---

(١) في (أ): «فراقب».

(٢) «لم» ساقطة من (أ).

أو ليتَ خضرَكَ لو أعدى برقَّتِه ... قلباً لأعْدَايَ قَدْ وَالى وأعداكِ

إن كنتِ أزمعتِ هجراً أو صددت قِلاً ... فموقف الحشر تلقانا ونلقاكِ

أو رمتِ يا نفسُ منها مخلصاً فإلى ... قاضي القُضاة ملاذِ الخَلْقِ ملجاكِ

حامِي الحقيقةِ كهفُ العلم حاملُ أعـ ... ـباء الشَّريعةِ مولانا ومولاكِ

وحافظُ العصر والإسلام مِنْ لدَدٍ ... خصم ومِنْ مُلحدٍ في الدِّين أفَّاكِ

أحكامُه وقضاياه منفَّذةٌ ... وعدلُه منصفُ المشكوُّ والشَّاكي

حُجّي لبيتِ نَداه الجمُّ واسْتَلِمي ... رُكناً يَطيبُ به في الحجِّ مسعاكِ

وقَبِّلي مِنْ ذُرى عليائه حجراً ... إلى مِنى عرفاتِ الفضلِ نَاداكِ

زوري حِماهُ وإن وافيتِ حضرتَه ... يا حبَّذا وجِنَانُ الخُلدِ مأواكِ

وخيِّمي بفنا وادي قُراهُ فكم ... تَبَرَّكَتْ بفنَا الوادي مطاياكِ

ولا تمُدِّي يدَ التَّسآل والْتَمِسي ... منه غنًى قبل أن تمتدَّ كفاكِ

إنْ رُمتِ منه نوالاً أو طلبْتِ رضاً ... حبَاكِ مِنْ فيضِ نَعماهُ وأرضاكِ

أو سُمْتِ أسنى مقامٍ تَرتَقين به ... إلى العُلا في سماء العزِّ رقَّاكِ

وإن شكوتِ ليُمْنَى راحتيه أذًى ... بُؤسٍ أزالَ بحمدِ الله شكواكِ

وإن حُرِمتِ زماناً مِنْ جَدَاهُ فقد ... أولاكِ أضعافَه فضلاً ووَالاكِ

وإنْ تعطَّشْتِ يوماً للرواية عن ... حديثِ بحرِ نداهُ الجمِّ روَّاكِ

وإن أردتِ علوماً تُحْمَدين بها ... شرعاً ويحسُنُ في الدَّارين مثواكِ

أعطاكِ من «فتح باريه» كُنوزَ هدًى ... تعمُّ كلَّ دمشقيٍّ وأنطاكِي

يا أيُّها العالمُ الحَبْر الهمام[1] ومَنْ ... له بأوجِ المعالي أيُّ إدراكِ

يا شيخَ الاسلام يا مَنْ طابَ عنصُره ... أصلاً وزانَ حُلاه فرعُه الزَّاكي

حلَّيتَ ثغرَ المعاني بارتشاف لمَى ... عروس أفراحِه مِنْ دُرِّ أسلاكِ

---

(١) في (أ): «الإمام»، وكذا كانت في (ح)، ثم عُدِّلت.

وكم فتحتَ لتلخيص البراعةِ مِنْ ... بابٍ، فأغنيت عَنْ «مفتاح» سَكَّاكي

بمنطقٍ وبراعاتٍ مطالعُها ... شمسيةٌ أشرقت مِنْ قطب أفلاكِ[1]

وبحرُ فقهِكَ ضاهته السَّما فغَدا ... يُحَفُّ كلٌّ بأفلاك وأملاكِ

لله دَرُّكَ ما أوفاك مِنْ عَضُدٍ ... عانٍ بجُلِّ أصول الفقه دَرَّاكِ

شادَ الذُّرى وبنى للمجدِ بيتَ عُلاً ... فلم يَدَعْ من مَعَالٍ قِيدَ مِذْماكِ

عَدُوُّه منه في أمنٍ وكم حذِرت ... أموالُه خوفَ إتلافٍ وإهلاكِ

يميلُ غصنُ النَّقا شوقاً لعطفِك يا ... أقلامَه ورماحُ الخطِّ تخشاكِ

سَلْسِلْ أحاديثَ بِشْرٍ عَنْ عطاهُ وعَنْ ... معرُوفه لابن بسَّامٍ وضحَّاكِ

إنْ أمسَك النِّيلُ يوماً عَنْ أصابعه ... فكفُّهُ بالعطايا غيرُ مسَّاكِ

يا نسمَةً ليَ أهدت في الثنا خبَراً ... يُعزَى لأنفاسه ما كان إذ ذاكِ

مِنْ حيِّ نعمانَ أم مِنْ عسقلانَ سرت ... أمْ مِنْ شذا نفحةِ «الفِردوسِ» رَيَّاكِ

ويا جواريَ جُودٍ مِنْ عوائده ... على البريَّةِ باسم الله مجراكِ

ويا براعة إنشاءٍ يُحبِّرُها ... يَراعُه جلَّ مَنْ باللُّطف أنشَاكِ

ويا فُروع أصولٍ منه دانيةٌ ... ظلالُها في البرايا طابَ مجناكِ

ويا موات عُلومٍ لو عُرِضتِ على ... أفكاره في نهار العرضِ أحياكِ

ويا أسانيدَ أخبارٍ بجوهرها ... ما كان أعلاك بل ما كان أغلاكِ

ويا دَرَارِي اضْمحلِّي بالشِّهاب، فقد ... مَحَا سَنَا ابنِ عليٍّ حُسنَ مرآكِ

ويا أمالِيَ مالي لا أهيمُ وقد ... طربتُ عند سماعي وصفَ مغْناكِ

رشفتُ كأسَ سُلافٍ مِنْ حلاك وما ... لثمتُ ثغرَ عَذولي حين سمَّاكِ

لا زال غيثُكِ سحَّاباً أيادِيَه ... وفيضُ يُمناك مقروناً بيُسراكِ

هَمَتْ أصابعُ نَيْلٍ منكِ منعِمة ... على الورى، فأدام الله نُعماكِ

---

(١) في (ب): «أملاك».

ولا برحتُ بأرزاقِ الورى دِيماً[1] تجري وفي كلِّ عامٍ لا عَدِمْنَاكِ

ومنه ما نقلته من خطه أيضاً:

ذاب المشوقُ أسًى ممَّا يقاسيه فراقبي الله يا شمسَ الضُّحى فيهِ
يا ربَّةَ الخَالِ يا ذاتَ الحِجَال ويا ربيبةَ القلب يا أقصى أمانيهِ
هلاَّ رعيتِ رَعاكِ اللَّهُ عهدَ فتى مُضنَى الفؤادِ قريحَ الجَفْنِ باكيهِ
يشكو إلى الله ما أضحى يكابدُه مِنَ الغرام وما أمسى يُلاقِيهِ
رُدِّي عليه مناماً كان يعهدُه لعلَّ طيفَ خيالٍ منك يأتيهِ
وعلِّلِيه بجيران النَّقا فعسى يشفي غليل فؤادي مِنْ تلظِّيهِ
قلبٌ تمزَّق مِنْ بُعد، فهل لكِ أن تُعاملِيه بتقريبٍ وترقيهِ
واهاً لمضطرِبِ الأحْشَا بجَمْرِ غَضاً لو أنَّ ماء دُموعِ العين يُطفيهِ
ما زال مِسعرُ قلبي مِنْ طريق أبي الزِّ ناد عَنْ واقديِّ الخدِّ يَرويهِ
وسَلْسَل الدمعُ أخبارَ الغرامِ، فقُل ما شئتَ في ابنِ معينٍ أو أماليهِ
صبٌّ تفقَّه في شرع الهوى فَغَدا إمامَ مذهب أهلِ الحُبِّ مُفتِيهِ
في كلِّ يومٍ له درس يطالعُه في صفحةِ الهجرِ بالذِّكرى ويُلقيهِ
ما بينَ أقوالِ عُذَّالِ تحذِّرُهُ مِنَ الغرام ووجدٍ فيك يُغْريهِ
تصرَّفَتْ فيه أيدي الحُسنِ واحتكمت فالجفنُ آمِرُه واللَّحظُ ناهِيهِ
وكم جرت بين وصفيه مناظَرَةٌ فالحبُّ يُثبته والسُّقْمُ يَنْفيهِ
وكاتبُ الدَّمع يُنشي فوقَ وَجْنَته رسائلَ الوَجْدِ والأشجانُ تُمليهِ
يا ظاعنين وقد أبلى الهوى جسدي والشوقُ يلعب بالمُضنَى ويَبريهِ
عُوجوا على مُستهامِ القلبِ ذي شجنٍ يُطيعُه السُّهدُ والسُّلوان يعصيهِ
وراقبوا اللّهَ في هُجران مكتئبٍ في عُنفوان الصِّبا شابت نواصيهِ

(١) «ديماً» ساقطة من (ب).

لا تسألوا في الهوى عَنْ فيضِ مَدمَعِه ... فما جرى منه يومَ البَيْنِ يَكفيهِ

أودعتمو سمْعَه[1] دُرَّ الحديث وقد ... بِنْتُم، ففاض عقيقاً مِنْ مآقِيهِ

أقولُ والقلبُ قد أشْفَى على تلفٍ ... ظُلماً وقد كُتِبَتْ فيه فَتَاوِيهِ

يا حاكمَ الحُب رفقاً بالفؤاد وسَلْ ... مِنْ مَدْمعي وخُذِ الْمَا مِنْ مجاريهِ

ما بالُ مَنْ لم أُنَوِّهْ بالسُّلُوِّ لها ... تَرومُ قتلي بإظهارٍ وتنويهِ

وما لظبيةِ أُنسي وهي نافرةٌ ... ترعى حُشاشَة قلبٍ لا تُراعِيهِ

في لمحة الطَّرف تَرمي قلبَ عاشِقها ... عَنْ قوس حاجبها عمداً فَتَسْبيهِ

ما جردتْ سيفَ سحر مِنْ لواحظها ... إلا تذكَّرَ عهداً مِنْ مواضيهِ

ولا ثَنَتْ في رداء[2] الشَّعر قامتها ... إلا حسِبْنا النَّقا عادت لياليهِ

يا والهاً بتَوالي العَذْل عنَّفني ... فيها، فأضنى فؤادي في تواليهِ

شوَّهتَ نطقَكَ إذ برَّحت بي، فلَكَمْ ... تَقلَّى حشاي بتبريحٍ وتشويهِ

إن أوْرَثَ الجفنُ جسمي في محبتها ... سُقماً، فما لبيانِ الثَّغر يَشفيهِ

أو ضلَّ في ليل شَعرٍ[3] مِنْ ذوائبِها ... فهديُ قاضي قُضاة العصر يَهديهِ

العالمُ العاملُ الحَبْر الإمام ومَنْ ... جاز النِّهايةَ علماً في مباديهِ

حامي الكتيبة ميمون النَّقيبة محمـ ... ـود الضَّريبة فرد في معاليهِ

شهاب علمٍ رَقَى أوْجَ العُلا فجَلاَ ... غياهِبَ الشَّكِّ وانجابت دياجيهِ

حليفُ مجدٍ عليُّ الجَدِّ خِدنُ ندًى ... مكرَّمُ الأصل زاكي الفرعِ نامِيهِ

أغَرُّ وضاحُ وجهٍ نورُ غُرَّتِه ... مقدمٌ وضياءُ البدرِ تاليهِ

ذُو منطقٍ ببديعِ القولِ مكتمل ... يُريك كلَّ بيان في معانيهِ

تجانست فيه أوصافٌ مطابقةٌ ... فالعلمُ يرفعُه والحِلْمُ يُدنيهِ

---

(١) في (أ): «سهمه»، تحريف.

(٢) في (أ): «ولا ثبت في دُرى»، تحريف.

(٣) في (أ): «شعري».

مهذَّبٌ روضُهُ التَّحقيقُ بحرُ ندًى ... بسيطُ علمٍ وجيزُ اللَّفظِ حاويهِ
تتمَّةُ الفضلِ في منهاج عُدَّتِه ... إبانةٌ أعربت عَنْ حسن تنبيهِ
برٌّ جوادٌ كَبَتْ عنه الفحولُ فما ... في حَلْبَةِ السَّبق أصلاً مَنْ يُجاريهِ
ماضي الشَّكيمة لا يَثْنَي أعِنَّتَه ... جاهٌ ولا عَنْ طريقِ الحقِّ يَلويهِ
بل كلُّ ما يُسخِطُ الرَّحمنَ يُسخِطُه ... حتماً، وما كان يرضي اللَّهَ يُرضيهِ
وما تَردَّد فيه قال: إن يَكُ مِنْ ... عند الإله حقيقاً، فهو يُمضيهِ
كم أمَّ ركبَ حِمَى علياهُ فانْبَعثت ... له بَواديه إذ حلت بِوَادِيهِ
وشاسع الدار[1] قد شطَّ المزار به ... أضحى رجاه يناديه بناديهِ
يا كعبةَ الفضلِ يا مَنْ لم أزل أبداً ... أسعى إليه وأشواقي تلبِّيهِ
ومَنْ تجرَّد فيه قصدُ طالبه ... فالعزمُ قائدُه والحزمُ حاديهِ
في منحناه ضُلُوعي حرُّ نارِ غَضاً ... بالبَيْن في جمرات القلبِ يَرميهِ
لا تخشَ بيتَ فُؤادٍ أنتَ مالكُه ... ضيماً فللبيت ربٌّ سوف يَحميهِ
وما خلا عنك قلبٌ أنتَ ساكنُه ... و«صاحبُ البيت أدرى بالَّذي فيهِ»
ما شرَّفَ الله مِنْ بيت النُّهى حَجراً ... إلا لسِرٍّ قديمٍ مُودَعٍ فيهِ
إذ أنبعَ الله عيناً منه فانبجست ... على مواتِ رُسُومِ العلمِ تُحييهِ
ففيَّأ الخلقَ ظلاً مِنْ مَراحِمِه ... وطبَّقَ الأرضَ علما مِنْ فتاويهِ
بحرٌ رأينا الوفَا مِنْ راحتَيْه فما ... أصابعُ النِّيل إن جادت أياديهِ
إنْ يُحمَدُ البحرُ إذ يروي البقاعَ فحبـ ... ـرُ العلمِ أحمدُ كَمْ أمسى يُروِّيهِ
والبحر تروى خَلاَ فيه الرِّعاء وذا ... عَذْبُ النَّمير بكفيه حَلاَ فِيهِ
علا مَحلاً وإسناداً[2] وتسميةً ... ومَخْتِداً ليس فيها مِنْ يدانيهِ

---

(١) في (ب): «وسامع الدر»، تحريف.
(٢) في (أ): «أسماعاً».

فانهضْ إليه وحدِّث عنه واسمُ به ... وغالِ فيه تَنَلْ أقصى عواليهِ
وانبذ «أماليَ» قالٍ بالعراق وخُذْ ... عَنْ عسقلانيِّ مصر في «أماليهِ»
حِماه أفقٌ لعلياه وحضرتُه ... روضٌ يَفِيضُ ندى كفَّيْهِ يسقيهِ
جرى على الطِّرْسِ مِنْ رَيْحانِه قلمٌ ... زاهٍ رقيقُ الحواشي جلَّ منشيهِ
إذا انبرى لمباراة الغيوث ندى ... فالكوثر العَذْبُ جوداً لا يباريهِ
كم مِنْ علومٍ حبانا الله منه وكم ... رِزْقٍ على يده الخَلاَّقُ يُجريهِ
لا تخشَ قطُّ نفاداً فهو يُمْدَدُ مِنْ ... غيبٍ وإنفاقُه مِنْ «فتحِ باريهِ»
يا شيخَ الاسلام يا رُوحَ الأنام ومَن ... دُرُّ النِّظام تَحلَّى باسمه فِيهِ
جاريتُ في وصف علياك الفُحُولَ إذا ... ما راحَ ذِكْرُكَ في سِرِّي أناجيهِ
إذا أشاهد مغناكم فأودِعُ ما ... منكم أعايِنُه فيما أعانيهِ
مِنْ كلِّ بيت إذا ما رحتُ أنشِدُه ... مَنْ ذا يوازنه مَنْ ذا يُوازيهِ
شنَّفْتُ بالدُّرِّ[1] أسماعَ القريضِ ولا ... سيَّما إذا رُحْتُ عَنْ علياكَ أرْوِيهِ
وكلَّما صُغْتُ معنى في البديع فمِنْ ... بسيطِ بحرِ نَداك الجمِّ أمليهِ
كم شاعرٍ بالمعاني لا شُعورَ له ... أعيت قَوافيه إذ خان القُوى فيهِ
أضحى يزَخْرِفُ أقوالاً مزيَّفةً ... لبَهْرجِ النَّقدِ فيها أيُّ تَمويهِ
وكم أديبٍ له في النَّظمِ توريَةٌ ... عنها تَوارى وما أجدى[2] تَواريهِ
رامَ التَّشبُّه في توجيه ذاك ولم ... يشعُرْ بإبداعِ تشبيهٍ وتوجيهِ
لا زلتَ في دُوَلِ الإسلام محتكماً ... بسيفِ شرعٍ صقيلِ الحدِّ ماضيهِ
ولا برحتَ شهابَ العلم يَقْدُمُهُ ... بدرُ السَّعادة في أعلا مراقيهِ
الله يكلؤه، الله يحرسه ... الله يحفظه، الله يُبقيهِ

---

(١) في (ط): «بالرد»، تحريف.

(٢) في (أ): «أجرى»، تحريف.

ومنه ما كتبه النواجي يهنئه ببعض الأعياد قوله:

ليَهْنَ بك العيدُ الذي تم سعدُهُ ... ونال بكم يا شيخَ الاسلامِ إسْعَادَهْ
وعوَّدتنا فيه الضَّحايا فأجْزِنَا ... بفيضِ نَداكَ الجمِّ منك على العَادَهْ

وقوله:

لئن طوَّلتَ في الإحسان جدًّا ... فقد طابقتُ إذ قصَّرتُ مدحَا
وأصبح معلناً لك بالتَّهاني ... لسانُ العَبْدِ في فِطْرٍ وأضحى

[ابن المصري]

ومنهم: [أحد مَنْ كتب إليَّ بالإجازة][1] الشيخ شمس الدين محمد بن الخضر ابن المصري، كما سيأتي في الأسئلة المنظومة مِنَ الباب السادس.

وكذا قاضي صفَد محمد بن عبد الرحمن.

ورأيت لابن المصري أسئلة نثرية صدَّرها بقوله:

يا طالباً علم الحديث وسالكاً ... طُرُقَ الهُدى بتتبُّع الآثارِ
إن رُمتَ كشفَ غوامضٍ فيه أتت ... مرَّتْ عليها بُرْهةُ الأعصارِ
إلزمْ إماماً حافظاً لمتونه ... وفنونه ورجاله الأخيارِ
قاضي القُضاة وعالمَ العصر الذي ... فاقَ الأنامَ بفضله المِدْرارِ
تلقى إليه جميعَ ما فيه الهدى ... مِنْ سُنَّةِ الهادي النبي المختارِ

ثمَّ ذكر أسئلته.

[شمس الدين الطنتدائي]

ومنهم: الشيخ شمس الدين محمد بن زين بن محمد بن زين [بن

---

(١) ما بين حاصرتين لم يرد في (ب) وأضافها المصنف في هامش (ح).

محمد بن زين][1] الطَّنتدائي الأصل، ثم النِّحريري الشافعي المقرىء الأصمّ، الشاعر المشهور بمديح النبي ﷺ، وصاحب الأحوال والكرامات.

مدحه بقصيدة[2] سماها «نظم الدرر في مدح ملك العلماء ابن حجر» وهي:

إذا كان خصمي في المحبَّة حَاكِمي[3] ... فمَنْ ذا له أشكو وجوه[4] مظالِمي

وما حالُ مَنْ يشكو أذاهُ لخصمه ... ولا سيما خصمٌ يُرى غيرَ راحِمِ

وكم واحد آذاهُ في الحُكْمِ حاكمٌ ... وألزمه ما لم يَجِدْه بلازمِ

وإنِّي لمظلومٌ ولم ألْقَ حاكماً ... يخلِّصني مِنْ ظلمِ مَنْ هو ظالِمي

بأبوابِ أهلِ الظُّلم أصبحتُ قائماً ... ومِنْ طُولِ ما قد قمتُ كلَّت قوائمي

وما نلتُ شيئاً غيرَ إتعابِ مُهجَةٍ ... وموجود وجد[5] وانتكادِ ملازمِ

ولو أنني ألقى مِنَ النَّاس واحداً ... يساعدُني في الخيرِ عزَّت عزائمي

فلم ألقَ إلا شامتاً بمصيبةٍ ... ومَنْ وعدُه أضغاثُ أحلامِ نائمِ

به إن خبأتُ السِّرَّ مستودِعاً له ... وقلتُ له: اكتُمْ، لم أجِدْه بكاتِمِ

بليس فلا توقع صلاحاً على امرىءٍ ... ولو أنَّه يدعى دواماً بصائمِ

وكم مِنْ ذئابٍ بالثِّيابِ تستَّرت ... وكم مِنْ أفاعٍ سُتِّرَتْ بالعمائمِ

وما نهسة الأفعاءِ إلا عظيمةٌ ... وما جلدُها في اللَّمس إلا بناعِمِ

---

(١) ما بين حاصرتين لم يرد في (ب).

(٢) قال المصنف في ترجمته من الضوء اللامع ٧/٢٤٦: وامتدح شيخنا بما أوردته في «الجواهر».
قال: ولا يتحامى الألفاظ المطروقة على ألسنة العامّة، بل ربما وقع في شعره اللَّحن.
قلت: وقد وقع شيء منه في هذه القصيدة.

(٣) في (أ): «حاكم».

(٤) في (ب): «وجود».

(٥) في (أ): «وجه».

ينادي قُبَيْلَ النوم: [1] هَلْ مِنْ مُصاحب ... على طاعةٍ واليوم هل من مخاصِم
وكم مِنْ طباعٍ[2] في الرجال رديَّةٍ ... مشبَّهةٍ فيهم بما في البهائم
على عُزلةٍ إن كنت تقدِرُ فاعتزل ... وليس عليك العَتْبُ مِنْ لَوْمِ لائم
وهل نظرَتْ عيناك مَنْ عاشرَ الورى ... وفي عِشْرَةٍ منهم[3] تراه بسالم
يجرُّك مَنْ تعني صحابتُه إلى ... هوى نفسه جرًا لفعلِ المحارم
وإن لم توافقه على قُبح فِعْلِه ... يَرى فيك وقَّاعاً بشَينِ المشاتِم
فلا خير يوماً في صَحابَةِ أزْعَنٍ ... يَرى أنَّه في الإثم ليس بآثِم
وليس لذي عقل يصاحب واحداً ... تراه يَرى استحلالَ فعلِ المآثم
فإن كنت معذوراً لصحبة واحدٍ ... فسل عَنْ تقيٍّ صادقِ القولِ عالِم
فصاحبُ أهلِ العلمِ خيرُ مصاحبٍ ... وخادمُهم لا شكَّ أفضلُ خادم
وإنَّ اقتناء العلمِ أحسنُ للفتى ... مِنَ الذَّهب التِّبْريِّ وكنزِ الدَّراهم
وأعلمُ أهلِ العلمِ في عصرنا الذي ... بمصر ترى قاضي قضاةٍ صوارم
ألاَ إنَّه المبرور في العصر بالذَّكا ... وليس له فيه يُرى مِنْ مزاحم
وأعني شهابَ الدين وهو بنسبةٍ ... إلى حجرٍ أبهى صنوف كرائم
فليس له في العصرِ يوماً بمشبهٍ ... وليس له فيه يُرى مِنْ مقاوم
ألا إنه قاضي القُضاة وإنَّه ... لأهلٌ لها إذ كان أعلمَ عالِم
عنايةُ ربِّ المُلْكِ قد حصلَتْ له ... وصارَ له فيها وجودُ التَّداوُم
فأصبحَ يُدعى بالعناية صارماً ... وما هو إلا خير مُدْعَى[4] بصارم
تمكَّن في علمٍ وفهمٍ وفِطْنَةٍ ... وعزمٍ وحزمٍ واعتبارٍ ملازم

---

(١) في (أ): «اليوم».
(٢) في (أ): «ضباع»، تحريف.
(٣) في (أ): «منه».
(٤) كذا في الأصول، والصواب «مدعو».

فلا تَقِسَنْهُ في الزَّمان بغيره ... فليس له فيه[1] يُرى مِنْ مُساوِمِ
له خيرُ منهاجٍ يُعدُّ محرَّراً ... ومفهومه تنبيه مُدعَى بنائِمِ
فما هو إلا روضةٌ طابَ فيؤُها ... لها خيرُ ثغرٍ مستدامٍ بباسمِ
وأحيا عُلومَ الدِّين في عصره وقد ... بدا شاملاً بحراً لمُدعَى بعائمِ
وما هو إلا خيرُ تالٍ وقارىء ... وللنَّثرِ والأشعارِ أنظَمُ ناظمِ
وألفاظُه في الدَّرسِ درٌّ منظَّمٌ ... تفوق بتزيينٍ سوارَ المعاصمِ
له أسند التصريف في كلِّ كائنٍ ... ولم يَكُ محتاجاً لفعلِ الجوازمِ
ويعطي دواماً مَنْ أتاه بسائلٍ ... وأصبحَ مشهوراً بفعلِ المكارمِ
ألا إنَّه في العلمِ أعلمُ عالمٍ ... ألا إنَّه في الحُكم أحكمُ حاكمِ
ونال مِنَ الخلاَّق خيرَ فِراسةٍ ... تميَّز بها في حصادٍ[2] وقائمِ
يقدم في النِّياب مَنْ صحَّ دينُه ... ولم يخْشَ في التَّقديم لومةَ لائمِ
ومنه أتانا خيرُ قاضٍ وحاكمٍ ... نقيٌّ تقيٌّ صارم خير صارمِ
فبان به للبحر ثَرَّة فرحةٍ ... وحلَّ سرورٌ مِنْ زوالِ المظالمِ
رأينا له في الحكم أحسنَ سيرةٍ ... ورفق ومفهوم وخير ملازمِ
أبوه وليُّ الله قاضي محلِّه ... موفَّقُ دينِ الله كنزُ المغانِمِ
على نجله بالدين قد أثبت الورى ... فحلَّ بإقدامٍ صلاح تقادمِ
ونحنُ مِنَ الخلاَّق نرجو بقاءه ... ونطلبُ هذا مِنْ كريمٍ وراحمِ
ألا يا شهابَ الدِّين قاضي قُضاتِنا ... ومَنْ شيّعَ في الدُّنيا بخيرِ التقادمِ
أدمه لنا[3] واغنم دعاءَ لصالحٍ ... فإنَّ دُعا الصُّلاَّحِ خيرُ المغانمِ

---

(١) «فيه» ساقطة من (ب).

(٢) كذا في الأصول، وصوابه «حصيد».

(٣) في الأصول: «أدمه بنا».

فـواللهِ لا تُـبْـدِلُـهُ عـنـا بـغـيـره[1] ولـلأجـرِ حـاشـا أن تُـعَـدَّ بـعـادمِ
كـفـاكَ إلَـهُ الـمـلـكِ شـرَّ شـمـاتـةٍ وأُعـطـيـتَ نـصـراً فـي قـعـودٍ وقـائـمِ
ونـخـتِـمُـهـا بـالـمـدح فـي خـيـرِ مُـرْسَـلٍ مـحـمَّـدِ الـمـخـتـارِ مِـنْ نـسـلِ هـاشـمِ
هـو الـسَّـيـدُ الْـمُـدْعَـى[2] بـنـورٍ ورحـمـةٍ وأكـرَمُ مـبـعـوثٍ بـوحـي وخـاتـمِ
وسـيـلـةُ نـوحٍ والـخـلـيـلِ ويـونُـسٍ ومـوسـى وعـيـسـى والـكـرامِ لآدمِ
عـلـيـه صـلاةُ الله مـا طـار طـائـرٌ ومُـيُـزٌ[3] يـدعـى فـي الـمـطـارِ بـحـائـمِ

[قطب الدين المكي]

ومنهم: القطب أبو الخير محمد بن عبد القوي المكي، شاعرُها.

فقال لمَّا أعيدَ صاحبُ الترجمة إلى القضاء في سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة ممَّا كتب به إليه، وقد أجازني، وكتبها عنه صاحبُنا النجم بن فهد الهاشمي:

أقاضي قُضاةِ المسلمين ومَنْ غَدتْ مـحـاسـنُـه لـلـمـكـرُمـاتِ نـظـامَـا
لقد سرّني عَودُ الضَّميرِ ولم أزَلْ أُسـرُّ لـكـم بـالـصَّـالـحـات دوامَـا
وإني لـمـطـبـوعٌ عـلـى الـوُدِّ مـخـلـصٌ لـكُـمْ بـولائـي بـدأةً وخِـتَـامَـا
فَـدُمْ لـلـهـدى بـيْـتـاً يُـؤَمُّ ورُحْـلـةً لـطـلابِ عـلـم قـاصـدوك نـهـامـا
يُـرَجُّـون إنـضـاء الـمـطـيِّ لـيُـطْـفِـؤوا بـبَـرْدِ تـلـقِّـي الـعـلـمِ عـنـك أوَامَـا
تـمـنَّـى عِـنـانُ الأعـوجـيِّ لِـمَـا رأى مِـنَ الـعـزِّ فـيـهـم أن يـكـون خِـطَـامَـا
وسُـدْ وابـقَ مـا أهـدى الـمـشـوقُ تـحـيـةً تـضـوَّعَ مـسـكـاً نـشـرُهـا وسـلامَـا

---

(١) في (ط): «لغيره».

(٢) كذا، الأصول، وصوابه «المدعو».

(٣) في (أ): «ومنه»، تحريف.

وقد مضى في هذا الباب[1] قوله فيه:

أستصغِرُ النَّاسَ عند رؤيته ... لأنَّه لم يَرَى له مَثَلا

[شمس الدين الهيثمي]

ومنهم: الشمس أبو عبد الكريم محمد بن علي [بن محمد][2] بن عبد الكريم الهيثمي، كما سيأتي في الألغاز، [بل وفي الباب الرابع ذكرت بيتاً مِنْ مقطوعٍ عمله عقب عودِ صاحب الترجمة لوظيفته بالمؤيَّدية][3]، وكذا مدحه بعدَّة قطع، أظفر ببعضها إن شاء الله تعالى. وعمل صداقاً لإحدى بناته في أرجوزة أحببتُ إيرادها هنا.

أخبرني كريم الدين أبو محمد عبد الكريم بن محمد بن علي بن عبد الكريم الهيثمي قال: ناولني والدي صداقاً منظوماً، عمله لابنة شيخ الإسلام حين تزوّجها الشهابُ ابن مكنون[4]. سمعته من والدي كله أو معظمه[5].

قلت: وصورته

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

الحمد لله الذي أولى البُشَرْ ... مَنْ كان عنه راضياً مِنَ البَشَرْ

فاتحِ أبواب الرِّضا لأحمدَا ... مانحِ أسبابِ الهُدى لِمَنْ هدَى

سبحانه مِنْ ملكٍ قد أطلعَا ... في فَلَكِ السَّعْدِ شهاباً سطَعا

---

(١) ص ٣٢٨.

(٢) ما بين حاصرتين ساقط من (أ). وانظر ترجمته في الضوء اللامع ٩/ ١٧.

(٣) ما بين حاصرتين لم يرد في (ب).

(٤) في (أ): «مكتوم»، تحريف.

(٥) في (أ): «بعضه».

أخرجه مِنْ جوهرٍ مكنونِ ... ذا نسبٍ مرتفعٍ ميمونِ[1]

وزانه بالعلم والإفتاءِ ... وحفَّه باللُّطف في القضاءِ

وخصَّه في القول بالتَّسديدِ ... وفي أُمورِ الشرعِ بالتَّشديدِ

فأصبح الثَّغرُ به مبتسماً ... ومدحُ شَمْلِه به قد نُظِمَا

وكل ناظرٍ به قد ابتهجْ ... ويفتدي نَدَى الشُّهودِ بالمُهَجْ

ورأيه السَّعيدُ ساقه إلى ... بيتِ أثيلِ المجدِ فخرُه عَلاَ

أكرِمْ به بيتاً شديداً ركنُهُ ... وقد أقيمَ في النِّظام وزنُهُ

نداهُ كم أحيا لأرضٍ مَيْتِ ... لمجده يُنظم ألفُ بيْتِ

كم[2] من محبٍّ صادقٍ له انتمَى[3] ... فصار بين النَّاس في الأرض سمَا

وكيف لا يَعظُمُ قدرُ ذكرِهِ ... وقد حوى أستاذَ أهلِ عصرِه

فالله يُحيي مجلسَ الشِّهابِ ... ولم يزل مرتفع الجَنَابِ

أحمدُه ما خُطِبَتْ عَرُوسُ ... حمداً به تمتَلِئُ الطُّروسُ

مصلِّياً على النبيِّ الهادي ... إلى الرَّشادِ أشرفِ العبادِ

خيرِ الورى النَّاطق بالصوابِ ... بقوله «يا معشر الشَّبابِ»

صلى عليه الله كل ساعهْ ... مِنْ يومنا هذا ليوم الساعهْ

وآله وصحبِه الكرامِ ... والخلفاء السادةِ الأعلامِ

ما نُظمت قلائدُ الأفراحِ ... أرجوزة في عُقدة النكاحِ

وما انقضت أنكحةُ الوجودِ ... بالمهرِ والوَليِّ والشُّهودِ

وبعد، فالنِّكاحُ جاء الأمْرُ بهْ ... في محكمِ الذكر الحكيم فانْتَبهْ

وفعلُه حثَّ عليه المصطفَى ... لمستطيعٍ لا يرى تكلُّفا

---

(١) هذا البيت ساقط من (ب).

(٢) في (ب، ط): وكم.

(٣) في (ط): «انتهى».

قال ومنا قصدُه التَّناسلُ ... مباهياً: «تناكَحُوا تناسلُوا»
هذا ولمَّا كان ذو الإنصافِ ... أقضى القضاةِ السَّيدُ المَنَافِ
العالميُّ الفاضليُّ الأوحدُ ... الحاكمُ المؤيَّدُ المسدَّدُ
الكاملُ المعظَّمُ الإمامُ ... ومَنْ له بالعلما إلمامُ
حاوي صفاتِ الفضلِ والإفضالِ ... والكوكبِ الدُّريِّ في الجمالِ
مهذبُ القولِ النَّبيهُ المنصفُ ... وفي المهمات له تصرُّفُ
خلاصةُ الدَّهر البسيط علمُهُ ... نهايةُ القصد الوجيزُ نظمُهُ
شاملُ أهلِ الفقرِ بالإنعامِ ... وبحرُ أهلِ الجُودِ في الإكرامِ
أقسمُ بالله العظيم البَرِّ ... بأنه زينُ قضاةِ العصرِ
سيدنا القاضي شهابُ الدينِ ... ذو الفضل والتَّحقيق والتَّمكينِ
في الحكم والفتوى أبو العباسِ ... العالمُ المقصودُ بينَ النَّاسِ
أحمدُ مَنْ يُرجى لنيلِ المطلبِ ... مَنْ أمَّهُ في مقصِدٍ لم يخِبِ
ابنُ الإمامِ الفاضلِ الفقيهِ ... البارعِ المحصِّلِ الوجيهِ
العالمِ المرحومِ شمس الدِّينِ ... محمَّد ابن المرتضى مكنون
الشافعي في الورى مذهبُهُ ... بلَّغه الرَّحمنُ ما يطلبُهُ
وزاده في أهله والولدِ ... مَسَرَّةً في يومه وفي غدِ
مِنْ مقتفي آثارِ خيرِ الرُّسُلِ ... وسالكي طريقةِ المزمّلِ
ورام تزويجاً به يستَتِرُ ... يظهر منه نسلُه المطهرُ
لعل أن يَشْرُفَ طولَ الأبدِ ... بقربه مِنَ الجَنابِ الأحمدِ
سَعى إلى كعبة أهلِ الحرمِ ... وطافَ حولَ بيتِه المحترمِ
ثم أتى رُكْنَ الإمامِ الفَرْدِ ... ومَنْ مقامُه عظيمُ المجْدِ
خيرِ الورى حافظِ أهل العصرِ ... بحرِ النَّدى البَرِّ كثيرِ البِرِّ
شيخِ شيوخ السَّادة الصُّوفيَّة ... وناظر الخَانِقَةِ الرُّكْنِيَّهْ

عمدة أهل مصرِه[1] والشَّامِ ... في كلِّ علمٍ رُحلَةُ الأنامِ
محط رَحلِ طالبي العُلومِ ... وجامع المنثورِ والمنظومِ
كم شرحتْ شُروحه[2] صدوراً ... وأظهرت لغيرها مستُورَا
بها انْجَلَى عَنِ البُخاري المبهمُ ... وفضله ما شَكَّ فيه مسلمُ
في كلِّ علمٍ ماهرٌ مفنَّنُ ... ولاختلافِ العلماء مُتقِنُ
أقَرَّ أهلُ العلمِ والعرفانِ ... بأنَّه أعجوبةُ الزَّمانِ
كم نُسِبَتْ له علومٌ شَتَّى ... وكم بمصرَ والحجازِ أفتَى
وكم له مِنْ مُلَحٍ مستحسَنهْ ... ومِنْ تصانيفَ غدتْ مدوَّنَهْ
ما جاءه مُعارضٌ مِنْ جهلهِ ... إلا وعاد شاكراً مِنْ فضلِه
يُتْقِنُ ما يلقيه مِنْ دُروسِ ... برتبةٍ تعظُمُ في النُّفوسِ
إن درَّس التَّفسير فهو آيهْ ... والفقه منه تسمعُ الكِفَايهْ
وفي حديثِ المصطفى عجيبُ ... يُسْمَعُ منه الحَسَنُ الغريبُ
وفي الأصول كم له قياسُ ... حقيقةٌ وما له قياسُ
والنَّحو لو عاصره الخليلُ ... كان بما يقولُه يقولُ
وفي المعاني والبيان أُمَّهْ ... كم طالبٍ للأخذِ عنه[3] أمَّهْ
وفي التَّصادير وفي الخَطَابهْ ... وفي الفتاوى كم له غَرابهْ
والنَّظمُ والنثرُ لديه فضلَهْ ... ولم يكن ينكر شخصٌ فضلَهْ
فريدُ عصره شهابُ الدِّينِ ... أُعيذه بالتِّين والزَّيتونِ
راوي الأحاديثِ أبي العباس ... أحمد مَنْ يُرجى لكشف البَاسِ

---

(١) في (أ): «عصر».

(٢) في (ب): «صدوره».

(٣) «عنه» ساقطة من (ب).

ابن الإمامِ العالمِ الحَبْر عَلي ... لا زال في الجنَّات في قصرٍ علي
الحجةُ المحدِّث الكناني ... العسقلانيُّ بلا بهتانِ
مقلد المُطَّلِبي الشَّافعي ... ناقل أقوال الإمام الرافعِي
فالله يبقيه لنفعِ الطَّلَبَهْ ... الله يعطيه الذي قد طلبَهْ
معتنياً وخَطَبَ المصُونهْ ... ابنتَه الجوهرةَ المكنونهْ
الدُّرَّةَ النَّضيدَةَ الفَريدَهْ ... الغُرَّةَ السَّيِّدَةَ السَّعيدهْ
مَنْ حازتِ الفَخَارَ مِنْ أُمٍّ وأبْ ... ومَنْ لها في المجدِ أصلٌ ونسبْ
ومَنْ غدت لكلِّ حُسْنٍ جامعهْ ... زيَّنها الله بتقوى «رابعهْ»
لعلمِه بأنَّها منتخبَهْ ... قد ظهرت مِنْ عنصرٍ ما أطيبَهْ
وكيف لا وهي بلا امتناعِ ... كريمةِ الجدَّين بالإجماعِ
الله يُحييها ويصطفيها ... وللذي يُرضيه يرتضيها
الله يُعطيها سعادة الأبَدْ ... بالعزِّ والتَّوفيق والعيش الرَّغدْ
فخُوطِبَ الخاطبُ بالقَبُولِ ... في قصده وشرطِه المقبُولِ
ونالَ بالقبول فيما قصدا ... جلالةً ورِفعَةً وسؤدُدَا
وكيف لا يسودُ طولَ الدَّهرِ ... بوصلة يسمو بها وصِهْرِ
وصار منشداً لسانُ الحال: ... هُنِّيتُمُو بالسَّعدِ والإقبالِ
مِنْ حُسْنِ هذا النَّظمِ والقرينهْ ... جاء ابنُ مكنونٍ إلى مكنونهْ
ثم رقى لمنبرِ الطِّرس القلَمْ ... وقال باسم الله بارىء النَّسَمْ
القادرِ المقتدرِ الرَّحمنِ ... الغافرِ الرَّحيم بالإنسانِ
هذا كتابٌ نظمُه ما أحسَنَهْ ... مضمونُه أرجوزةٌ مستحسَنَهْ
وجُلُّ ما تضمنت أن أصدقا ... مَنْ لسماء العزِّ والمجد ارتقى
سيدُنا القاضي شهابُ الدِّينِ ... ومَنْ حوى الفَخَارَ عَنْ يقينِ
وهو أبو العباس حقاً أحمدُ ... وابنُ الذي سَمِيُّه محمَّدُ

لـقَـبُـه الـمـعـهـودُ شـمـسُ الـدِّيـنِ ... ابـن أبـي الـيُـسْـرِ الـرَّضـي مـكـنـونِ
الـسـابـق الـذكـر الـذي تـقـدَّمـت ... أوصافُه الحسنى التي قد نُظِّمتْ
لا زال مـــا أراده مـــيـــسَّـــرَا ... وبـــالـــذي يـــسُـــرُّه مـــبـــشَّـــرا
سـيـدة الأبـكـار مـخـطـوبـتُـهُ ... «رابـعـةُ» الـتـي غـدت مُـنْـيَـتُـهُ
الـبـكـرُ بـنـتُ حـافـظِ الآفـاق ... بـقـولِ أهـلِ مـصـرَ والـعـراقِ
مـفـتـي الـفـريـقـيـن شـهـابِ الـدِّيـنِ ... ذُخْـرِ الـفـقـيـرِ مـلـجـأ الـمـسـكـيـنِ
عـلامـةِ الـدهـر أبـي[1] الـعـبـاس ... أحـمـدَ راوي قـولِ خـيـرِ الـنَّـاس
ابـن الإمـام الـعـالـمـي الـنُّـوري ... أبي الحسين[2] السابق المذكورِ
عـلـيّ الـمـفَـنَّـن الـكِـنَـانـي ... الـطَّـيِّـب الـذِّكـرِ الـعـظـيـمِ الـشَّـان
الـعـسـقـلانـيُّ الـذي قـد اشـتـهـرْ ... سـيِّـدُنـا والـدُه بـابـنِ حـجـرْ
كـفـاه ربُّـه حـوادِثَ الـزَّمـنْ ... وسـرَّه فـي كـلِّ سـرٍّ وعـلَـنْ
مِـنْ مـالـه مـهـراً لـهـا صَـداقَـا ... بـقـدرهـا الـعَـالـي الـرَّفـيـع لاقَـا
جـمـلـتُـه الـتـي بـهـا يـبـيـنُ ... مـقـدارُه الـمـحـرَّرُ الـمـوزونُ
خـمـس مِـئِـين مِـنْ مثاقيل الذَّهبْ ... الـطَّـيـبِ الـعـينِ الـعـزيـزِ الـمـنـتَـخَـبْ
خـالـصـةً مِـنَ الـنـقـود الـهَـرْجَـهْ ... ونِـحـلـة لـهـذه الـمـزوَّجـهْ
مـخـتـومـة تـفـتـخـرُ الأكـيـاسُ ... بـها[3] وباكتسابها يسودُ[4] الناسُ
بـهـا مـعـامـلاتُ مـصـرَ يـومـئِـذْ ... وهـي بـهـا أعـزُّ نـقـدٍ حـيـنَـئِـذْ
مـنـهـا ثـلـثـمـائـة تُـعَـجَّـلُ ... ومـا سـواهـا حـكـمُـه مُـؤجَّـلُ

---

(١) في (أ): «أبو»، وفي (ط) «أبا»، والمثبت من (ب، ح)، وهو الصواب، لأنه معطوف على «حافظ» المتقدم قبل بيتين.

(٢) في (ب): «الحسن».

(٣) «بها» ساقطة من (أ).

(٤) في (ط): «سيد»، خطأ.

وأخبر الوالدُ أنّه وصَلْ ... له مِنَ المُصدِقِ لمَّا أنْ وصَلْ
من المعجَّلِ الذي قدِ اشترطْ ... تعجيلَه وفي الكتاب قد ضُبِطْ
مهراً مسمًّى مائتا مثقالِ ... كاملةَ الوزنِ بلا اختلالِ
وبعد ذا المقبوض صار الباقي ... مِنْ بعدِ باقي عاجلِ الصَّداقِ
مقسَّطاً في سَلْخ كلِّ عامِ ... عِشرونَ مثقالاً على التَّمامِ
تُؤخَذُ مِنْ تاريخه المكتتَبِ ... بالصفةِ التي مضت في الذَّهبِ
زوَّجَها منه بهذا المهرِ ... بإذن مولانا أبيها الحَبْرِ
سيِّدنا ولم يَزَلْ مولانا ... ومَنْ بفَضْلٍ منه قد أولانا
قاضي القضاة العدل في الأحكامِ ... طرازُ أهل العلم والحكامِ
مؤيد الشَّرعِ وليُّ الدِّين ... كاشف كُرَبِ الخائف الحزينِ
خالصة الدهر فكم قد[1] أجرى ... إلى أمير المؤمنين أجرا
قطبُ البرايا وخطيبُ الخطبا ... منعشنا حين يُؤدي الخُطَبا
بقية المجتهدين العلَما ... ومَنْ له حلمٌ وعلمٌ عُلِمَا
بحرُ العلوم شارحُ المهذَّبِ ... أستاذُ حفَّاظِ أحاديث النبي
وناصرُ السُّنَّة والشريعهْ ... ومَنْ له أوامر مسموعَهْ
وهو أبو زرعةٍ إذ يُكْنَى ... كم قد حوى مِنْ حَسَنٍ وحُسْنَى
مُوضِحُ إشكال الغريب أحمدُ ... وشيخ الاسلام الإمامُ المسندُ
ابن العراقي إذا ما نُسِبَا ... الشافعي في القضاة مذهبَا
ناظرُ أحكام الورى الشَّرعيَّهْ ... بسائر البقاعِ الإسلاميهْ
أيَّدَهُ الرَّحمن بالملائكَهْ ... فكم له مِنْ خَصْلَة مباركَهْ
بعد ثبوت أمرها عليهِ ... بسادةٍ قد شَهِدُوا لديهِ

---

(١) «قد» ساقطة من (ب).

والعقد للزوج الكريم قبلَهْ ... له وكيلُه الذي قد وكَّلهْ

سيدنا الحاكمُ بدرُ الدِّينِ ... أقضى القضاة الحسنُ البرديني

مِنْ بعدِ ما قد ثبتت وكالتُهْ ... بقول مَنْ قد قُبِلَتْ شهادتُهْ

ثبوتاً اقتضى قَبُولَ العقدِ ... عَنِ الموكلِ الكريمِ الجَدِّ

أبدى قبولاً سائغاً شرعيا ... مِنْ موجبٍ كان به وليّا

وتم هذا العقدُ يومَ الجُمُعَهْ ... بخيرِ جمعٍ جَلَّ مَنْ قَدْ جمعَهْ

وكان بالتَّاريخ في عشري صفرْ ... مِنْ عام[1] خمسه وعشرين ظهرْ

وذاك مِنْ بعدِ ثمانمائةِ ... قد سلفت مِنَ ابتداء الهجرةِ

فأحسن الله لنا ختامَهْ ... بالخيرِ والنِّعمةِ والسَّلامهْ

وحسبُنا الله هو الجليلُ ... ونعم مَنْ لنا هو الوكيلُ

والحمدُ لله الذي بنعمتهْ ... يتمُّ صالح الذي في قدرتِهْ

حمداً كثيراً ما له نهايهْ ... ولا له في منتهاه غايهْ

ثمَّ صلاةٌ منه ملءُ الأرض ... يدومُ طولها ليوم[2] العَرْضِ

واصلةً بالليلِ والصَّباحِ ... لأحمدَ الآمرِ بالنِّكاحِ

وآلِهِ ومُوضِحي شِرْعتهِ ... وصحبِه وسالكي سُنَّتهِ

ما كُتِبَتْ أصْدِقَةُ العرائسْ ... منظومة بالدُّرَرِ النَّفائِسْ

وقد خَتمتُ هذه الأرجوزهْ ... بهذه القرينة العزيزهْ

سميتُها «قلائد الأفراحِ» ... مقرونة بالسَّعد والفلاحِ

وهذه جواهرُ الألفاظ ... مِنْ بعض علم[3] سيِّد الحُفَّاظِ

---

(١) «عام» ساقطة من (أ).

(٢) في (ب، ط): «يوم».

(٣) «علم» ساقطة من (أ).

بكرٌ عروسٌ زُيِّنَتْ بالدُّرِّ ... لعلَّ أن تُجلى لهذا الصِّهْرِ
أرجو قَبُولَها وبَسْطَ العُذرِ ... إذ ليس يُهدَى جوهرٌ للبَحْرِ
والهيثميْ ناظمها محمَّدُ ... ابنُ علي[1] الفقيرِ يشهدُ
بالإذن في العقد وبالتوكيل[2] ... والقبضِ والإيجابِ والقبولِ
ونسأل اللَّهَ الكريمَ المانِحَا ... يجعلُ هذا العقدَ عقداً صالحا
مناسباً مباركاً ميمونا ... وبالهناء دائماً مقرونَا

ثم قال الهيثمي أيضاً، ومِنَ خطِّه نقلت:

الحمد لله الذي قد أجرَى ... خيراً لمن أراده وأجْرَا
حمداً به يُختَتَمُ الكتابُ ... كما به يُفتتح الكتابُ
ثم صلاة[3] منه تأتي أحمدا ... وآلَه وصحبَه طُولَ المدَى
وبعدُ، ذا[4] العقدُ السَّعيدُ حضرهْ ... مُرْجِزُ أبياته المسطَّرهْ
وهو بما سطَّرَ فيه يشهدُ ... مفصلاً كاتبُه محمدُ
ابن علي الذي قد ذُكِرَا ... بالهَيْثَمِيْ شهرتُه[5] بين الورَى
ونسأل الله الكريمَ المحسِنَا ... يجعلُ هذا العقدَ جالِبَ الهَنا
مقترناً بغايةِ السُّرورِ ... وأكملِ الحالات في الأمورِ

وكتب رفيقُه في الشَّهادة، ومن خطه نقلت، والظَّاهر أنَّه مِنْ نظم الهيثمي أيضاً ما نصّه:

---

(١) «علي» ساقطة من (أ).
(٢) في (ط): «وفي التوكيل».
(٣) في (ط): «الصلاة».
(٤) في (ب): «هذا».
(٥) في (ب، ط): «شهرة».

يقول راجي عفوِ ربٍّ تواب ... الزُّرعي الأصل عبد الوهاب
الحنفي ابن الفقير عُمرَا ... مِنْ بعد حمد الله خالقِ الورى
ثمَّ الصلاة والسلام السَّرمدي ... على النبي المصطفى محمَّدِ
حضرتُ ذا العقدَ وإنِّي أشهدُ ... بمثل ما ذا الهَيْئَمِيُّ يشهدُ
وأسأل اللَّهَ دوامَ السَّعدِ ... للزَّوجِ والزَّوجةِ بعدَ العقدِ
زادهما اللَّهُ الكريمُ شرفَا ... وحسبنا الله تعالى وكَفَى

ثم سجَّل على القاضي العلامة بدر الدين ابن الأمانة بعد وفاة الزَّوج بثُبوت ذلك لديه. ونظم ذلك في أرجوزة أيضاً حذفتُها تخفيفاً.

* * *

ومنهم[1]: الفاضل الأوحد أبو اللُّطف[2] محمد بن علي بن منصور الحصكفي، ثم المقدسي.

وقد كتب عنه من نظمه، فقال: . . . .[3]

[ابن الفالاتي]

ومنهم: القيم محمد بن علي الفالاتي الأديب عم صاحبنا.

وله فيه جملة، منها قوله الذي كتبه عنه:

يا مَنْ طرِدْ ذكر حاتِم بالمكارِم طَرْدْ ... ومن سَرَدْ سنَّةَ المختارْ أحسنْ سرْدْ
شهرِيْن لي في ضعف والعَظْم يبْردَ بَرْدْ ... والجمعْ يشْهَد بضَعفي والإله الفَرْدْ

---

(١) هذه الفقرة لم ترد في (ب).

(٢) في (أ): «أبو الطيب»، خطأ، وانظر ترجمته في الضوء اللامع ٨/ ٢٢٠ ـ ٢٢٢.

(٣) هكذا في الأصول لم يرد شيءٌ من النظم، وقد قال المصنف في ترجمة الحصكفي من الضوء اللامع ٨/ ٢٢١، إنه لازم ابن حجر «ومدحه بقصيدة طنانة، كتبت منها في الجواهر»، وكما ترى لا يوجد منها شيء هنا.

وقوله يوم ختم «شرح البخاري»[1]:

شرح هدى الناس باسْم طيِّب الأخلاقْ ... إمام لو درس يَشرق نَوَّر الآفاقْ
أملى حديثُو معَنْعنْ دُرّ للحُذَّاق ... أشرق بها نُور حكمه جلّ رايقْ راقْ

[محمد بن عمر الحنفي]

ومنهم: محمد بن عمر بن عثمان المصري الحنفي.

فقرأت بخطه:

يُقبِّلُ الأرضَ عبدٌ جاء يغترفُ ... مِنْ بحر فضلٍ به الرُّكبان تَعْتَرفُ
لعلَّ يروى غليلَ[2] الصَّدرِ منه فإن ... نالَتْهُ نَهْلَةُ وردٍ زانه الشَّرفُ
فأنتمُ جوهرُ العِقْدِ النَّفيسِ بلا ... ريبٍ وغيركُم في عصركم صَدفُ
وكعبةُ الفضل قَصْدي أنْ أطوفَ بها ... لعلَّ عنِّي صدى الإشكالِ ينصرفُ
لا زلتُمُ في ظلال العِزِّ ما طَلعتْ ... شمسٌ عسى كُرْبة الشَّحرورِ تنكشفُ

[ابن قرقماس]

ومنهم: الشيخ ناصر الدين محمد[3] بن قُرقُماس الحنفي، فأنشدني من لفظه قولَه:

إن يَبْتَسِمْ ثغرُ الشَّريعة والنَّدى ... يوماً فذلك مِنْ أبي العبَّاسِ
هو جامعٌ علم الحديث وحافظٌ ... ومفرِّقٌ أموالَه في الناسِ

وقوله:

أفدي الشِّهاب أبا العباس مِنْ رجلٍ ... أضحى به حَجرُ الإفضال مُسْتَلَما

---

(١) في «المختصر» للسفيري. وله بيتان مواليان قاله يوم ختم «شرح البخاري» وقد ذكر أوائل كل كلمة حرفاً من حروف «شهاب الدين أحمد ابن حجر».

(٢) في (أ، ب): «عليل».

(٣) في (ط): «ناصر الدين بن محمد»، خطأ، وانظر الضوء اللامع ٨/ ٢٩٢.

كالبحر مقتَحَماً والبدرِ ملتثماً والفجرِ مبتسَماً والزَّهر مختَتما

وقوله:

إن كنتُ خنتُك في الهوى فجحدتُ من قاضي القضاة نوالَه المبذولاَ
وجعلتُ في علم الحديث نظيرَه مَنْ يجهلُ المعقولَ والمنقولاَ؟

وقوله:

يا حبَّذا النِّيلُ المباركُ جارياً في مصرَ جرى الفضلُ مِنْ عُلمائها
والَى لجودِ العسقلاني مَنْ غَدا شهاباً لذي العَليا بأفقِ سمائها

[الرّاعي]

ومنهم: الإمام النحوي أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن إسماعيل الأندلسِيّ، ثم القاهري، عرف بالرّاعي.

فأنشدني مِنْ نظمه في أبيات:

فكم قد ثَوى يقضي لكم كلَّ حاجةٍ ويُحسن لولاَ الدَّهرُ قد خان وارتَجَعْ
شمائلُه تحلُو وشهرةُ عِلمه وفضلٌ وآدابٌ وحِلْمٌ ومُضطَنَعْ
فتى كمُلَتْ فيه المحاسنُ كلُّها ومِنْ عِلْمِه نورُ الهداية قد سطَعْ

[البدر سبط الحسني]

ومنهم: صاحبنا[1] البدر محمد بن محمد بن محمد بن محمد [بن محمد][2] الأنصاري سبط الحسني.

فقرأت بخطه ما نصه: وقلت لما كمل «فتح الباري».

---

(١) «صاحبنا» لم ترد في (ب).

(٢) ما بين حاصرتين ساقط من (ط) وانظر ترجمته في الضوء اللامع ٩/ ٢٩٠.

نصرتَ دينَ الحقِّ يا بن النَّجيبْ بفتحٍ باريك القريبِ المجيبْ
فقلت لما تمَّ جمعُ الهني: «نصرٌ مِنَ الله وفتحٌ قريبْ»

[شمس الدين الزركشي]

ومنهم: المفنَّن شمس الدين محمد ابن سعد الدين محمد ابن نجم الدين محمد البغدادي، نزيل القاهرة، الزَّركشي، والد عبد الصمد الذي سمعنا منه كما سيأتي في الألغاز.

ومدحه أيضاً بما لم أقف عليه الآن.

ولازمه نحواً مِنْ عشرين سنة، وهو السَّائل لشيخنا في شرح «النخبة»، كما سيأتي. وأرسله شيخُنا سفيراً إلى ينبع ففرَّط في المال، ورجع بخفَّي حُنين، واعتذر بأنه تزوَّج وأنفق وأهدى وتصدّق، وجعل ذلك في صحيفة شيخنا. قال: فنشأ له منِّي ما أستغفرُ الله منه لي وله.

وقد عاتب هو شيخَنا بقصيدة بائيَّة[1]، فأجابه بنقيضها مما هو في «ديوانه».

فائدة[2]: أصلُ هذا المثل ـ أعني قولهم: «رجع بخُفَّي حنين» أنَّ حُنيناً كان رجلاً ادَّعى إلى أسد بن هاشم بن عبد مناف، فأتى عبدَ المطَّلب وعليه خفان أحمران، فقال: أنا ابنُ أسدٍ. فقال: لا وثياب هاشم، ما أعرفُ شمائلَ هاشمٍ فيك، فارجع. فقالوا: رجع حُنينٌ بخفَّيه فصار مثلاً.

وقيل: بل حُنين اسم إسكافٍ مِنْ أهلِ الحيرة، ساومه أعرابيٌّ بخُفَّيه، فلم يشتره، وغاظه ذلك وعلَّق أحدَ الخُفَّين في طريقه، وتقدَّم فطرحَ الأخرى وكَمَنَ له. وجاء الأعرابيُّ، فرأى أحد الخُفَّين، فقال: ما أشبه هذا بخُفٍّ

---

(١) في (أ، ح): «ثانية»، وفي (ط): «تائية»، وكلاهما تحريف. والقصيدة بائية الروي، وهي في ديوانه ص ٢١٩ ـ ٢٢٣، وانظر المجمع المؤسس ٣/٢١٩ ـ ٢٢١، والضوء اللامع ٩/٢٠٨ ـ ٢٠٩.

(٢) هذه الفائدة لم ترد في (ب) وهي بخط المؤلف في (ح).

حُنين، لو كان معه آخر لاشتريته، فتقدم فرأى الخُفَّ الآخر مطروحاً في الطَّريق، فنزل وعقَل البعيرَ، ورجع إلى الأوّلِ، فذهب الإسكافُ براحلته، وجاء إلى الحيِّ بخُفَّي حُنين. قالهما في «الصحاح».

[زين الدين الخوافي]

ومنهم: الشيخ زين الدين أبو بكر محمد بن محمد بن محمد بن علي الخوافي.

سيأتي في المطارحات[1] قوله:

أيا مَنْ فاق أهلَ العصرِ فضلاً ... وعلماً بالحديث بالاعتراف

[البكري]

ومنهم: المحب أبو يحيى محمد بن محمد بن محمد البكري.

وله فيه عدة مدائح، منها: [قصيدة سمعتُ إنشادها بحضرة المادح والممدوح عقب ختم الحديث في رمضان مِنْ بعضِ السِّنين ما كتبتها.

ومنها][2]: ما أنشد بالخانقاه البيبرسية عند ختم «شرح البخاري»، فقال: [وقد سمعت منه بعض ذلك أو كلَّه][3]:

حديثُك لي أحلَى مِنَ المنِّ والسَّلْوَى ... إذا حلَّ سمعي حرَّم اللَّومَ والشكوَى

أيشكُو[4] محبٌّ حُسْنَ أوصافِ مالِكِ ... غدا شافِعي نُعمانَ أحمدَ ذا تقوَى

فمن لي ومثوى حُبِّه بين أضلُعي ... يُهيِّمني والعينُ تشتاق مَنْ تهوى

تُرَنِّحُني وُرْقُ الدُّجا في شَجُوِها ... تُذَكِّرُني عهداً وتُسعفني شجوى

تهيِّج أشواقي تفيض لعبرتي ... أموت وأحيا لا قرارَ ولا مثوى

---

(١) ٢/ ٨٠٠.

(٢)(٣) ما بين حاصرتين لم يرد في (ب).

(٤) في (أ): «أيسلو».

سقامٌ بجسمي قد براه نحولُه ... تراه على فَرْطِ المحبَّة لا يَقْوى
أيقوى على جَمْرِ الغَضا قلبُ عاشقٍ ... تقلَّى كما العصفورُ بين مُدى شَوَّى
تملَّكني رِقّاً وألْبَسني ضنًى ... شكوتُ له وجدي فلم يُصْغِ للشَّكوى
فيا مالكاً رقِّي وقلبي ومهجتي ... تعطَّفْ وجُدْ فضلاً على قلب مَنْ تهوَى
وجُودُك لي راحٌ وجُودُك راحةٌ ... وقربُك أُنسٌ والبِعادُ هو البلوَى
أصون معنى حسنِه فيلَذُّ لي ... تعلَّلَ قلبي بالخيالِ وبالنَّجوى
وتالله لا يشفى الخيالُ لعاشقٍ ... ولم يُغْنِه طِبُّ الدَّواء عَنِ الأدْوَا
لأنيَ ظمآنٌ على البحر واردٌ ... ألا اعْجَبْ لظمآنٍ ببحرٍ ولا يروى
يعنِّفني العُذَّالُ عنك لأرعَوِي ... وبُغيةُ قلبي أنت، لا ميَّ لا عَلْوَى
لأنَّك فردٌ حافظُ العصرِ جامعٌ ... معاني أولي العرفان بالفهم والْفَحْوَى
أبو الفضل يا قاضي القضاة وحَبْرهم ... ترى السُّنَّة الغراء مِنْ حفظه تُروَى
أماليه تأتي عسجداً وجواهراً ... عَلَت وغَلَت، خذها بإسنادِه الأقوى
ترى درجاتِ الخُلدِ فيها مَعَ الرِّضا ... فبشرى برضوانٍ يبلِّغُنا عَفْوَا
أيا شيخ إسلام عليه مهابةٌ ... ومجدٌ له يعلُو على الغايةِ القُصوى
تصانيفُه لا حصرَ في ذكر عدِّها ... ففي كلِّ فنٍّ في العلوم له الجَذوى
فكم سَهِرَتْ عيناهُ والنَّاسُ نُوَّمٌ ... وكم كتبتْ يُمناه مِنْ خبرٍ يُروى
وكم مِنْ شُروحِ «للبخاريِّ» عِدَّةٍ ... طواها «بفتح الباري» أعجب لِمَا تُطوى
كساهُ جمالاً مِنْ عُذوبة لفظه ... فنارت به الدُّنيا وسُلِّمَتِ الدَّعوى
فتوَّجَهُ الأسماء مِنْ كل مُبْهَم ... خَفيٍّ على النُّقَّادِ يا وَيْحَ مَنْ سَوَّى
شهاباً علا أُفُقَ السَّماء بدونه ... تباركَ مَنْ أنشا وسُبحان مَنْ سوَّى
وأبدعَ خلقاً ذاك[1] للوزن لا يفي ... وهذا صحيحُ الوزن ليس به إقوَا

(١) في (ب): «ذلك»، خطأ.

ولا غَـرْوَ أنَّ الـشـافـعـيَّ إمـامَـنـا ... يُبَاهي بك الأصحابَ بالنَّقل والفتوى

إذا فاح نَشْرُ المسكِ كنتَ خِتَامَه ... فكم حِكَمٍ أظْهَرْتَ فاحت لها الشَّذْوى

لأصحابك الطُّلاَّبِ فضلاً أنلتَه ... بلا منَّةٍ، فالله يُصحِبُك التَّقوى

ويُبقي لك البدرَ المنيرَ ونسلَه ... ويوسف حُسْنٍ سالمين مِنَ الأسْوَا

ويحفظُ إخواني وأهلَ مودَّتي ... مشايخَ علمٍ مَنْ برؤيتهم أروى

ويجعل مثوانا حظيرة قُدسه ... وأحمدها ديناً إلى جنة المأوى

محبٌّ وبكريٌّ ومنشانا بكم ... وناشرُ فضلِ ذلك النشر لا يُطوى

ومنها قوله:

يا حاكم[1] العصرِ يا مَنْ خُصَّ بالحِكَم ... والعلمِ والحِلْمِ والتَّقوى مَعَ الكرمِ

يا سالكاً سُبلَ الخيرِ التي وردت ... عَنْ سيِّد العَرَبِ العَرْباء والعَجمِ

شرحتَ صدر البخاري مُذْ شرحتَ له ... جمعاً هو النِّعمة العظمى لمغتَنِمِ

حَلَلْتَ فيه رموزاً وانفردت به ... عن الَّذين مضَوْا مِنْ سالفِ الأممِ

فجاء شرحاً عظيماً رائقاً بَهِجاً ... ختامُه المسكُ منشوراً على الخَدَمِ

وفاح من فيح[2] هذا الختم رائحةٌ ... طارت بها الرِّيحُ في البُلدان والأُطُمِ

ماذا أقول وما[3] أثني عليه وقد ... كَلَّ اللِّسانُ عَنِ الإحصا مَعَ القلمِ

والعبدُ يسألُ بَسْطَ العذرِ مِنْكَ لِمَا ... أتى به مِنْ قليلِ المدح والخدمِ

لأنَّه لم يجدْ مدحاً يقومُ بما ... حويتُموه مِنَ الإفضال والشِّيَمِ[4]

ونسأل الله خيراً دائماً لكمُ ... قاضي القضاة بعون الله لا تُضَمِ

---

(١) كذا في الأصول، وفي «المختصر»: «يا حافظ».

(٢) في (أ، ب): «فتح».

(٣) في (ب): «وماذا».

(٤) هذا البيت والذي يليه لم يردا في (ب).

ومنها قوله:

يا جابراً بالمكرُمات كسيرا[1] ... وصَنيعُه جعل العسيرَ يسيرا
يا شيخَ الاسلام الذي أضحى بما ... أُوتيه مِنْ فضلِ الآله جَديرَا
لي حقُّ سبْقٍ قد مَنَنْتَ بنيلِه ... وفَكَكْتَ مِنْ قيدِ الهُموم أسيرا
والأمرُ أمرُك لم تَزَلْ متفضِّلاً ... تُولي الجميلَ وهادياً ونصيرَا
إن قلَّ عندَك أنْ جعلتُ بديهةً ... مدحي صفاتِك في الأنامِ كثيرا
فاجعلْ لوجه الله ما يغدُو به ... راجي عُلاك لأهله مسرورَا
واسْلَمْ وعِشْ، فلقد حباك الله مِنْ ... إحسانه فضلاً عليك كبيرا[2]

ومنها:

يا طالباً فنَّ الحديثِ مَعَ الأثرْ ... صحِّح طريقَك بالرِّشاد لِتُغْزَ بَرْ
مشكاةُ نورٍ في الحديث مفنَّنٌ ... ليثٌ شجاعٌ للمحافل مُذَّخَرْ
أسماءُ فيه مِنَ الإله تحُفُّه ... عَلَمٌ عليه فسّرت الله بَرْ
أي واسع الإعطاء جلَّ جلالُه ... ربٌّ له الإفضال يجزي مَنْ شكرْ
أعطاك إنْعاماً ورزقاً واسعاً ... ومنازلَ الأخرى فجنَّاتٍ أُخَرْ
زان الإمارة والسِّيادةَ بالتُّقى ... لا رَيْن في القلبِ السَّليمِ ولا غِيَرْ
إنّ المواهبَ والمآثرَ دأبُه ... فلكَمْ أجادَ لطالبيه وكم أبَرْ
ولحافظِ العصر انتمى فسناؤه ... كسِنَادِهِ عالٍ تراه كالقمر
يروي لأحمدَ إنَّ ذاك لوارثٌ ... علمَ النُّبوَّة مَنْ لسنَّتِه نَصَرْ
وروى لأحمد ما لأحمد قد روى ... عَنْ ربِّه فيما نَهَانا أوْ أمَرْ

---

(١) في (أ): «كثيراً».
(٢) في (ط): «كثيراً».

قطبُ الوُجودِ وأوحدٌ في عصره ... بيتُ الحقيقة بالشَّريعة[1] قَدْ عمرْ
كم تاه[2] في الحَجَرِ المكرَّمِ طالبٌ ... لكمُ البِشَارَةُ إنَّه راوي الخبَرْ
ابن العليِّ أبو الفضائلِ ذُو الصَّفا ... ركنُ الوفا يا فوزَ مَنْ لثمَ الحَجَرْ
فالله يُمْتِعُ بالحياةِ لحَبْرِنا ... وأميرِنا وذويهما ولِمَنْ حضرْ
أبيات نظم بشرت بسعادة ... مِنْ فكر بَكْرِيٍّ تَفُوق على الدُّرزْ

ومنها عَقِبَ صرفِه عن وظيفة القضاء مرة:

طُوالَ الدَّهرِ أفلاك تسيرُ ... فلا حُزْنٌ يدُومُ ولا سرورُ
فلا تجزَعْ لحادثةٍ ألَمَّت ... فإنَّ الله مطَّلعٌ نصيرُ
خفيٌّ لطفه فيما قضاه ... مثيب[3] مَنْ على البلوى صَبُورُ
فمن يكفي أمورَ الناس يرقى[4] ... مقاماً شاده الملكُ الخبيرُ
فلا هَمٌّ يكدِّرُ صفوَ عيش ... ولا جاء الأميرُ ولا الوزيرُ
لأن الله أولاك المعالي ... وولاَّكَ العلُومَ هو البصيرُ[5]
ففيما أنت فيه الآن عِزٌّ ... فعُزَّ العلمَ يأتيك السُّرورُ
فأنتَ القطبُ في الآفاق حقّاً ... شهابُ الأفْقِ والقَمَرُ المنيرُ
وحافظُ سُنَّةِ المختارِ فاصدع ... بما أولاك مولاك القديرُ
فإنَّكَ حامدٌ لله جهراً ... وفي كُلِّ الأمورِ له شَكُورُ

ومنها في قصيدة[6] طويلة:

---

(١) في (ب): «بالشرع»، خطأ.
(٢) «تاه» ساقطة من (أ).
(٣) في (أ): «مثبت».
(٤) في (ب) والمختصر: «يلقى».
(٥) في (أ): «النصير».
(٦) في (أ): «قصة».

وما النُّورُ إلا أحمدٌ فإذا سرى إلى أحمدٍ مِنْ أحمدٍ كان أحمدَا

[ابن ناهض]

ومنهم: محمد بن ناهض الحلبي.

فكتب لشيخنا يلتمسُ منه تقريظَ نظمه «سيرة المؤيد» ما نصُّه:

حويتَ علومَاً ليس يُنْكَرُ فضلُها وحلَّيتَ معناها بفضلِ خطابِها
فزادت عُلوًّا[1] كالنُّجوم وأزهرت وطالبها وصلاً يخاف شهابَها
فقرِّظ بنشرِ الدُّرِّ في نظم سيرةٍ تواريخ أرباب الكلام[2] تهابُها

[مسافر بن عبد الله]

ومنهم: مسافر بن عبد الله البغدادي الصوفي.

فقال: وقد[3] فاتته النفقة الشامية بالبيبرسية مواليا[4].

غوادي الغيث من كفيك مُنْغَدِقَهْ قطر الغمام كسيلِ البحرِ مندفقهْ
إن كان مالي حصلْ شامية النَّفقَهْ عسى مِنَ الفضل يحصَلْ شيء مِنَ الصَّدقَهْ

[نعمة الله الجرهي]

ومنهم: الشيخ نعمة الله الجَرَهي الشيرازي.

فقال[5]:

يا مَنْ علا بالعُلا عَنْ وصفِ وصَّافِ وفاق جُلَّ الوَرى في كلِّ أوصافِ

---

(١) في (ب): «علوماً».

(٢) في (ب، ط): «الكرام».

(٣) «وقد» ساقطة من (أ).

(٤) انظر المجمع المؤسس ٣/ ٣٥٢، والضوء اللامع ١٠/ ١٥٥.

(٥) القصيدة في المجمع المؤسس ٣/ ٣٥٨، والضوء اللامع ١٠/ ٢٠٢ ـ ٢٠٣.

وصحَّ عنه حديثُ الجُودِ ينقُله ... عَنْ كفِّه البحر أو عنْ سحبِ أسلاف
تواتُراً بلغَ الآفاقَ واشتهرا ... عَزَّ الغريبُ لدى إفضاله الوافي
خَفَضْتَ منصُوبَ راياتِ العِداةِ كما ... رفَعْتَ حالةَ سُؤَّالٍ بإسعافِ
قصدتُ حضرتكَ العلياء مِنْ وطني ... هجرتُ صُحْبة إخواني وأُلاَّفي
حرصاً على العلم والتَّحصيل مجتهداً ... لعلَّني أغترِفْ مِنْ بحركَ الصَّافي
وما أريدُ سوى وجهِ الكريم به ... عساه يَجْبُرُ تقصيري وإسرافي
هذا ومسألتي[1] مِنْ فيضِ فضلِكَ أن ... تخصَّني بين طُلاَّب وطُوَّافِ
يا ملجأً لذوي الآمال قاطبةً ... أنظر لمغتربٍ للعلم طوَّافِ
وارحمْهُ ثمَّ أعِنْه في تطلُّبه ... فأنت معدِنُ أعطافٍ وألطافِ
عَطفاً لغُربتِه كشفاً لكُربته ... جبراً لما يلتقي مِنْ دهرِه الجافي
الله يبقيك نوراً يُستضاء به ... فيهتدي بك دهراً كلُّ أصنافِ

[الفرَّاء]

ومنهم: يوسف بن أحمد بن يوسف الفراء العامي.

فقال مِنْ أول قطعةٍ كتبها لصاحب الترجمة:

قميصي ذهب واتفضَضَ ... بوشعري وهتك ستري
غسلته اتمزق فاض دمعي ... عاينو بعيني تجري
من قد عَمْ عِلِمُو حلمه ... أوهبني قميص عمرو عام
صار خليع جديد وانمزَق ... وأخلع البدن والأكمام
قلت أنا أشتكيه للفاضل ... زكي العلم شيخ الاسلام
يقبل دعوى[2] في حقه ... ويجبر بعلمو كَسْرِي

(١) في (ب) والضوء اللامع «وسيلتي»، وفي المجمع المؤسس: «وسؤلي».

(٢) في (أ، ط): «دموعي».

ويرفي صحيح ما انمزق ... ويقبل بحلمه[1] عُذري
تفسير السنن والمختار ... حوى مِنْ بعض «فتح الباري»
بشرح «البخاري» علمك ... صار محيط كما الماء جاري
وأطراف المسانيد أعطيت ... العشرة صان العاري
خصالك تكفِّر ذنبي ... مقدَّم مؤخَّر عمري
وأما الأربعين تشهد ... لك المتباينة والدُّرِّي
يا كنز العلوم بالشَّان ... شرحه عن لسان الميزان
ما اشتبه علينا النِّسبه ... مِنْ أصول بيان التبيان
بتهذيب صحيح التَّهذيب ... يا روضة المرء بالبدر
وكم قد قال في البخاري ... مسلم متظلّل ببقايا مصري

وهي طويلة:

[الشريف]

ومنهم الشريف.....[2]

فأنشد يوم ختم «فتح الباري» ما نصه:

أصبحت يا تاج الرؤوس[3] مُكَلَّلا ... بالفضل والإحسان عم وجُودَا
قاضي القضاة وشيخ الاسلام الذي ... كم مِنْ عدو قد دجا مكمودَا
فامْنُن بفضلٍ للشَّريف فإنَّه ... ذُو فاقةٍ واجعل له موجودَا

---

(١) في (ب، ط): «بحلمو».
(٢) بياض في الأصول.
(٣) في (أ): «الرؤساء»، خطأ. وفي (ط): «الدروس».

واغفر لناشِرِها الشَّريف لأنه[1] لا شكَّ عبدٌ[2] للإله مُريدا
كم مِنْ كتابٍ قد ختمْ وجوامع بوجودِ شيخ العصر هو معهودا
يا ربِّ أبقيه لجمع دائماً ما طار طيرٌ في الغصون غريدا

[شخص من المنزلة]

ومنهم: شخص من المنزلة:

أنشدني لنفسه، وكتب بهما لصاحب الترجمة:

يقبِّل الأرضَ إجلالاً لقدْرِكُم عبدٌ لنحوكم قد جرَّه الشَّغَفُ
أسبابُ عدلك عنه الصَّرف قد مُنعت فهل لكم مِنْ إضافاتٍ فتنصرفُ

* * *

ومنهم: بعض مَنْ لا أستحضره الآن، وذلك حين تَلَبَّس العلامة القاياتي بقضاء الشافعية، فقال:

قد خَفَقَت بسعودك في العُلا راياتْ
وعسقلان التي بك حازَتِ الغَايَاتْ
يُنسب بها لك دروس العلم والغاياتْ
ثمَّ الشجاعة، ويعزى الجُبن للقَاياتْ

ومِمَّن علمته مدح شيخنا، ولكن ما وقفتُ الآن على شيء مِنْ نظمهم: الشيخ العالم جمال الدين عبد الله الزيتوني، والبدر ابن الشَّريدار الواعظ، وأنشدناها مِنْ لفظه بحضور الممدوح. وأبو المواهب المغربي

---

(١) في (ط): «فإنه».
(٢) في (أ): «عبداً»، خطأ.

المشهور بابن زغدان [وسمعت كثيراً منها مِنْ لفظه][1]. ومن لا يمكن حصرهم.

[وإنما لم أرتِّب هذا الفصل على الوفيات كالذي قبله، تنويعاً للطَّريقتين، وإرشاداً للصفتين، بل كان يمكنُ ترتيبُ هذا الفصل أيضاً على الحروف في القوافي، وهو والذي قبله على الأفضل فالأفضل مع محذور فيه غيرِ خافٍ، والله الموفق][2].

* * *

آخر الجزء الأول ويتلوه الجزء الثاني
وأوله: الباب الرابع في عقده مجلس
الإملاء ووظائفه السنية...

(١)(٢) ما بين حاصرتين لم يرد في (ب).

obeikandl.com